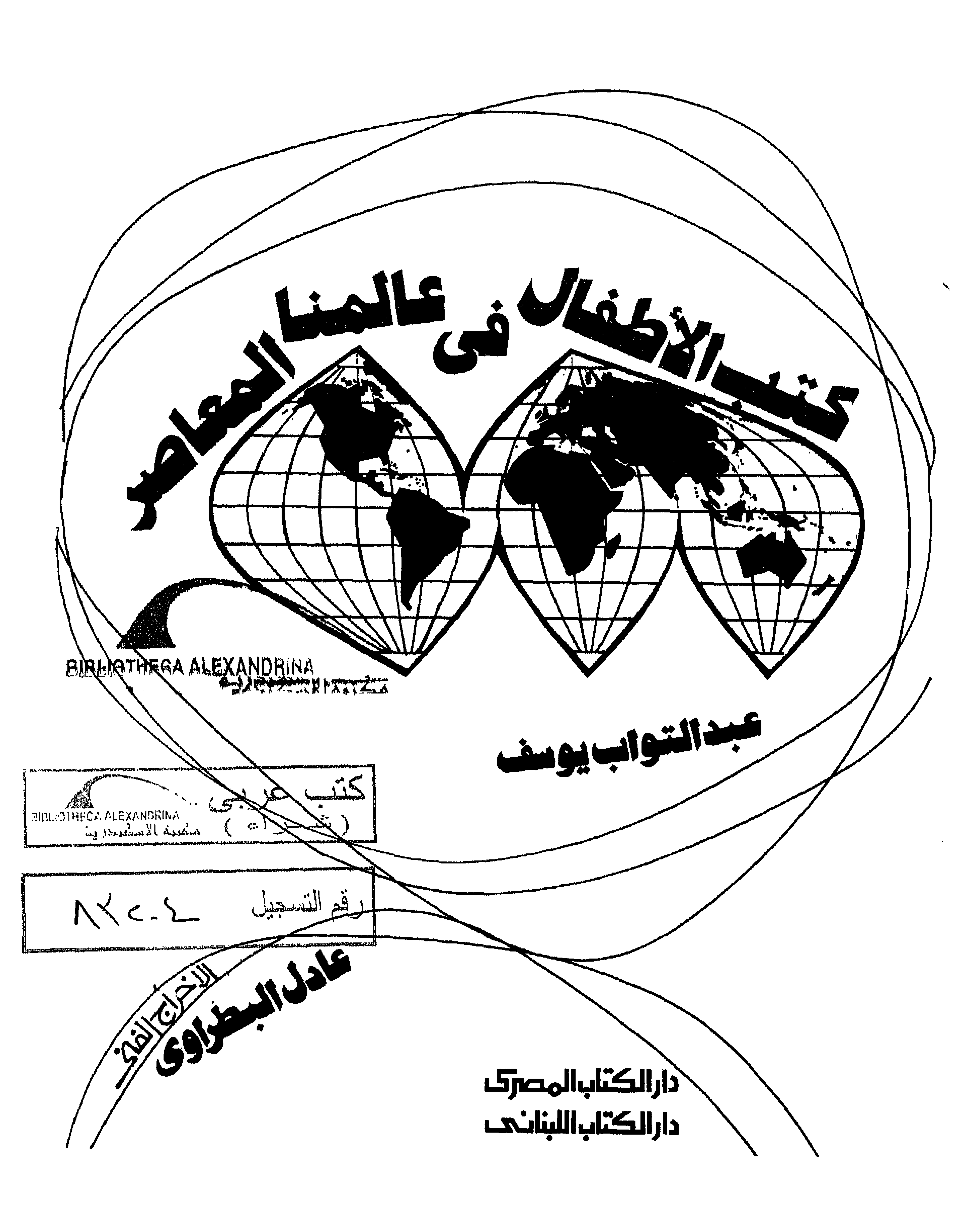


كتب الأطفال في عالمنا المعاصر

عبد التواب يوسف

دار الكتاب المصرى

دار الكتاب اللبنانى


كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
عبد التواب يوسف
كتب عربى
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
رقم التسجيل
الإخراج الفنى
عادل البطراوى
دار الكتاب المصرى
دار الكتاب اللبنانى

دار الكتاب المصري
القاهرة ج.م.ع
٢٢ شارع قصر النيل - ص.ب ١٥٦
ت ٧٤٩١٦٨/٧٥٤٣٠١ - برقيا (كتامصر)
TELEX: 21581
ATT:134 K.T.M CAIRO

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ - برقيا (كتالبان)
تليفون ٣٤٩٠٥٥ - ٣٤٩٣٧٠
TELEX: K.T.L 22865 LE
BEIRUT

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

— ١ —

صحبت كتب الأطفال عمراً كاملاً ..

فى طفولتى قرأت الكثير ، وتعرفت على أسماء مازالت عزيزة غالية .. كامل كيلانى ، سعيد العريان ، مصطفى محمد إبراهيم ، أحمد عطيه الله ، حامد القصبى ، وقرأت كتباً لا تحمل أسماء كتّابها ، لست أنسى منها قصص (ابن السلطان) ولم ألتق بها ، ولا بصاحبها ، ولا عرفت عنها شيئاً بعد أن تجاوزت الطفولة .

وبعد أن بدأت الكتابة للأطفال ، سيراً على الطريق الذى عَبَّدهُ هؤلاء الرواد ، استمرت الصحبة ، وتوطدت قرابة ثلث القرن : قارئاً مستمتعاً ، ودارساً متمعناً ، وباحثاً مدققاً ، ومنقباً عما يحتاج إليه الأطفال ويرضيهم فى نفس الوقت ..

وقد حملتنى هذه الصحبة والرفقة إلى عواصم وطنى العربى ، سامعاً ، ومتحدثاً ، ومحاضراً ، وكان الإخوة الذين يحسنون الظن بى يطالبوننى بأن أضع هذا الذى أقوله على الورق ، لأن الحاجه إليه ضرورية وماسة ..

فاروق سلوم فى بغداد يقول لى بعد محاضرة فى « نادى الإعلام » :

ـــ تخطئ فى حق أجيالنا المتعاقبة إذا لم تكتب وتنشر ما قلته .

ود . عبد العزيز المقالح فى صنعاء يسألنى محتجاً :

ـــ ما جدوى كل هذه الحصيلة من المعرفة إذا أنت حبستها فى صدرك ؟ وعوض حاج حامد فى الخرطوم يهمس :

ـــ دراستك عن كتب الأطفال فى السودان خصبة .. نريد أن نقرأ لك عن كتب الأطفال عربياً وعالمياً . والشاعر الكبير سليمان العيسى فى بيته فى دمشق يصيح بى :

ـــ قبيلتك ، من حملة الأقلام كتابة للأطفال ، ينتظرون كتباً لك عنهم وعن أدبهم .. ود . كافية رمضان فى الكويت تقول :

ـــ كتاباتك عن كتب الأطفال وثقافتهم يجب أن تضمها دفتا كتاب .. بل أكثر من كتاب . وفى الدوحة ينشر لى رجاء النقاش دراسة « ماذا فوق رفوف مكتبات الأطفال » ويقول :

ـــ هذا لا يكفى .. الموضوع يجب أن تتوسع فيه وأن يتحول إلى كتب ..

وكلمات من هذا القبيل سمعتها من الطيب صالح ، ود . طاهر فيقه والعروس المطوى – تونس – ومن د . عبدالله الركيبى – الجزائر – وروضة الفرخ الهدهد – الأردن – ود . محمد الأحمد الرشيد – السعوديه – وموسى زينل وحسن إبراهيم – قطر – وغيرهم ممن لا أكاد أحصيهم ، وإن بقيت كلماتهم حافزاً لى على أن أنهض بهذا العبء ..

— ٢ —

إذاً ، مدين أنا بهذا الكتاب للكثيرين ..

مدين لكتّاب الأطفال فى العالم ، منذ هانز أندرسون وإلى اليوم .. فقد أثروا هذا المجال بما يمكن أن يكون موضع دراسة حقيقية وجادة مثمرة .. إنهم أعطوا عصارة قلوبهم وعقولهم إلى الأجيال الناشئة ، وحققوا بذلك نجاحات عالمية ، جعلت الهيئات والمؤسسات تخصص جوائز دولية لمن يحوزون فيه قصب السبق ، ويقيمون المعارض لكتبهم فى أرجاء متفرقة يسعى إليها العالم : معرض بولونيا الدولى ، فى إيطاليا ، معرض ميونيخ الدولى فى ألمانيا ، معرض القاهرة الدولى لكتب الأطفال فى مصر ، وتعقد الندوات الدورية يلتقى فيها الدارسون والباحثون والمؤلفون والكتّاب ، فالأمر لم يعد مجرد اجتهاد ، إنما هو علم وبحث ودراسة .. ويكفى أن قد أضبحت هناك موسوعة تضم أسماء الذين كتبوا للأطفال عالمياً ، وهى فى عشرة أجزاء ، كل جزء منها يضم ألوف الصفحات ! ..

وقد رعى قلمى هذا كثيرون ، مدين أنا لهم بالكثير ..

باباشارو فى مجال الإذاعة ، د . سهير القلماوى فى مجال الكتاب ، ماما سميحة فى التليفزيون ، السيد بدير فى المسرح ، ويحيى أبوبكر فى السينما التسجيلية ، ونادبا نشأت فى المجلات .. وإخوة لى فى مجال ثقافة الأطفال بينهم مرسى سعد الدين ، د . على الحديدى ، ود . سامى عزيز ، بجانب أصدقائى فى الجمعيه الأدبية المصرية : صلاح عبد الصبور ، فاروق خورشيد ، ود . عبد الغفار مكاوى .. ثم د . عز الدين إسماعيل الذى أعطى حلقات الهيئة المصرية العامة للكتاب مساندته الكبيرة مما أتاح لها الاستمرار ، والازدهار .. بالتعاون مع هيئة اليونسكو ..

كل هؤلاء أصحاب فضل أعترف لهم به ، وإذا كان لى من شيء ، فهو الصبر ، والدأب ، والمثابرة ، لحبى لهذا المجال ، واعتزازى به ، وشعورى بالانتماء إليه ، ورغبة عارمة فى أن أراه فى شتى أقطار الوطن العربى على ذلك المستوى المزدهر الذى أجده فى زياراتى للبلاد المتقدمة .. لذلك جعلت كتابى هذا يسبق رفيقه عن كتب الأطفال فى الوطن العربى ، الذى سأدفع به قريباً إلى المطبعه إن شاء الله ..

وكتابى هذا ، مدين أنا له بالكثير ، فقد حفزنى إلى أن أقرأ الكثير .. لا أغالى إذا قلت آلاف الصفحات ، وأخذت عنها ، كما أنه جعلنى أفتح عينى وأذنى لما آراه فى أسفارى وزيارتى ، التى أقضى أغلب أوقاتها بين جدران المكتبات ..

— ٣ —

ومدين أنا لهذا الكتاب بالكثير ، قبل أن يصدر ..

مدين له بعبارة هزتنى ، قالتها لى السيدة زيلا جاكويش مسئولة كتب الأطفال فى مكتبة الكونجرس ، أمام د . فوزى تادرس ، المصرى الذى يعمل منذ سنوات طويلة فى هذه المكتبة الرائعه ، قالت لى :

ـــ أنت من أكثر الناس الذين قابلتهم فى حياتى معرفة بكتب الأطفال فى العالم .. كيف تأتى لك أن تعرف كل هذه الأسماء ، وعناوين الكتب ؟!

وابتسمت لهذه المجاملة الرقيقة ، وعقبت عليها :

ـــ أشكرك .. ربما هناك كثيرون يعرفون فوق ما أعرف بمراحل ، لم تقابليهم بعد .. ولو أننى فخور سعيد بأن أسمع من واحدة تشغل موقعاً يعتبر من معالم تاريخ أدب الأطفال عالمياً ! قالت ووجهها يتهلل بشراً : هل هذا رأيك ؟!

أجبت : بل أنا أتبناه ، فقط .. إنه رأى صاحبة هذا المجلد الضخم الموضوع على الرف يطل علينا من عليائه .. إن رأى (مارى هيل أربثنوت) ..

وقمت وحملت المجلد من مكانه ، ودون حاجه إلى أن أرجع للفهرست قلّبت الصفحات إلى حيث عنوان كبير « معالم تاريخ أدب الأطفال فى العالم » منذ قبل الميلاد إلى عصرنا الراهن .. وأشرت إلى عام ١٩٦٤ .. وعنه تقول المؤلفة الكبيرة إن تعيين مستشار لكتب الأطفال فى مكتبة الكونجرس فى هذا التاريخ يعتبر من معالم هذا التاريخ .. ونادت السيدة التى تحتل أكبر مقعد فى مجال كتب الأطفال عالمياً كل العاملات والعاملين معها لتسألهم :

ــ هل قرأ منكم أحد هذه الفقرة ؟

كانت الإجابة : لا ..

ــ جاءنا كاتب أطفال من مصر ليرينا إيّاها وليكشف لنا كم هو مهم عملنا ..

ــ هأنتذا ترى أنى كنت صادقة ، ولم أجاملك ، بما قلته ..

وقبل أن أغادر المكتبة كانت صورة هذه الفقرة من كتاب (أربثنوت) تحت زجاج مكاتب العاملين فى المكتبة !

وفى لندن كنت أتحدث إلى اتحاد كتّاب إنجلترا عن أدبنا للأطفال ، وعرضت لما يكتبونه لأطفالهم ، خاصة عن مصر ، وهاجمت بشدة كاتبة اسمها مارى كوكيت لأنها ألفت قصة عن العنزة النوبية دون أن تعرفها عن قرب .. وكنت أتصور أنها كاتبة رحلت عن دنيانا منذ زمن بعيد ، وفوجئت بها بين الحاضرين ، وهتفت تقول ..

ـــ أنا سعيدة بأن مصر قرأت لى .. برغم قسوة نقدك !

وجاءتنى دعوة منها للعشاء فى بيتها لنتحدث عن العنزة النوبية !

وفى ميونيخ كنا نتعارف فى معرضها الدولى لكتب الأطفال وقد وقفنا فى دائرة داخل بهو المكتبة الدولية لكتب الأطفال وكان كل منا ينطق باسمه ، وعمله : كاتباً ، أو باحثاً ، أو ناشراً ، واسم بلده .. وقالت الفتاة التى تقف إلى جانبى إن اسمها يانينا .. وإنها دارسة لأدب الأطفال .. من فنلندا .. وعندما انتهى التعارف ملت إليها أسألها : كيف حال « تاف يانسون » ؟

وهتفت الفتاة : أتعرفها ؟ هل سمعت بها ؟!

قلت : وقرأت كل أعمالها المترجمة للإنجليزية .. بالذات « المومونز » .. لقد أهلتها هذه الأعمال لتحصل على جائزة هانز أندرسون العالمية .. وأنا أعلق صورتها على جدار بيتنا !

وذهلت الفتاة .. فالكاتبة الكبيرة تكتب باللغة الألمانية ، لكنّ قليلين هم الذين يعرفونها فى ألمانيا ، وقد جاءت هى فى منحة دراسية حول أدب هذه الكاتبة ..

وكان لنا حديث طويل عنها وعن أدبها ، ووعدت بأن تضمن دراستها ماقلته عن تأثر هذه الكاتبة بألف ليله وليلة ..

وفى مانيلا بالفلبين ، طلبت من السيدة (ألابادو) – أكبر كاتبة للأطفال هناك – أن تأتى لى ببعض إنتاج زعيمهم الوطنى (ريزال) من كتب الناشئين مترجماً إلى اللغة الإنجليزية ، أدهشها أن أعرف الاسم ، لكننى كنت قد قرأت عنه فى دائرة المعارف قبل الرحلة ، وقد زرت معها حديقة كبيرة تحمل اسمه ، ويتوسطها تمثاله ، كما شاهدنا الغرفة التى سجن فيها أثناء كفاحه ضد الاستعمار ، وقد خرج منها بطلاً وزعيماً ، يأخذ بيد بلاده إلى الاستقلال .. وقد كتب الكثير للأطفال .. وأشهد أن ما كتبه كان رائعاً ، ويليق بزعيم وبطل !

وقد يتساءل البعض :

ـــ لماذا كتاب عن كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر ؟ !

يجمع المفكرون فى بلادنا – وفى مقدمتهم د . زكى نجيب محمود – أننا بحاجة ماسة إلى الأصالة والمعاصرة .. معاً .. وأدب الأطفال فى بلادنا حديث – وإن كانت جذوره تمتد إلى مصر القديمة ، حيث ظهر أول كتاب للأطفال ، وهو كتاب ملون وبديع ، مكتوب على ورق البردى ، وترجمت بعض نصائحه إلى كل أطفال العالم – ونحن لم نكتب شعراً للأطفال إلا فى عام ١٨٩٨ على يد أمير الشعراء أحمد شوقى .. أما نثراً فنرى أن البداية كانت على يد كامل كيلانى عام ١٩٢٧ .. إذاً أدبنا للأطفال مازال طفلا ، ووليداً .. لم يشب عن الطوق .. والأصالة فيه ربما تمتد إلى نصائح امتحب ، وإلى ألف ليلة ، والسير الشعبية وإلى كليلة ودمنة ، وكلها بين أيدى الدارسين والباحثين ، وستكون لنا عودة إليه إن شاء الله ..

أما كتب الأطفال المعاصرة وأدبهم فقليلون هم الذين تعرفوا عليها .. ومعرفتهم بها ليست منهجية ، ولا هى علمية ، بل كل ما هنالك كتاب من هنا ، وكتاب من هناك ، بلا نظرة شاملة ، وبلا معرفة بالتاريخ ، ومعالمه فى هذا المجال .. وكان لى عتاب على صديق تحدث عن بعض الاتجاهات المعاصرة فى أدب الأطفال وإذا به يورد أسماء كتّاب رحلوا عن دنيانا منذ أكثر من قرن .. ووقف عندهم !.. وفى رأينا أن هذا ليس على الإطلاق من المعاصرة فى شىء ..

والمشكلة الأخرى التى نواجهها أن أجهزة الإعلام ألحت علينا بأعمال للأطفال لاتمت للأدب فى شىء ، ولا تنتمى إليه ، بل إنها حين تقدم عملاً أدبياً حقيقياً تفرغه من محتواه ، وتحوّله من عمل إنسانى فريد إلى شىء للتسلية والترفية وقتل الوقت .. سواء اختصرته أو أوجزته فى صور متسلسلة ، أو فى فيلم .. والأدب الحقيقى الذى يقدمونه لأطفالهم لايصل إلينا إلا على استحياء ، وفى قطرت لا تشفى الغليل ..

وهناك محنه أخرى نواجهها حين يستخدم بعض كتاب الأطفال « مقصاً » بدل « القلم » ليقدموا عن طريقه أعمالاً لأطفالنا ، ويحزننا ذلك كل الحزن ، فقد بات من الضرورى أن نتجاوز مرحلة النقل الاقتباس ، بل والترجمة .. لكن هذا البعض يستسهل

الأمر ويستهين به ، والغريب أن يكون الواحد منهم قادراً على أن يكتب الجديد ، ويستطيع أن يعيد صياغة بعض الحكايات من التراث ، ويمكن أن يترجم أو يقتبس ما يستحق .. ولكنه لا يفعل ! .. والأمر لايمكن السكوت عليه ، حين لا يخجل البعض فيضع اسمه على أنه « مؤلف سندريلا » ، وأساتذة الفنى الشعبى وأدبه منذ قرابة نصف قرن وهم ينبهوننا علمياً إلى أن ذلك الأدب لا مؤلف له ، وأن الشعب كله صاحبه ..

وكاتب آخر ينقل لنا بوليسيات الكاتبة الإنجليزية « ايند بلايتون » ولايجد حرجاً فى أن يقول إن قرّاءه بالملايين .. وإن كان قد ربح منها الملايين .. وذلك لا يقل سوءا عن ذلك الذى ترجم لها ، وكتب على غلاف الكتاب أنها « كاتب فرنسي » .. وكلنا يعرف أنها كاتبة ، وإنجليزية ، وأن ترجمات كتبها عدداً تأتى بعد الإنجيل وشاكسبير .. لكن أحداً لا يزجر هؤلاء ، وليس لهم من ضمير يردهم ويردعهم عن هذه الآثام التى يرتكبونها فى حق أبنائنا وأكبادنا .

وأغرب من هذا كله أن الذين لايعرفون ماذا يجرى فى مجال أدب الأطفال وكتبهم عالمياً يزعمون لنا وينشرون أن الجامعات تقوم بتدريس كتبهم لطلابها ، ولنا أن نسألهم :

— بأية لغة يقرءون كتبكم وهى لم تترجم ؟!

لقد اختلط الحابل بالنابل فى مجال أدب الأطفال وكتبهم ، وبات من الضرورى أن نبدأ بوضع أقدامنا على الطريق السليم ، وأصبح من المحتم أن يكون لنا منهج .. إننا حين نترجم للأطفال يجب أن نترجم أمهات الأعمال الخالدة : الكلاسيكيات الخالدة التى ثبتت أقدامها وقرأها الأطفال جيلاً بعد جيل .. ثم الأعمال المعاصرة التى ثبت نجاحها ، بل إن بعضها أصبح من الكلاسيكيات وأصحابها مازالوا أحياء .. ولدينا قائمة طويلة بأسماء هؤلاء ..

ونحن بهذا الكتاب نعرض ماذا جرى ، ويجرى فى عالمنا .. ماذا يكتبون ؟ ماهى الأسماء التى لمعت فى هذا المجال ؟! .. إننا نستهدف أن يترجم لهم القادرون ، لا أن ينقل عنهم الناقلون .. بل نرفض أن يقلدهم كتّابنا .. إننا نسعى إلى خلق جيل جديد من « المؤلفين » ، من « المبدعين » من « المبتكرين » ، من « الخلاقين » ، حتى يصبح لهذا المجال فى بلادنا مكانته العالمية ..

غداة انتصارنا فى معركة تأميم شركة قناة السويس ،وبعد فشل العدوان الثلاثى على مصر ، سقط إيدن رئيس وزراء إنجلترا ، وجى موليه رئيس وزراء فرنسا ، وألقى عبد الناصر يومئذ خطاباً مدوياً سخر فيه منهما ، خاصة رئيس وزراء فرنسا الذى استقال واعتزل ليكتب قصصاً للأطفال .. وكانت السخرية مريرة من موضوع كتابة قصص الأطفال الأمر الذى أزعجنى ، فكتبت يومها رسالة إلى عبد الناصر أقول له فيها إنه كان لدينا عشرات من رؤساء الوزرات ، ولو كان لدينا نفس الصور من كتاب الأطفال لما كان هذا حالنا ! وقلت إن الإنسانية تكسب أكثر لو أن هذا الرئيس المعتزل كاتباً جيداً للأطفال .. ورويت له قصة فى الخطاب ، قصة لقائى بواحد من جنود الطوارئ من الدانمرك ، سألنى إن كنت أعرف شيئاً عن بلاده ، وبالتحديد عن تاريخهاوالشخصيات الشهيرة من أبنائها .. وضحكت ، وأنا أقول :

هانز كريستيان أندرسون

وقد شاركنى الرجل الضحك ، فما من أحد يعرف أسماء ملوك الدانمراك — ربما عرفوا هملت أمير الدانمرك من رواية شكسبير !— أو أسماء رؤساء وزرائها ، لكن الجميع يعرفون أندرسون ..

وبالطبع لم أتلق ردًّا على رسالتى .. فهى من كاتب أطفال .

ويداعبنى الصديق أنيس منصور حين يقدمنى لأصدقائه الأجانب ، ويسمينى :

ـــ هانز « مسلم » أندرسون !

وهو شرف عظيم .. مجرد أن يقرن اسمى باسمه .. لأننى أعرف قدر إنتاجنا وكتاباتنا ، وأجد نفسى فى حاجة ماسة إلى مزيد من التواضع كلما سبرت غور أدب الدول المتقدمة للأطفال ، وكلما نهلت من أنهارها العذبة ..

ولقد لاحظت أن كتاب الأطفال فى كل بلد لهم منهج ، وكل طفل يشب وعليه بصمة من فيلسوف أو مفكر ، يصعب على الكاتب إن أراد أن يتحرر منها .. الطفل الفرنسى عليه بصمة « ديكارت » ، والطفل الإنجليزى نجد عليه آثار « فرانسيس بيكون » ، وكذلك الطفل السوفيتى : « ماكرينكو » ترك عليه طابعاً ما ، أما الطفل الأمريكى فلن يسلم أبداً من « جون ديوى » .. والسؤال الذى كنت أطرحه دائما على نفسى :

ـــ أى بصمة نريد أن تكون على طفلنا العربى ؟

وتنبهت لما أفعله ، وصديق من العراق يسألنى :

ـــ ما هذا الفيض من كتاباتك عن الرسول ﷺ ؟! وابتسمت ، ورددت عليه : إننى أريده قدوة .. ومثلًا أعلى .. لكل طفل عربى .. نريد أن نتأسى به ، ونمضى على طريقه ..

وواصلت الكتابة عن محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام .. وآخر أعمالى عنه سلسلة « محمد خير البشر » الذى أصدرته دار الكتاب المصرى ..

بقيت كلمة ...

أنا مدين لأسرتى بالكثير .. فإن زوجتى وأولادى ساندونى بحق وصدق ، فلهم على تشجيعى الشكر كل الشكر ، والامتنان كل الامتنان ..

عبدالتواب يوسف

القاهـــرة

فبراير عام ١٩٨٥

كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر

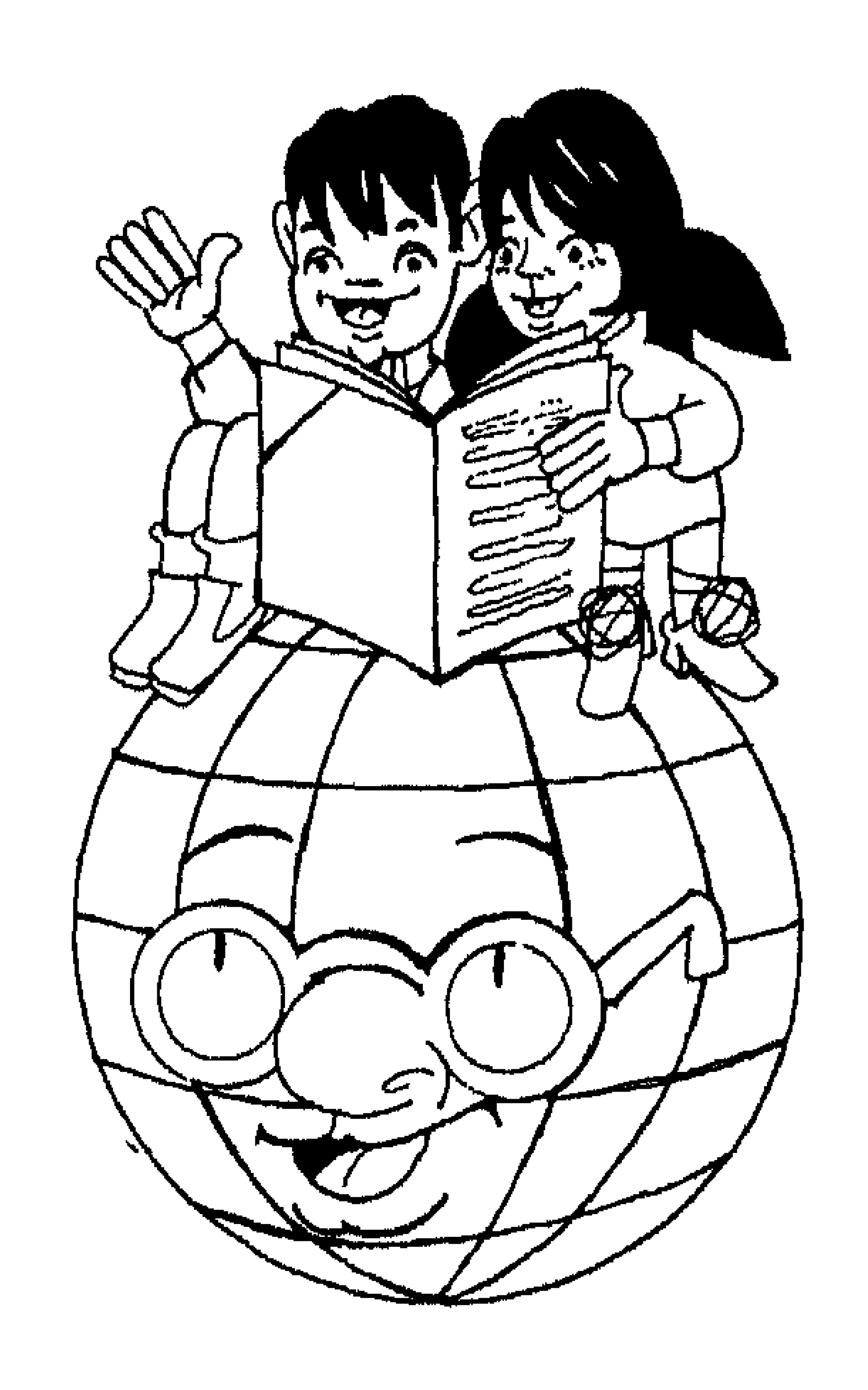
القسم الأول

كتب الأطفال
فى
الدول النامية

كتب الأطفال في عالمنا المعاصر

تواجه الدول النامية أزمات اقتصادية ومشكلات اجتماعية ومصاعب في شتى مناحى الحياة .. وهى في مجال كتب الأطفال تعانى ما يمكن أن نطلق عليه « مجاعة » فإن ما تنتجه منها لا يكاد يسد الرمق ، وما تستورده يزيد الأطفال شعورا بالحاجة الماسة إلى هذا الزاد العقلى .. ولما كان الطفل هو صانع المستقبل ، والكتاب هو « صانع » الطفل ، فنحن أمام قضية بالغة الأهمية والخطورة .. إن ذلك يعنى استمرار سيطرة الدول المتقدمة على هذه الدول فى المستقبل القريب والبعيد من خلال تفوق أبنائها ، والسؤال الذى يطرح نفسه ، فى استنكار :

لماذا تتجه الدول النامية إلى الدول المتقدمة من أجل كتب الأطفال وأدبهم ؟!



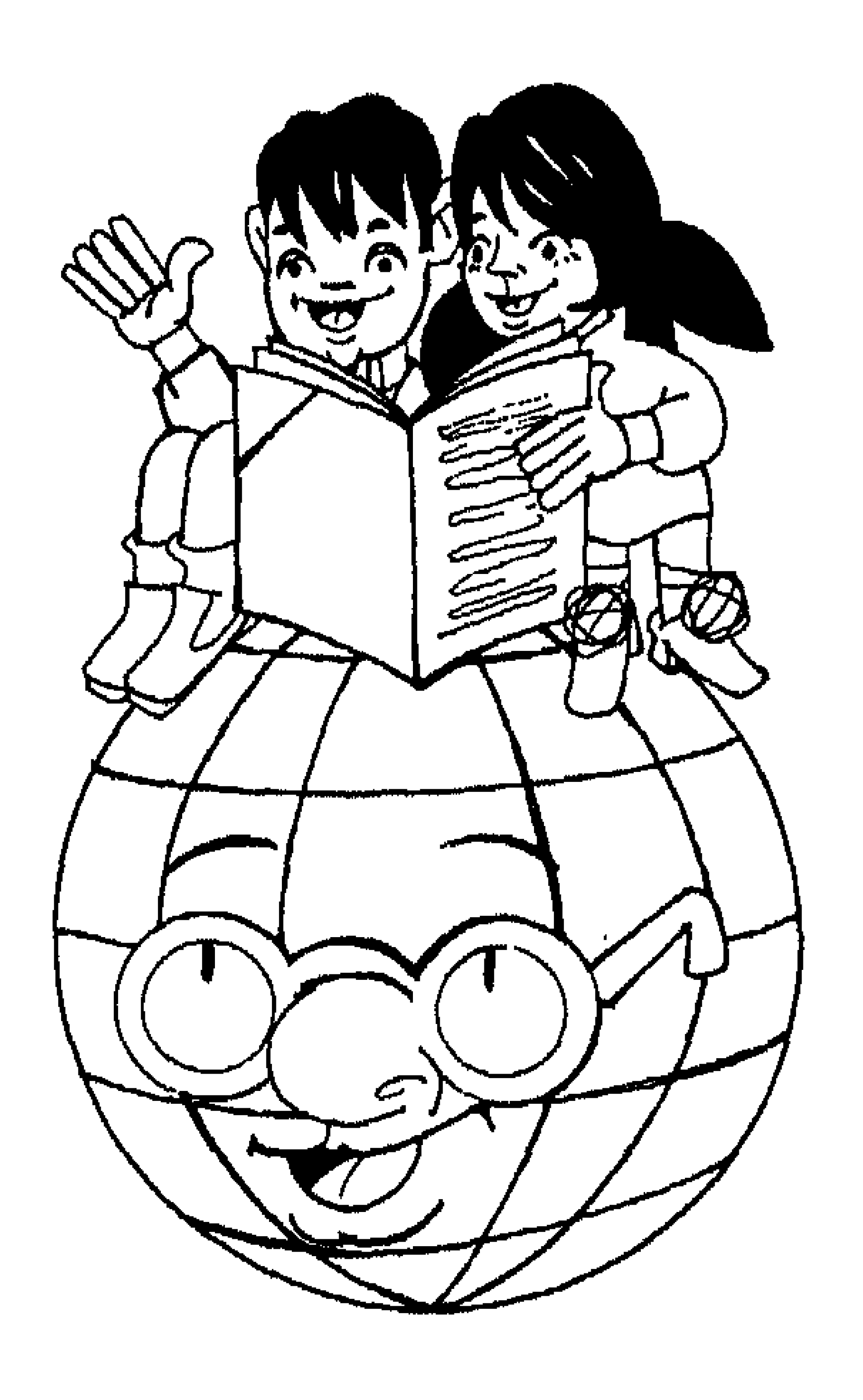
استطاعت الدول المتقدمة منذ الثورة الصناعية أن تصنع حضارة رفيعة المستوى ، كما تمكنت من استخدام تكنولوجيا متفوقة ، وكان فى مقدورها أن تمد ذراعها الطويلة للسيطرة والاستغلال .. لكن الدول النامية وضعت أقدامها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على طريق الحرية والاستقلال ، وأجدر بها أن تنهج فى كل مجال من مجالات الحياة ما يؤكد ذلك ، فلا تعيش عالة على مائدة الغير وبالذات فى مجال الثقافة ، حيث يمتد تراث هذه الدول عميقا عريقاً فى باطن التاريخ ، ولها فى مأثوراتها الشعبية ما يمكن أن يكون نبعا ثريا ترده لخلق ثقافة قومية تحاول فيها أن تضفر الأصالة بالمعاصرة .. غير أن أجهزة الدول المتقدمة لا تمكنها من ذلك ، وتتسلط عليها ببريقها الأخاذ .. وتخطف منها الأبصار ، وتشدها بقوة وعنف فلا تجد لنفسها سبيلا للفكاك ، بل ترضى لنفسها هذا الأسر « الممتع » وتتقبل التقدم العارض بديلا عن العراقة والأصالة ، ولا تكتشف ذلك إلا بعد مرور وقت طويل ، تكون قد استمرأت خلاله الوضع ، واستراحت إليه ، واقتنعت بصعوبة تغييره وهنا يبرز تساؤل آخر :

من يقول إن التقدم التكنولوجى يحمل لنا مضمونا إنسانيا أفضل من ذلك الذى تحمله آداب الدول النامية وتراثها ؟

الغرب
نهب اقتصادنا
وقصصنا

إننا نعرف مدى تقدمهم ، ونحس بالغيرة إزاءه ، لكن ذلك يجب ألّا يغرينا بإهمال ما لدينا ، ويجب ألّا يدفعنا إلى إغراق أنفسنا بما عندهم ، وبالذات للأطفال الذين نربيهم لزمان غير زماننا .. إن للدول النامية حضارتها وأدبها وتراثها ، وهو أقرب إليها من أدب « الغير » وهو أقرب إلى أبنائها ، فلماذا لا نحتضنه وهو مثار اهتمامهم هناك فى الدول المتقدمة ، وقد قدموه إلى أبنائهم فى سخاء ؟! .. ما من طفل هناك إلّا ويعرف « سندباد » وتستثير خياله مغامراته الرائعة فى البحار ، بل لعله لفت أنظار الإنجليز – الذين يعيشون فى جزيرة – إلى البحار ، لكى يكونوا أساطيلهم ويسودوا المياه .. وما من طفل هناك إلا ويعرف جيدا على بابا و « افتح يا سمسم » بل إن هذه العبارة أصبحت عنواناً لأضخم مسلسل تليفزيونى لأطفال فى سن ما قبل المدرسة ، وقد أنتجت أمريكا من هذا البرنامج أكثر من ألف وخمسمائة حلقة ، مدة كل منها ساعة ، وعرض فى عشرات الدول النامية ، ونشرت قصة على بابا فى مئات من الطبعات ، وجميع أطفالهم يعرفون جيدا علاء الدين ومصباحه السحرى ، وقد عرف هؤلاء الأطفال كيف يحلمون بهذا المصباح ، واتسعت بذلك خيالاتهم ، لكنهم أدركوا أن تحقيق الآمال يتأتى بمصباح آخر هو العزيمة ، وهو العمل .. وقرأ كل أطفال الغرب « الأسفار الخمسة » أو « البنجاتنترا الهندية » ومعها كليلة ودمنة ، واستمتعوا بما أجراه الإنسان الشرقى من أحداث وحكم فى دنيا الحيوان ، وتم تبسيط هذه الحكايات لكى يطالعها الصغار ويتأثروا بما فيها من قيم وسلوكيات .. ونسج الغرب روايات على نسق السير الشعبية العربية التى تعرفوا عليها خلال الحروب الصليبية ، وقلدوا هذه الروايات من أمثال سيف بن ذى يزن والسيرة الهلالية ، وكتبوا « فرسان الملك أرثر » على منوالها .. كما جمع جوزيف جاكوبرواند رولانج الحكايات الشعبية من الشرق ومن الهند ، والتقطها « هاريس » فى قصص العم ريموس من أفواه

الزنوج الأفارقة فى أمريكا ، وصيغ كل ذلك فى كتب للأطفال تعتبر الآن من الكلاسيكيات التى تضمها قوائمهم ، وهم يضعون على رأسها ألف ليلة .. وكلنا يعرف أن حى بن يقظان هو روبنسون كروزو ، إلى غير ذلك مما يمكن الاستشهاد به .



الاتصال والانفصال بين الدول النامية

ولسنا هنا بصدد تعداد مدى تأثر أدب الغرب بأدب الدول النامية ، وإن كان هذا موضوعا جديرا بالبحث والدراسة ، لكننا فحسب كنا نؤكد بأمثلة عملية أن لدينا ما أخذوه عنا ، وحرمنا منه طويلا ، وأجدر بنا أن نحتفى به ونحتفل ، وأن نمنحه اهتمامنا ، وإلّا كنا ورثة سفهاء لثروة نبددها فى حماقة شديدة .. ولعل أول ما نستهدفه بهذه الورقة أن نلفت النظر إلى ذلك المصدر الرائع والنبع الثرى الذى يمكن تبادله بين بلدان الدول النامية ، ويمكن استلهامه واستيحاؤه فى أعمال جديدة للأطفال ، ولعل تعاون هذه الدول يثمر شيئا جديدا يفيد الإنسانية جمعاء ويكون إضافة حقيقية للآداب العالمية .. والسؤال : لماذا نهتم بالترجمة عن الغرب ، ولا ننهض بنقل آداب الدول النامية بين بعضها ؟

إن إهمال الأدب الآسيوى ، والإفريقى ، وأدب أمريكا اللاتينية أمر مؤسف ، والتقبل الأعمى للأدب الغربى أمر مرفوض ، لأننا نأبى أن يهيمن أدب على أدب ، لكننا فى حاجة إلى إيجاد جسور بين آداب الدول النامية ، ولابد من تحقيق الاتصال الثقافى المفتقد بين هذه الدول ، وذلك بواسطة دراسة منهجية تلاحظ الصيغ المشتركة ، وترصد التشابهات والاختلافات .. إن الاتصال بالغرب قد أحدث الانفصال بيننا وبين أنفسنا ، وبيننا وبين بعضنا البعض فى الدول النامية ، كما كانت له آثاره السلبية التى يجب أن نعرض لها .. إن كتب الغرب وبرامجه رسخت فى أبنائنا قيما غريبة عن أوطاننا لذلك يقف البعض ضدها فى عنف ويرى فيها غزوا فكريا ، ويدللون على ذلك بعدة شواهد عالمية ..

شواهد عالمية
على
محاولات الغزو الفكرى

فى ندوة عقدت فى تامبير بفنلندا من ٢١ إلى ٢٣ مايو ١٩٧٣ ، قال : د . أورهو كيكونين رئيس الجمهورية :

« عندما تمت صياغة الإعلان العالمى لحقوق الإنسان بعد الحرب العالمية الثانية كانت الخطوط الهادية مستوحاة من النظرة اللبرالية للعالم حسب أفكار وروح آدم سميث وجون ستيوارت ميل ، وكانت أبرز القيم فى عالم المال والعقائديات هى حرية العمل والتجارة بغض النظر عمن يكون النجاح على حسابهم فى هذا العالم ، لقد أعطت الدولة حق العمل والتصرف للجميع ، ولكنها لم تضطلع بمسئوليتها تجاه النتائج ، وهكذا أدت حرية الأقوياء إلى نجاحهم فى حين ضاع الضعفاء فى المعترك برغم حريتهم المزعومة .. وتدفق المعلومات بين دول العالم يمضى فى اتجاه واحد وعبر طريق غير متوازن ويفتقر إلى العمق والمدى الذى تتطلبه وتفرضه مبادئ حرية التعبير » .

وقد أوضحت الدراسة المشتركة بين ندوة تامبير واليونسكو اتجاهين لا جدال حولهما فى مجال التدفق الدولى للمعلومات : الأول أنه تدفق ذو اتجاه واحد من الدول الكبرى المصدرة إلى باقى دول العالم .. والثانى أن المادة الترفيهية هى السائدة فى هذا التدفق .. وتشير دراسات ندوة تامبير – التى شاركت اليونسكو فيها سنة ١٩٧١ – إلى أن التدفق الحر للمعلومات ، والذى تدعمه القوة الاقتصادية ، قد أدى إلى موقف عالمى أصبح فيه الاستغلال الثقافى لكثير من الدول فى مرتبة ثانوية بالنسبة للحصيلة الاتصالية والمفاهيم التى تبثها قلة من الدول الكبرى ، والتى تتحكم فى اقتصادها تقلبات الأسواق .. وقد استخدمت المعلومات كأداة هامة لتحقيق استراتيجيات ثقافية فى الدول الرأسمالية بهدف من نفوذ أنظمتها والدفاع عنها فى مواجهة بعضها البعض وفى مواجهة الدول الاشتراكية ، أما بالنسبة للدول النامية فإن هذه المعلومات تشيد مراكز داخل حدودها يمكن من خلالها للدول صاحبة هذه البرامج أن تمارس نفوذها على هذه الدول النامية ..

الغزو الفكرى
فى مجال
أدب الأطفال

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن هذا كله ينطبق على كتب الأطفال ، وبرامجهم ، بل إن هناك تركيزا على الأطفال تمهيدا للسيطرة عليهم مستقبلا ... التخطيط يتم لهذا فى دقة ، ويجب أن نتنبه لهذا الخطر ، وهو يبدو جليا واضحا فى مجلات الأطفال وكتبهم ، إذ تتدفق مطبوعات ميكى وتان تان ، وغيرها لتسد الطريق على الإنتاج المحلى ، وفى نفس الوقت تسهم فى « أمركة » الأجيال الجديدة ، ونحن لسنا ضد « الثقافة الأمريكية » داخل أمريكا ، بل نحب أن نفتح لأبنائنا نافذة عليها ، ليواكبوها ، ويتعرفوا إليها ، ويستوعبوا كل ما هو إنسانى فيها .. لكننا ضد الغزو من جانبهم لأبنائنا ولنا .. وكم نفتقد الإبداع الفنى فى مجال

أدب الأطفال ثمرة لما ينقل إليهم من أدب غث ، لا يعطى شيئا ، ولكنه مثير ، وجذاب ، وهو لذلك يقطع الطريق على من لديهم ملكة الإبداع ، إذ ليس فى طاقتهم منافسة هذا الكم الوارد من القصص الأجنبى – الاستهلاكى المتمثل فى الكارتون المطبوع بأناقة فى ألوان زاهية .

تثبيت الأسعار
و
الأفكار

وفى ندوة الحوار الكندى الأمريكى ، فى مايو ١٩٧٦ ، كان فولكنز وزير خارجية كندا صريحا فى خطابه .. قال « ولئن كان الاحتكار أمرا سيئا فى صناعة استهلاكية فإنه أسوأ إلى أقصى درجة فى صناعة الثقافة ، حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأسعار بل على تثبيت الأفكار أيضا ، فلو تَمَلكَ الأجانب صناعة الفكر فى بلد لاعتبرنا ذلك احتكارا من وجهة نظرنا ..

« إن الاتجاه السائد بالميل للقراءة عن الولايات المتحدة وليس عن الوطن اتجاه مثير للفزع .. إن مشكلتنا مع الولايات المتحدة ليست مقصورة أساسا على حجم الولايات المتحدة أو على أننا نرقد على سرير واحد مع فيل ضخم – على حد التعبير فى هذا التشبيه المعروف – ولكن أكبر مشكلة تواجهنا هى مدى جاذبية الحياة الأمريكية والولع بمؤسساتها والمستوى الثقافى الرفيع الذى حققته ... إننا نُجْتَذَبُ بعنف شديد إلى الولايات المتحدة لثروتها ، ولثراء وتنوع الحياة فيها »

« نحن لابد أن نضمن أن صناعة نشر الكتب لن تتصدع ، وأن لها مجالها فى النمو والتطور ، ولهذا فإنكم سوف تشاهدوننا فى كندا ونحن نتخذ الإجراءات التى تضمن صحة هذه الصناعة ، إجراءات تتضمن الفحص الدقيق لأى وجود أجنبى جديد يهدد صناعة نشر الكتب فى بلدنا » وكندا واحدة من عشر دول

متقدمة لكن مجلة ريدرز دايجست الأمريكية تلقى إقبالا جعلها تبيع ملايين النسخ وتربح من ورائها ملايين الدولارات ، فى حين تغلق المجلات الوطنية أبوابها !

هذا كله يجعلنا حذرين إزاء الثقافات الأجنبية الوافدة ، لكنه يجب ألّا يجعلنا نغلق النوافذ من دونها ، ونقاومها بالمنع ، والحيلولة بينها وبين الوصول إلى أيدى المواطنين ، بل إن الأسلوب الأمثل هو وضع البديل ، الوطنى المحلى ، الذى يمس الوجدان لأنه يعبر عن البيئة وتمتد جذوره عميقة فى نفوس متلقيه .. ولا رغبة لنا فى التخلف عن مواكبة العصر ، وعن مواصلة الاتصال بما يفرزه ويقدمه إلينا ، لكننا نرفض أن ننساق ويجرفنا التيار ـــ خاصة مع الأطفال ـــ فإن الغزو الفكرى لهم يعنى السيطرة على مصائر أوطاننا مستقبلا ، واستعمارها واستغلالها من جديد ، بلا أساطيل أو جيوش .. إذ يتم الغزو من داخل النفوس والعقول ، ولعل هذا أشد فظاعة حتى من الاستعمار الاستيطانى .

الكتاب المدرسى
و
كتب القراءة العامة

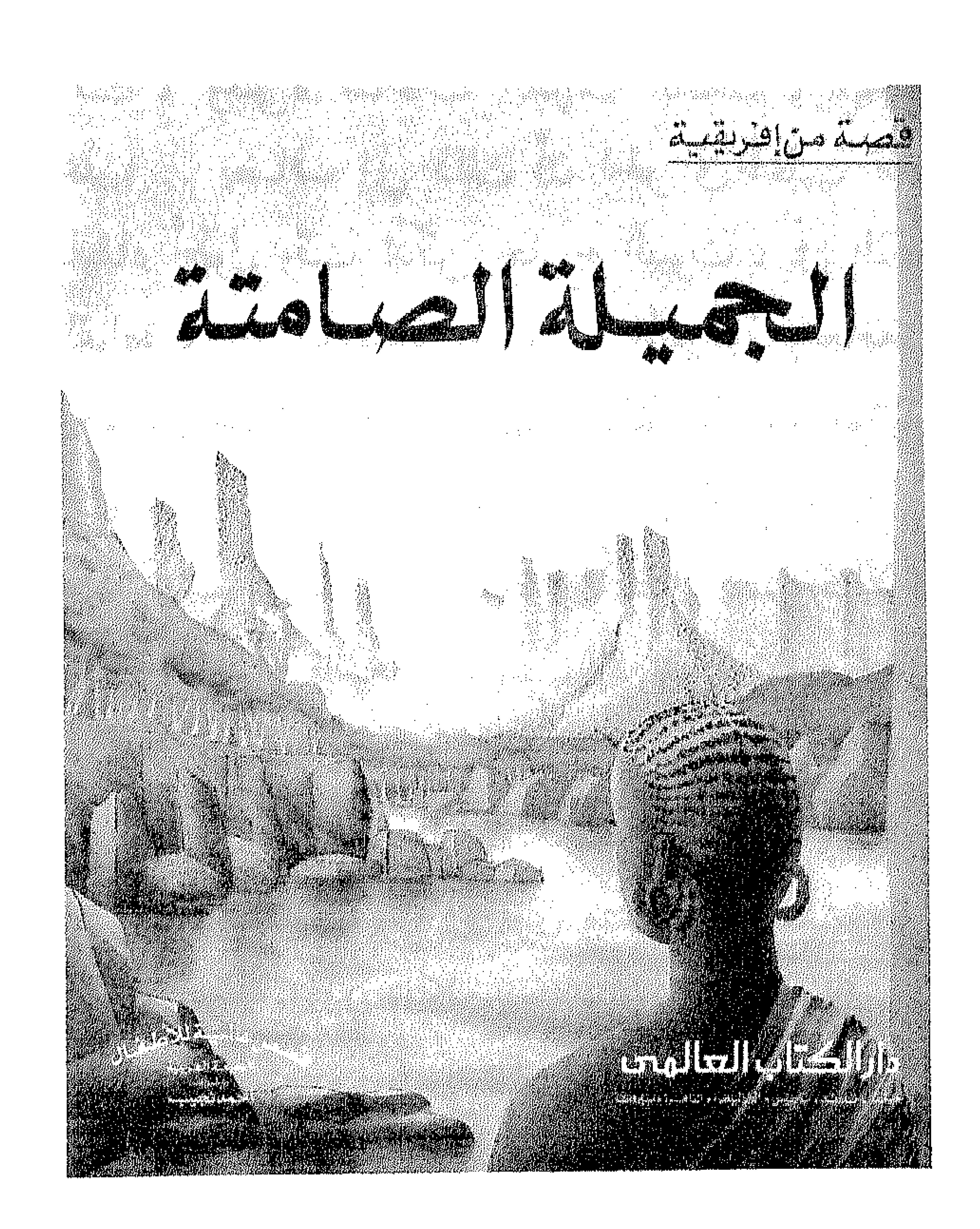
والسؤال الهام هل لدينا معلومات عن كتب الأطفال وأدبهم فى الدول النامية ؟ هل عندنا تصور لها ، ورؤية واضحة ؟

إن تدفق المعلومات من الدول المتقدمة إلى الدول النامية يحول بين تدفق هذه المعلومات بين بلدان الدول النامية وبعضها البعض ، بل إن مصادرنا لهذه المعلومات ذاتها يأتينا من الدول المتقدمة التى تقدمها من وجهة نظرها وبصورة مشوشة .

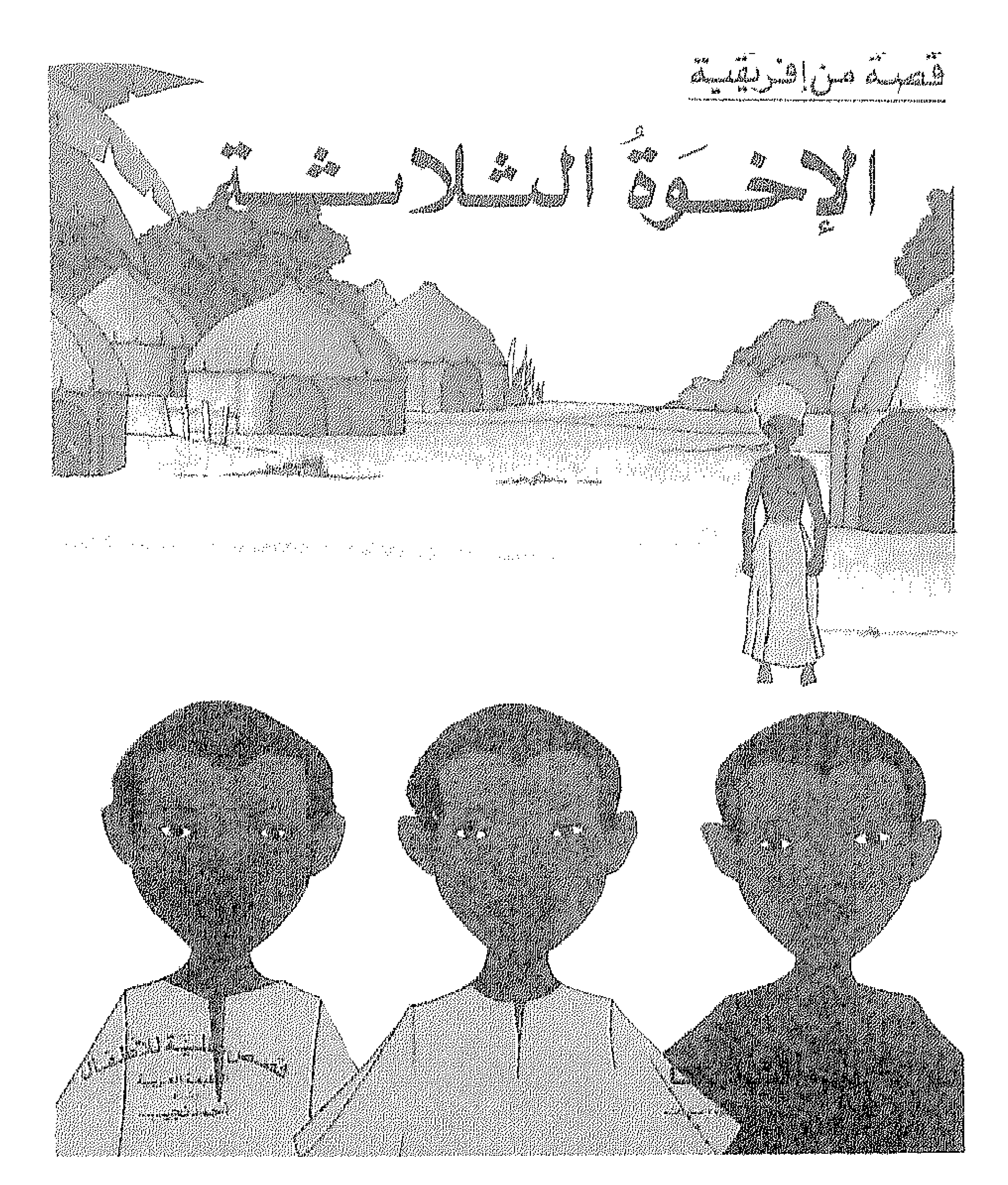
ويرتبط الكتاب فى أذهان المجتمعات الإفريقية والآسيوية النامية بالمدرسة ، ويستمد كل قيمته من أنه وسيلة تعليمية ، لا أكثر ، أما القراءة للثقافة ، والمتعة واستثمار وقت الفراغ فذاك أمر لم يصبح جزءا من الممارسة الحياتية ، ولم تتكون بعد العادات القرائية ، ولم تتحدد الميول ثمرة لذلك .. ولما كانت نسبة الأمية مرتفعة فإن دور الأسرة فى التدرب على القراءة شديد التواضع ، خاصة وهى أسرة كبيرة العدد ، يثير أفرادها ضجيجا لا يسمح للطفل بالتركيز اللازم للقراءة ، كما أن الكتب مرتفعة الثمن ، وفوق قدرة الدخول المحدودة ، لذلك تخلو معظم البيوت منها ، فضلا عن أن نسبة من الأطفال تشارك بالعمل مساعدة لأسرها ، فلا يتبقى لها وقت يسمح بالقراءة ، خاصة أن الإضاءة فى البيوت – ليلا – لا تيسر ذلك .. لهذا ، فليس لدى الأطفال فرصة للقراءة : خلال ساعات الدراسة ، وما أقصرها ، إذ أن بعض المدارس تعمل أكثر من فترة ، لذلك لا يترك للقراءة الحرة وقت ، وتمتلىء ساعات الدراسة بالتعلم ، ويكتفى فى مجال القراءة بالتدرب عليها .. يضاف إلى ذلك أن الجو فى أغلب هذه البلاد حار ، يدفع الأطفال للبقاء أطول وقت ممكن خارج البيوت ، فى اللعب ، الأمر الذى لا ييسر لهم القراءة ، بجانب ندرة المكتبات المدرسية والعامة ، وصعوبة استعارة الكتب أو الحصول عليها .. وعلى ذلك ، فالظروف غير مواتية بالنسبة للطفل كى يقرأ ، بل كثيرا ما تقاوم الأسرة أطفالها إذا هم أقبلوا عليها ، بدلا من حثهم وتشجيعهم ، وإذا تحمس المعلمون ونصحوا الأطفال بضرورة الاتجاه نحو القراءة ، فسوف يجدون مجال الاختيار واسعا أمامهم ، إذ أن الكتب محدودة وبالذات باللغات الوطنية ، لهذا لا يلقى الأطفال المساعدة الكافية لإدراك متع القراءة وعائدها الكبير .. هم يتعلمون كيف يقرءون ، لكنهم لا يجدون ما يقرءونه .. إن الكتاب بعيد عن أيديهم لأنهم يعيشون فى قرى متناثرة ، ليست بها مكتبات عامة ، إذ تتركز هذه فى العواصم والمدن الكبرى .. وإن كانت هناك زيارات ورحلات يقوم بها الأطفال للمكتبة ، وتتم من أجل المشاهدة ، لا القراءة .. وحوانيت بيع الكتب لها نفس الوضع .. ودور النشر مجهودها متواضع وظروفها صعبة إزاء ارتفاع أسعار الورق ،

وتكاليف الطباعة بالألوان .. كما أن القوة الشرائية فى يد الكبار وليست فى يد الأطفال ، ومحاولة دور النشر إرضاء الطرفين أشبه بركوب جوادين كُلٌ منهما يسير فى اتجاه .

على أن كل ذلك يجب ألا يحول بيننا وبين أن نتلمس طريقنا ، بحثا عن مادة تعيننا على معرفة ما يجرى بشأن كتب الأطفال فى إفريقيا ، وفى آسيا ، وفى أمريكا اللاتينية ، وفى الوطن العربى .. وكان كتاب « آن بلووسكى » عالم أدب الأطفال الصادر فى أمريكا واحدا من أهم الكتب التى اعتمدنا عليها ، بجانب قائمة « طبع للأطفال » الصادرة عن معرض فرانكفورت الدولى للكتاب عام ١٩٧٩ معينا على تلمس سبيلنا فى هذا المجال ، مع قائمة كتب الأطفال فى آسيا الصادرة عن المركز الثقافى لليونسكو فى طوكيو .. بجانب عدد كبير من الكتب والمطبوعات عن هيئة منظمة اليونسكو ..



كتب الأطفال
فى
إفريقيا السمراء



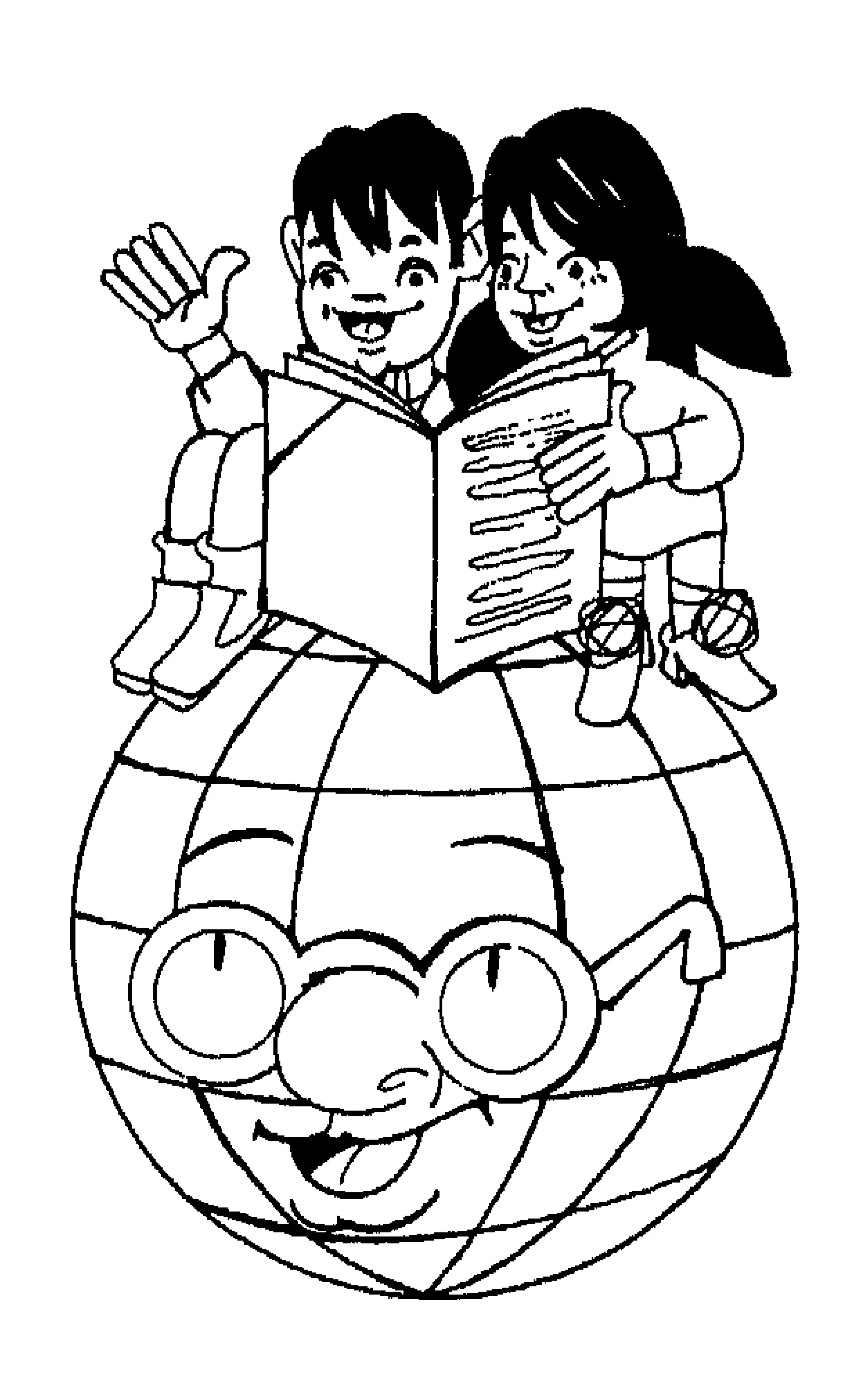
حين نتحدث عن كتب الأطفال فى إفريقيا يجدر بنا أن نتنبه إلى أن أغلب دولها لم تضع أقدامها على طريق الاستقلال إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وقد ترك الاستعمار مدارسها فى حالة يرثى لها ، والأطفال فى هذه المدارس يفتقدون الكتاب المدرسى ، لذلك فإن الكتاب الثقافى للطفل يعتبر لونا من الترف والرفاهية ،خاصة إذا كان بلغة البلاد الأصلية . ونحن بحاجة – لكى يكون حديثنا أكثر تحديدا – إلى تقسيم إفريقيا – القارة العذراء السمراء – فى مجال كتب الأطفال إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : البلدان التى احتلتها إنجلترا .

القسم الثانى : البلدان التى احتلتها فرنسا .

القسم الثالث : البلدان التى حافظت على لون من الاستقلال .

كما أن الحديث عن كتب الأطفال فى البلدان العربية - الإفريقية - لابد أن يكون مستقلا ، وعلى حدة ، ومرتبطا فى الوقت نفسه ببقية البلدان العربية الآسيوية .. ونحن نعرف أنه كانت للاحتلال الإنجليزى والفرنسى سيئات وسلبيات كثيرة ، ويجدر بنا وقد شببنا عن الطوق ، أن نتوقف قليلا لنتعرف بأن الاتصال بالدول الغربية المتقدمة - ولو من خلال الاستعمار - كانت له بعض جوانب ضئيلة من الإيجابيات والحسنات ، فالعلم والموضوعية يحتمان الإشارة إلى أن الحملة الفرنسية على مصر كانت بداية يقظة واسعة النطاق .. وكل الإيجابيات التى حصلت عليها المستعمرات الإفريقية جاءت عرضا . إذ فتح ذلك الاتصال عيون الأفارقة على التقدم الحديث ، وعلى الكثير مما يجدر بالمواطنين المسحوقين التطلع إليه ، كما أن النشاطات الاقتصادية الإستغلالية قد تركت بعض الفتات لسكان البلاد الأصليين ، وكانت المحاولات التبشيرية فى مجالى التعليم والصحة - مع التحفظ على دور هذه الإرساليات - قد نبهت المواطنين فى تلك المستعمرات إلى قضايا بالغة الأهمية ، ودفعتهم إلى مكافحة المرض والجهل .. ولم يكن هدف الاستعمار إنسانيا وهو يفيد هذه البلدان ، لكن الفائدة جاءت عرضا ، كأن تحتاج الدولة المستعمرة إلى أعوان ، وإلى أيد عاملة متعلمة ومدربة ورخيصة فى نفس الوقت ، فما أحست الدول المستعمرة بأية مسئولية تجاه مستعمراتها ، برغم تقولاتهم وتخرصاتهم فى هذا المجال .. غير أن أروع ما صنعه الاستعمار بهذه البلدان أنه كان تحديا لها ، ووسيلة إلى بلورة شخصيتها الوطنية ، وسبيلا للبحث عن هويتها القومية ، الأمر الذى أثمر لونا من معرفة الذات والاعتزاز بها ، برز من خلال الكفاح والانتصار على هذه الإمبراطوريات الكبيرة ، مما غرس فى مواطنى هذه البلدان مزيدا من الثقة بالنفس والقدرة على مواجهة التحديات والمشكلات .



أ –
كتب الأطفال
فى
إفريقيا البريطانية

كان مجال كتب الأطفال واحدا من مجالات الاستغلال والاستثمار بالنسبة للإنجليز فى البلدان التى احتلوها ، ومع عام ١٩٣٠ بدأت دور النشر البريطانية لأسباب تجارية بحتة وضع عناوين كتب إفريقية فى قوائمها ، بعضها كتب بأقلام إفريقية ، والبعض الآخر كتبه إنجليز مقيمون فى هذه البلدان ، أو مدرسون عملوا بها ، وأغلب هذه الكتب كان يتخذ مادة تعليمية ، نشرت فى شكل رخيص ، وبكميات ضخمة بهدف تكريس الاستعمار ، وبغرض الربح المادى ، وقد فرض الكثير من هذه الكتب كمقررات دراسية ، وقد تضمنت بعض هذه الطبعات كلاسيكيات فقيرة المظهر ، استفادت دور النشر من مرور خمسين عاما على وفاة أصحابها للتخلص من دفع حقوق النشر !.، وقد تم تبسيط هذه الأعمال الكلاسيكية إلى أن أُفرغت تقريبا من مضمونها الإنسانى الرائع .. وكان الاختيار يقع على أعمال تمجد الإمبراطورية ، وتشيد بإنجلترا وتاريخها « العريق » واستغلت هذه الكتب لتعليم الإنجليزية كلغة ثانية ، وكان لها حسنة واحدة هى أنها إلى حد ما لفتت نظر الأطفال إلى أعمال أدبية عالمية رفيعة المستوى ، لكن المعلمين لم ينبهوا الأطفال إلى ذلك ، إذ أن مضيهم على هذا الطريق عائده كبير ، هو يفتح الآفاق أمامهم ، ويثير الأفكار ، وهو مما لا ترغب فيه الدولة المستعمرة .. وكانت

مقارنة الإنتاج المحلى بهذه الأعمال الأدبية يشعر الأطفال بمدى تخلف بلادهم ، ولم يكن ذلك يدفعهم للعمل على التقدم بقدر ما يشعرهم بالإحباط والدونية .. ولكن ذلك دفع بعض البلدان الإفريقية إلى إنشاء مكاتب تنهض كذلك بعبء نشر هذه الكتب ، وبعضها كانت له ثمرات طيبة ، إذ اتجه كثيرون إلى الأدب الشعبى ، وصاغه فى أعمال لقيت الإقبال .. إن قلة الخبرة جعلت هؤلاء لا يحسنون الاختيار ، ولا يدققون فيما يمكن تقديمه للأطفال ، وما لا يمكن ، وقد سعى البريطانيون عن طريق « المجلس البريطانى » إلى إنشاء مكتبات تقتنى فى الغالب كتب الناشرين البريطانيين بكميات كبيرة ، لكن هذه المكتبات كانت سبيلا وحيدا لقراءات الأطفال .. وقد أنشئت عام ١٩٤٩ أول مكتبة للأطفال فى غانا ،وخلال عشر سنوات أصبحت هناك خمس عشرة مكتبة ثم أُنشئ فى يناير عام ١٩٥٠ مكتب خاص للمكتبات ، وجدت فيه مس إيفيلين إيفانز أمينة مكتبة المجلس البريطانى معينا لها ، كما أن كتابها « الخدمات المكتبية فى المناطق الاستوائية » خير مساعد لها فى مهمتها . وقد بدأت الخدمات الخاصة بالمكتبات تنمو وتزدهر فأقيمت فى المدن الكبرى دور لها ، جديدة جذابة ، تحتوى على الكثير من الكتب بالإنجليزية واللغات الأخرى ، وأُنشئت مكتبات مدرسية تتضمن كتبا غير المقرر فى الدراسة ، وصل عددها إلى كتاب لكل طفل فى المدرسة .. والاستعارة الخارجية مسموح بها .. والموجود من الكتب فى هذه المكتبات لابأس بحالته ، ويبقى سليما لفترة طويلة ، نتيجة للزيارات التى تتم كل ستة أشهر من مفتشى هيئة المكتبات .. والكتب باللغة المحلية قليلة بالطبع ، وهى لا تكفى الاحتياجات المطلوبة ، كما أنها ليست فى مستوى جاذبية الكتب الإنجليزية التى تلقى الإقبال .. لكن هيئة المكتبات هذه تعمل جاهدة ، على أن تجعل من غانا بلدا قارئا ، برغم كل شيء .. وتحكى دوريس نايلندر فى كتيب لها عن تجربة فريدة قامت بها فى المكتبة العامة فى أكرا عن نادى قلم دولى للمراسلة بين الأطفال نظمته منذ قرابة الثلاثين عاما ، وكانت له نتائج إيجابية كبيرة .. كما درست جريس أوفورى اتا ميول الأطفال القرائية فى غانا كما اهتمت بالفروق مابين أطفال المدن وأطفال القرى فى هذا المجال .... وهناك سبع دور نشر تهتم بكتب

الأطفال ، وقد صدر عام ١٩٧٠ ستة عشر كتابا للأطفال بالإنجليزية والغانية ، ارتفعت إلى ٤٧ كتابا فى عام ١٩٧٥ .

وعانت نيجيريا كثيرا من تعدد اللغات المحلية فى أقاليمها ، الأمر الذى اضطرها للاعتماد على اللغة الإنجليزية وسيلة للتفاهم وسبيلا للقراءة ، مما عاق لفترة طويلة أطفال القرى عن القراءة المنتظمة ، لكن الخدمات المكتبية العامة فى المناطق الشرقية والغربية ولاجوس تمت بسرعة مذهلة ، وقام اتحاد للمكتبات المدرسية ومشكلاتها ، كما تقدم عرضا لبعض الكتب ، والتركيز فى هذا على الطفل الإفريقى ، كما أنهم يعملون جاهدين على الاعتماد على الكتاب المحلى وليس المستورد .. وتكون اتحاد لكتاب الأطفال عام ١٩٦٤ بواسطة مسز جين ديبونت ميلر ، كما عقدت فى « لاجوس » دورة تدريبية للكتاب الجدد للأطفال بواسطة مؤسسة فرانكلين الأمريكية .. وظهر فى منتصف الستينيات كتاب هام عنوانه (دور الكتاب فى الدول الحديثة) كتبه (شنوا أشيبى) وعالج فيه قضايا الكتابة بما فى ذلك الكتابة للطفل ، وأهمية الكتاب وتتبعه من أنه ضرورة لكل من يريد أن يعرف كيف يمكن للبلدان الحديثة أن تعبر عن نفسها وسبيلها إلى ذلك .. والكاتب مشهور ومعروف فى كل نيجيريا .. وكتبت مارجريت كوكس (ساعة الحكايات فى سامارو) ، وفيه حاولت إعداد القصص الشعبى الإنجليزى ليوائم البيئة النيجيرية وثقافتها ، فمثلا هى تجعل بيت الخنازير الثلاثة مصنوعا من الطين والحشائش الجافة .. كما أن اليونسكو قامت بتجربة فى مجال المكتبات المدرسية فى نيجيريا فأنشأت مكتبة نموذجية ، وجعلت منها مركزا تدريبيا على أعمال المكتبات بالنسبة للمعلمين فى منطقة لاجوس .. وكم نتطلع إلى مثل هذا العمل فى كل عواصمنا العربية .. ولمعت فى نيجيريا أسماء : شنوا أشيبى جولف (الفلات) (الطبلة) . (البنات فى الحرب وحكايات أخرى) واداك . اجوا ، كبريان اكوينسى ، كول أوموتوسو .

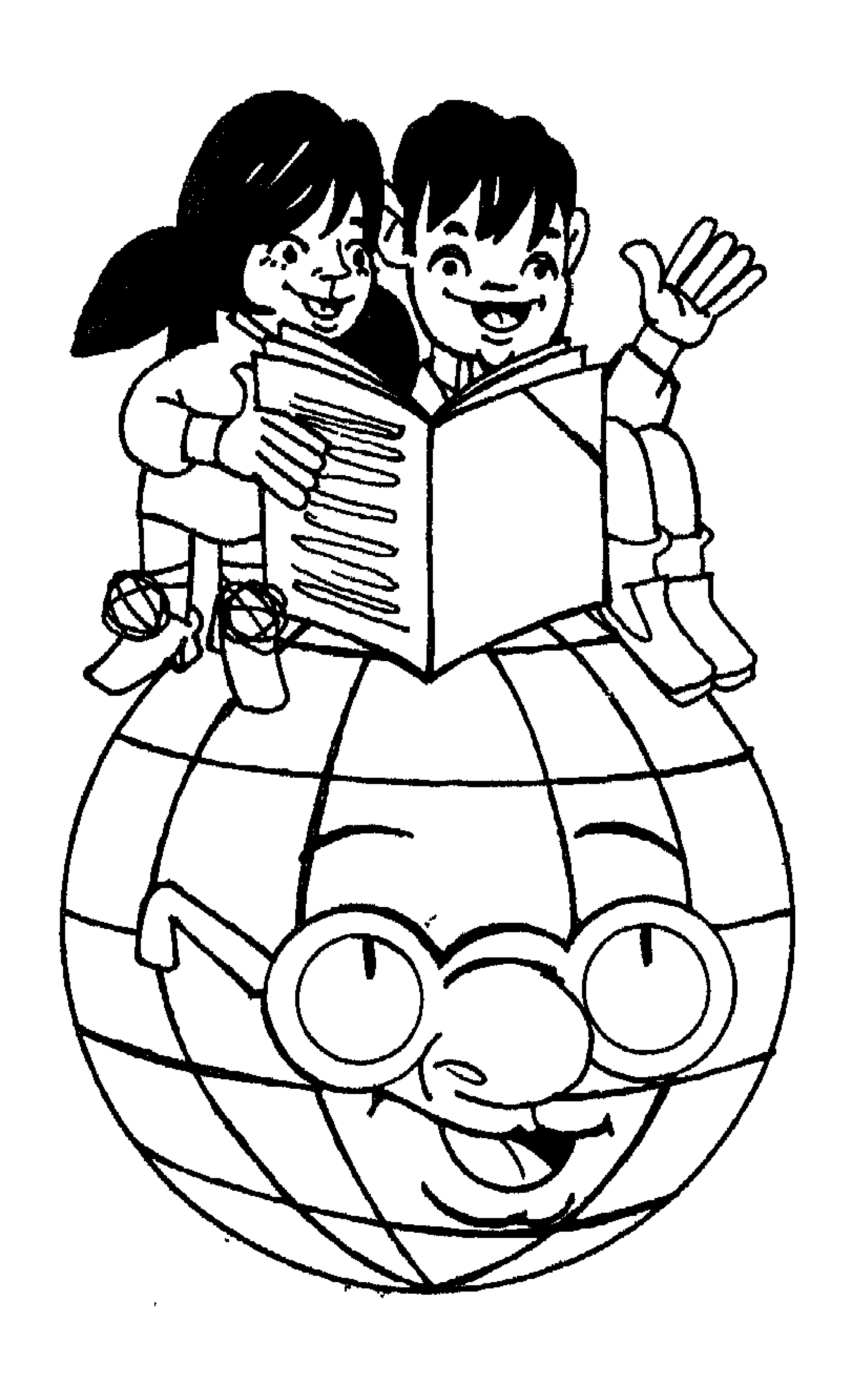
وكانت هناك فى شرق أفريقيا محاولة للتعاون بين كينيا وتنزانيا وأوغندا فى مجال كتب الأطفال .. وقامت منظمة دار السلام – عاصمة تنزانيا – لتحقيق هذا

الهدف .. لكن ما زالت فى حاجة إلى جهود لكى تنهض بهذا العبء ، وقد أنشأت جامعة ماكريري فى كمبالا – أوغندا – مدرسة لأمناء المكتبات ، وفى نيروبى – عاصمة كينيا – نشاط فى النشر للأطفال عن طريق (دار النشر لشرق أفريقيا) – ومكتبة ماكميلان ، وفى غرب أفريقيا تبذل ليبيريا جهدا في مجال كتب الأطفال ، ويبرز اسم أ . دوريس بانكى هينريس ، واسم أ . اليانى ولكل منهما أكثر من عشرة كتب للأطفال ..

وبدأت سيراليون تنشىء مكتبات للأطفال فى المدارس عام ١٩٥٩ ، وتوسعت فيها حتى شملت الآن ٦٠٠ مدرسة ابتدائية ، كما أقامت فى (فريتاون) مكتبة نموذجية ..

أما وسط إفريقيا ، فى بلدان مثل زامبيا وروديسيا ومالوى ، فلقد كان لها مكتب للأدب بدأ عمله عام ١٩٤٨ ، وانفرط عقده بسقوط الاتحاد بين هذه الدول ، وبدأت كل منها تعمل مستقلة لكن الاعتماد الأكبر على الكتب المستوردة من إنجلترا .. وقدمت مؤسسة فورد الأمريكية منحة عام ١٩٦٠ للإعداد لتقديم خدمات مكتبية فى المدارس فى زامبيا ، ومنذ عام ١٩٦٤ بدأت بعض المطبوعات للأطفال تنشر باللغة المحلية .. وفى سالزبوري عاصمة زمبابوى (روديسيا الجنوبية) مكتبتان « بولاوايو » و « كوين فيكتوريا » وتضم كل منها قسما كبيرا لكتب الأطفال ..

ويجرى العمل فى مجال كتب الأطفال ومكتباتهم على أساس عنصرى فى كل من (زامبيا وزمبابوى) (روديسيا الجنوبية) وجنوب إفريقيا .. كتب للبيض ، وأخرى للسود ، سكان البلاد الأصليين .. ومكتبات لهؤلاء وأخرى لأولئك ، والمرء يتساءل : متى تنتهى هذه العنصرية البغيضة التى خلفها لنا الاستعمار ضمن ما خلف من كوارث ومآسٍ ؟!



ب —

كتب الأطفال
فى
إفريقيا الفرنسية

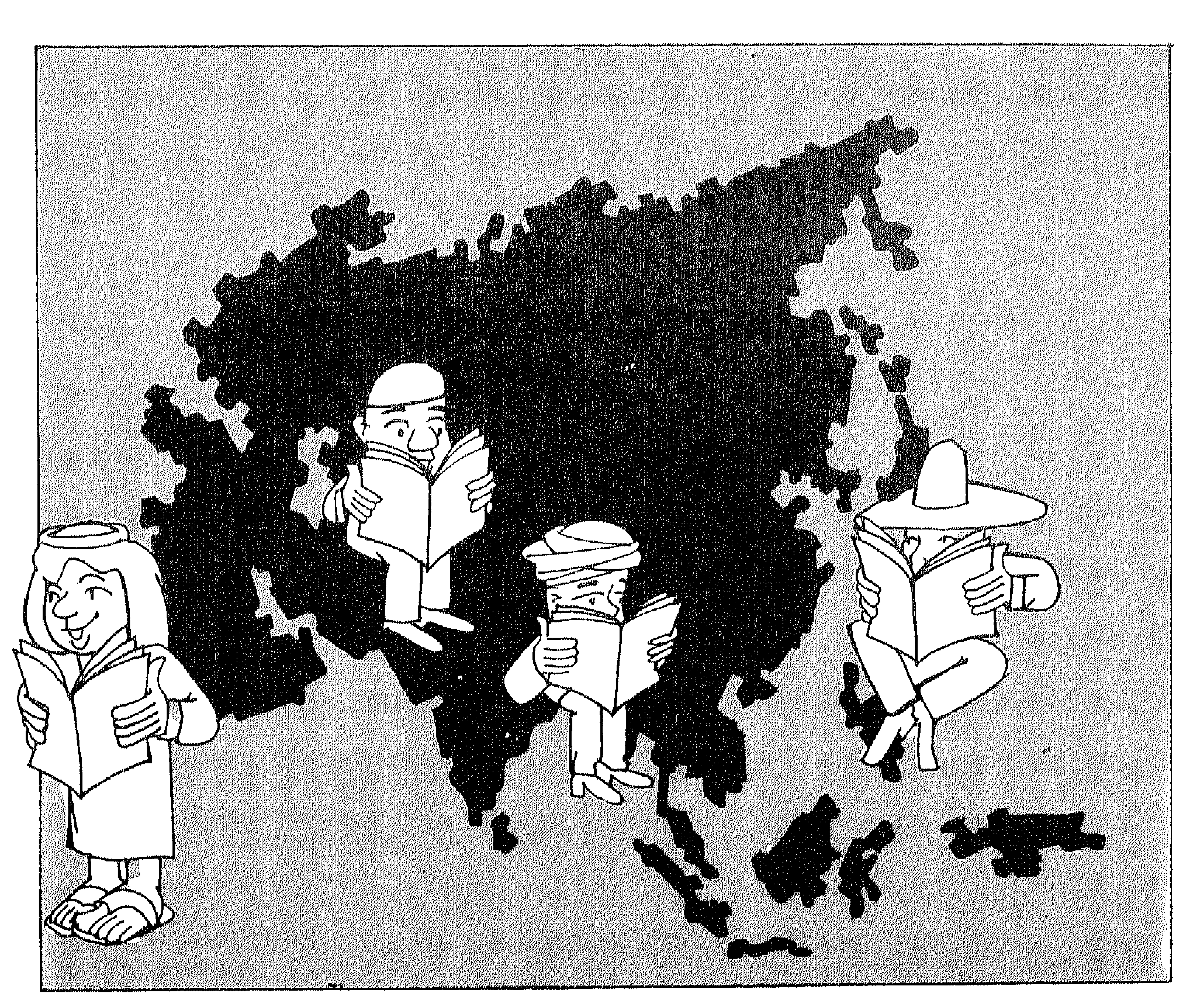
أما الدول التى عانت من الاستعمار الفرنسى مثل الكاميرون ، تشاد ، الكونغو داهومى ، جابون ، غينيا ، ساحل العاج ، مالى ، النيجر ، السنغال ، توجو ، فولتا العليا ، ومالاجاشى ، فإن بعضا منها كانت لديه مكتبات مدرسية إبان وجود الاستعمار وكانت تأتى بكتبها من فرنسا وبلجيكا وكانت الهيئات التبشيرية ، من جانبها تستورد كتبها ، مع محاولات محدودة لترجمة بعض قصص الإنجيل إلى اللغات الوطنية .. وقد ترك الاستعمار المدارس فى حالة يرثى لها ، وبالتالى لانتوقع وجود خدمة مكتبية تستحق الذكر ، وعانت تلك البلاد الكثير للعودة إلى لغتها الأصلية ، وبعضها استمر يستخدم اللغة الأجنبية رسميا .

ولم يصنع الناشرون الفرنسيون ما صنعه زملاؤهم الإنجليز الذين استثمروا الموقف ، وخلقوا لكتبهم أسواقا واسعة فى إفريقيا السمراء ، إذ لم يكن لدى الفرنسيين مثل هذا النوع من الكتب الصالح للقراءة فيما وراء البحار ، وقد طبعت إنجلترا بعض القصص والكتب التعليمية باللغات الأصلية لمستعمراتها ، ولم تفعل فرنسا نفس الشىء .. وقد خلق هذا لونا من الصلة بين الأطفال وبين ما يقرءونه . وفى الكاميرون ، مثلا ، أقيم اتحاد الكتاب والشعراء عام ١٩٦٠ ، للاهتمام بالأدب الشعبى ، وللمساعدة على ظهور أدب وطنى حديث .. وبمساعدة اليونسكو أنشئ فى ياوندى مركز لتنمية الكتاب المدرسى ، تتعاون فيه أغلب دول غرب إفريقيا التى تتكلم الفرنسية ، وقد خطا هذا المكتب عدة خطوات فى اتجاه إعداد كتب أطفال مدرسية ومواد صالحة لهم ..

والأعمال التى وصلت إلى أيدى الأطفال فى هذه البلدان لا تتجاوز بعض القصص الفرنسية التى تم تبسيطها من كتابات كبار المؤلفين الفرنسيين من أمثال بلزاك والفونس دوديه ولامرتين ، بجانب قصص شارل بيرو ، وأشعار لافونتين . ولم تصل إلى الأطفال أعمال كتّاب الأطفال الفرنسيين المعاصرين ، إذا أن قراءتهم تحتاج إلى خلفية ثقافية ، كما أن أحداثها تدور فى بيئة تختلف كثيرا عن تلك التى يعايشها أطفال إفريقيا .. وقليلة تلك الأعمال الشعبية والقصص التراثية التى كتبت بلغة أهل البلاد، وإن كان بعضها قد وضع فى كتب تعليم القراءة والمطالعة ، إذ لم يتيسر بعد إخراجه فى صورة كتب .. وفى السنوات الأخيرة بدأت أعمال الكتّاب الوطنيين تقرأ فى المدارس ، من بينها مثلا قصائد سنجور ، وكبار الكتاب الذين لمعت أسماؤهم على الصعيد المحلى ، بل تجاوز بعضهم حدود بلاده .. وقد عرف الأطفال فى ساحل العاج .. مثلا – كتابات د . ديلافوس ود . فاديجا . ونشرت جماعة أصدقاء اليونسكو فى الكاميرون مجموعة قصصية من شمال الكاميرون وكتب جاى مينجا عدة كتب للأطفال بالفرنسية ، وفى مدغشقر كتب للأطفال برسبر راجا وبللينا وكلاريس بلغة البلاد الوطنية ، ونشرت عدة مجموعات كتب باللغة الفرنسية .

ج –
كتب الأطفال
فى
إفريقيا غير المستعمرة

بقيت بعض بلدان إفريقيا محافظة على استقلال نسبى ، حين أفلتت من براثن الاستعمارين الإنجليزى والفرنسى ، مثل أثيوبيا وليبيريا (التى انضمت للأمم المتحدة عام ٤٥) وبرغم استقلالها الطويل فإن عملتها الرسمية هى الدولار الأمريكى ... والحديث عن هذه البلدان لابد أن يجرنا إلى ذلك الجدل الذى ثار في أوربا حول القول بأن المستعمرات قد استطاعت أن تتقدم بشكل أكثر مما استطاعته هذه الدول التى بقيت على استقلالها ، إذ كون الاستعمار – كما يقول – كوادر استطاعت أن تنهض ببعض الأعباء ، كما أنه وضع بذور التقدم والتحضر فى البلدان التى احتلها . والواقع أن هذه البلاد التى لم تحتلها القوات الأجنبية عانت مشاكل البلدان المحتلة ، إذ سادتها روح قبلية لم تسمح لها بخطوات على طريق التقدم ، كما أنها كانت فى واقع الأمر محاصرة ، وتحكم حكما استبداديا ، لا يقل فى تأثيره عن الحكم الاستعمارى .. وربما كانت الحسنة الوحيدة التى تميزت بها هذه البلاد عدم الازدواجية بين اللغات الوطنية واللغة الأجنبية ، غير أن هذه الميزة لم يكن أثرها كبيرا لتعدد اللغات داخل البلد الواحد ، وشيوع الأمية ، وندرة الإمكانات الثقافية ، وتخلف التعليم ، مما جعل كتب الأطفال مقصورة على الكتاب المدرسى ولم تتقدم هذه البلاد ، فى مجال قراءات الأطفال كثيرا ، وإن كانت فى السنوات الأخيرة قد بدأت تستعين باليونسكو فى هذا المجال تطلعا إلى مستقبل أفضل ...



كتب الأطفال
فى
قارة آسيا

آسيا قارة مترامية الأطراف ، كثيرة الدول ، متعددة اللغات .. والبعض يتصور أن هذه القارة بها نقص شديد فى أدب الأطفال ، والحقيقة أنها فى حاجة إلى كتب لهم .. وقد يرجع ذلك إلى ثراء آسيا بالفلكلور والميثولجى ، والواقع أن هناك كلاسيكيات آسيوية ينطبق عليها ما يقال عن الكلاسيكيات فى الغرب فى القرن التاسع عشر ... بالإضافة إلى أن هناك ترجمات للروائع العالمية للأطفال فى عديد من لغات آسيا ، غير أن الصعوبة الكبرى تكمن فى العثور عليها مطبوعة ، فى كتب مقبولة ، وواسعة الانتشار ، إذ هى لم تصل إلا إلى أيدى أعداد محدودة جدا ، وليس من السهل الحصول عليها لسنوات طويلة ..

ولعل هذا يفسر لنا قلة عدد من يكتبون للأطفال فى البلدان الآسيوية ، كما أنهم مع الأسف لا يحظون بتقدير كامل من زملائهم ، ومن الرأى العام ، خاصة وقد شب الآباء دون أن يجدوا الفرصة لقراءة الكتب ، لذلك لا يشجعون الأبناء على قراءة الكتب للاستمتاع بها ، وللتأثر بما يطالعون ، مع أنهم – بلا شك – مقتنعون بأن ما يقرؤه الطفل يبقى معه ، وله ، طويلا .. غير أن هذا يصطدم بتصورهم أن ذلك لن يرجع على الطفل بالكثير من الفائدة فى مجال العمل عندما يكبر ، وربما كان ذلك هو السبب فى تلك « المقاومة » التى تلقاها كتب الأطفال ، خاصة تلك التى تستهدف المتعة والتسلية ، إذ يركز المعلمون والآباء اهتمامهم على الكتب ذات الطابع التعليمى ، والتى تحوى كمًّا كبيرا من المعرفة والمعلومات ، وقدرا من المواعظ والأخلاقيات .. ويتدرب بعض أمناء المكتبات والناشرين والكتاب فى عدد من دول الغرب ، لكنهم عندما يعودون بأحلامهم الكبيرة وآمالهم العريضة يشعرون بالإحباط إزاء عدم قدرتهم على تنفيذ جانب مما رأوه ودرسوه .. وينعى كثير من نقاد الغرب على الأدب الشرقى أنه أدب « موعظة » و « حكمة » ويجدر بهم أن يدركوا أن هذه سمة من سمات هذه المجتمعات ، وأنه أمر لا يمكن تفاديه ، والأفضل أن يحاولوا تقييمه على هذا الأساس ، لأن استخدام مقاييس النقد الغربية لن يوصلهم لشيء .. ولما كانت بلدان آسيا فقيرة ، لذلك تمتد اليها أيدى المساعدة من الخارج ، وبالذات من البلدان الغربية ، ومع المساعدة نصائح غير مجدية فى هذا المجال ، والذين يتم تدريبهم بشكل عصرى متقدم ، قد لا يفيدون مجتمعاتهم بالتقنيات التى درسوها ، ويجب عليهم ألا يشعروا بالإحباط نتيجة لهذا ، ومن الضرورى أن يتكيفوا مع بيئاتهم ، وأن يتوصلوا إلى صيغة جديدة لخدمتها .. والأحكام التى يطلقها خبراء الاقتصاد والزراعة لا يمكن إطلاق مثلها على مجالات الثقافة ، والاعتراف بوجود ثقافتين أمر واجب ، إذ الثقافة تمس الكيان الداخلى ، ولا تستهدف المظهر الخارجى فحسب ، وتعدد الثقافات يفيد ولا يضر ، ولا مبرر إطلاقا للعدوان على ثقافة لها تراثها الخاص بها .

جهود اليونسكو
فى مجال كتب الأطفال
فى آسيا

وقد بذل اليونسكو جهودا طيبة فى مجال كتب الأطفال فى آسيا ، الأمر الذى لم يتحقق بالنسبة لهذه الكتب فى إفريقيا والوطن العربى ... ولسنا نطلق هذا الحكم بلا سند ، بل إن فى سرد بعض الجهود ما يكشف عن هذه الحقيقة المؤكدة :

★ عقد اليونسكو فى أكتوبر عام ١٩٥٥ حلقة دراسية حول تنمية المكتبات العامة فى آسيا ، وبناء على إحدى توصيات هذه الحلقة ، وبمساعدة اليونسكو ، قام « شاكونتالا بهانا وديكار » الأمين السابق لمكتبات الأطفال فى المكتبة العامة فى نيودلهى بعمل قائمة مختارة من أدب الأطفال العالمى تضم خمسمائة عنوان ، كى يرشحها لقراءات أطفال آسيا بلغاتها الأصلية أو مترجمة أو مقتبسة ..

★ أنشأ اليونسكو المركز الإقليمى للمواد المقروءة فى كراتشى بباكستان ، ومنذ عام ١٩٥٩ والمركز يصدر منشوراته ومطبوعاته ، وبالذات نشرة فصلية بدأت فى أبريل من ذلك العام .. وعلى الرغم من أنها تناقش كافة قضايا الكتب ومشكلاتها فإنها تركز على المواد الخاصة بالأطفال وعلى الأدب الجديد ، وهذا يعطى صورة عن تطور كتب الأطفال فى جنوب آسيا ، كما يقدم معلومات إضافية عن الجوائز والمعارض وحلقات البحث ، والدراسات ، وقوائم الكتب ، وكلها تعين المهتمين والمتخصصين فى أدب الأطفال فى بلدان هذه المنطقة .

★ أنشأ اليونسكو فى نيودلهى مكتبة نموذجية بالتعاون مع حكومة الهند عام ١٩٥١ ، تضم مكتبة رئيسية ، ومركزا للإيداع ، وكلها للأطفال ، وبلغ عدد المشتركين فيها عام ١٩٦١ عشرة آلاف ، وبها ٢٠ ألف مجلد للأطفال .

★ أوفد اليونسكو مستر هارولد بونى لكتابة تقرير عن المكتبات فى جزر جنوب الباسفيكى ، ونشر هذا التقرير ضمن مطبوعات اليونسكو (مايو – يونيو ١٩٦٣) ، وقد أشار فيه إلى نشاط مكتبات الأطفال : المدرسية والعامة ، وإلى أى حد تؤدى دورها .

★ ونشر فى مدارس الهند – بالاتفاق مع اليونسكو عام ١٩٦٤ تقرير عن سوق كتب الأطفال ، وتوزيعها ، والتقرير يتحدث عن كل دولة فى آسيا على حدة ، ويعرض للمشكلات التي تواجهها فى هذا المجال .. وفى نفس العام نشر اتحاد المكتبات فى لندن تقريراً لناشر سويسرى (بيتينا هيرلمان) يتضمن انطباعات حول كتب الأطفال من خلال رحلة إلى الشرق الأقصى ، كانت بعنوان (كتب الأطفال فى الشرق) .

★ وفى نوفمبر ١٩٦٦ نشرت مطبوعات اليونسكو تقريرا عن « عادات القراءة ، ونشر الكتب فى آسيا » . وتركز الحديث فيه على الأطفال .. وهناك تقرير كتبه أنتونى كام عن«أدب الأطفال فى جنوب آسيا » نشر فى نفس الفترة ، من خلال رحلة قام بها قبل عقد الحلقة الدراسية الإقليمية فى طهران وشاركت فيها إيران وأفغانستان والسيلان والهند وباكستان ونيبال وتايلاند ، وحضرتها إندونيسيا وماليزيا والفلبين .. وفى نفس السنة أيضا عقد اجتماع لخبراء نشر الكتب وتوزيعها فى آسيا ، وكان ذلك فى طوكيو ، وقد ناقش الاجتماع مشكلات تطوير كتب الأطفال وتنميتها .

... ولقد اخترنا تلك الحلقات والدراسات التى أقامها اليونسكو فى مطلع الستينيات – أى منذ أكثر من ١٥ سنة – لندلل على ذلك الاهتمام المبكر بقضايا أدب الأطفال وكتبهم ، والمساهمات الكبيرة التى نهض بها اليونسكو من خلال مركزه الإقليمى الثقافى فى آسيا ، متطلعين إلى جهود من نفس اللون تجرى على مستوى الوطن العربى .. أليس من حقنا أن نغار مما حدث ويحدث فى آسيا ؟!!

النشر المشترك
سبيل
الخروج من الأزمة

ولما كانت رسوم كتب الأطفال تمثل جانبا هاما فى نفقات إصدار الكتاب كان لابد للدول الآسيوية أن تفكر فى مشروعات نشر مشترك تستخدم فيه الصور الملونة مع النص فى عدة لغات ، ويسهم ذلك فى خفض التكلفة . وقد بدأ مركز تنمية الكتاب فى طوكيو فى عام ١٩٧٢ بتجربة إصدار كتابين مصورين ، وكان نجاح التجربة وراء إقدام المركز الآسيوى الثقافى التابع لليونسكو على إصدار الطبعة الرئيسية من ستة مجلدات للأطفال باللغة الإنجليزية ليناسب العمر من ٩ – ١٢ سنة : صدرت أربعة مجلدات تحتوى على القصص الشعبية الآسيوية ، ومجلدان بعنوان : الحفلات فى آسيا .. وبذلك تحقق حلم إيجاد مادة مقروءة بالتعاون مع الهيئات المتخصصة . وقد صدرت ترجمات لهذا العمل الكبير فى ١٣ لغة آسيوية – حتى عام ١٩٧٩ – من بينها اللغة الهندية .

وهناك شروط للكتاب الجيد للطفل – فيما يرى المسئولون عن كتب الأطفال فى الهند – ألّا يكون غالى الثمن لأنه يأخذ جزءًا من ميزانية الأسرات المتوسطة الحال ، ولا بد أن يكون ملونا جذابا للطفل ليجتذب انتباهه ، كما لابد أن يكون فى صورة تحتمل عنف استخدام الطفل له ، والشرط الأخير أن تقوم مجموعة متعاونة من الخبراء ، تقرر مضمونه وتختار مادته ، وتنتقى شكله ، لكى يكون صالحا تماما للأطفال .. ولا شك أنها مهمة صعبة ، إلا أن المركز الآسيوى الثقافى لليونسكو قد نهض بهذا الدور باقتدار ونجاح . وقد صدر للأطفال الآسيويين ستة مجلدات آسيوية ، بأقلام كتاب آسيويين ، وذلك على الرغم من تلك الحساسيات القومية الطافية على السطح فى كثير من دول آسيا ، ولقد حفز نجاحها هذا على أن تقدم مناطق أخرى فى عالمنا على هذه التجربة الفريدة لتنفيذ برامج مشابهة ، بل إن بعض الدول المتقدمة فى القارة الآسيوية قد أقدمت على ترجمة هذه المجلدات

الصادرة للأطفال عن برنامج النشر المشترك للدول الآسيوية .. إذن : ما حقيقية السبب الذي يدعو لعدم نجاح مثل هذا المشروع ، ما دام قد نجح فى آسيا .. بل من الممكن أن ينجح على المستوى الوطنى لأى دولة ، خاصة وهناك الحافز القومى ، والمؤسسات المحلية التى يمكن أن تتضافر جهودها فى غيبة هيئة وطنية تكون مهمتها الأخذ بيد الكتاب ..

وليت الدول العربية ، وجامعتها ، ومنظمة الثقافة العربية ، وفروعها ، تولى مثل هذه المشروعات اهتمامها ، فالنشر المشترك يقوم بين الدول الغنية والمتقدمة ، ثم ها هو ذا يقوم بين الدول الآسيوية ، فلماذا لا نقدم نحن على هذا اللون من النشر ؟! .. إنها تجربة جديرة بالدراسة والعناية ، ولعل الأخذ بها – ونحن نتحدث لغة واحدة ! – يمكن أن يكون السبيل إلى مكتبة عربية ، إضافية ، للطفل ..

نماذج لجهود آسيوية
في مجال
كتب الأطفال

إن قائمة كتب الأطفال المصورة فى آسيا الصادرة عن المركز الثقافى الآسيوى فى طوكيو عام ١٩٨٠ ترمز إلى ذلك الاهتمام المتواصل من جانب اليونسكو بموضوع كتب الأطفال فى آسيا ، والرجوع إلى هذه القائمة ضرورة حتمية للحديث عن نماذج للجهود الآسيوية فى مجال كتب الأطفال ، إلى جانب ما أشرنا إليه من كتب ، فضلا عن بقية منشورات ومطبوعات اليونسكو فى هذا الصدد ، خاصة ما صدر بالتعاون مع المنظمة خلال العام الدولى للطفل .. وسوف نركز على كتب الأطفال فى بعض دول آسيا – كنماذج – إذ أنه من الصعوبة بمكان أن نعرض لكل ما يدور فى القارة الآسيوية من نشاط فى هذا المجال ..

وضع كتب الأطفال
في
شبه القارة الهندية

تؤمن الهند أن كتاب الطفل أهم الكتب ، لأنه يزرع فى الناشئ عادة القراءة وينميها فيه ، فضلا عن أن جماهير القراء بين الأطفال يفوق عددهم – بمراحل – القراء من الكبار ، والكتاب الجيد ، الذى يجتذب الطفل إليه – فيقبل على قراءته طائعا مختارا – له دوره البارز فى بناء شخصيته ، وفى اكتسابه الكثير من ألوان العلم والمعرفة ..

ولعل درة الهند « البنجاتنترا » واحدة من أشهر قصص التراث الشعبى فى العالم ، وهى مكتوبة باللغة السنسيكريتية فى القرن الثالث أو الرابع الميلادى ، وأعيدت صياغتها للأطفال فى عديد من لغات الهند . وهناك الكثير غيرها من الحكايات الشعبية المتوارثة التى تناقلتها الشفاه عبر أجيال طويلة ، لكن أسلوب الحياة تغير ولم يعد هناك وقت كاف لهذه القصص الجميلة .

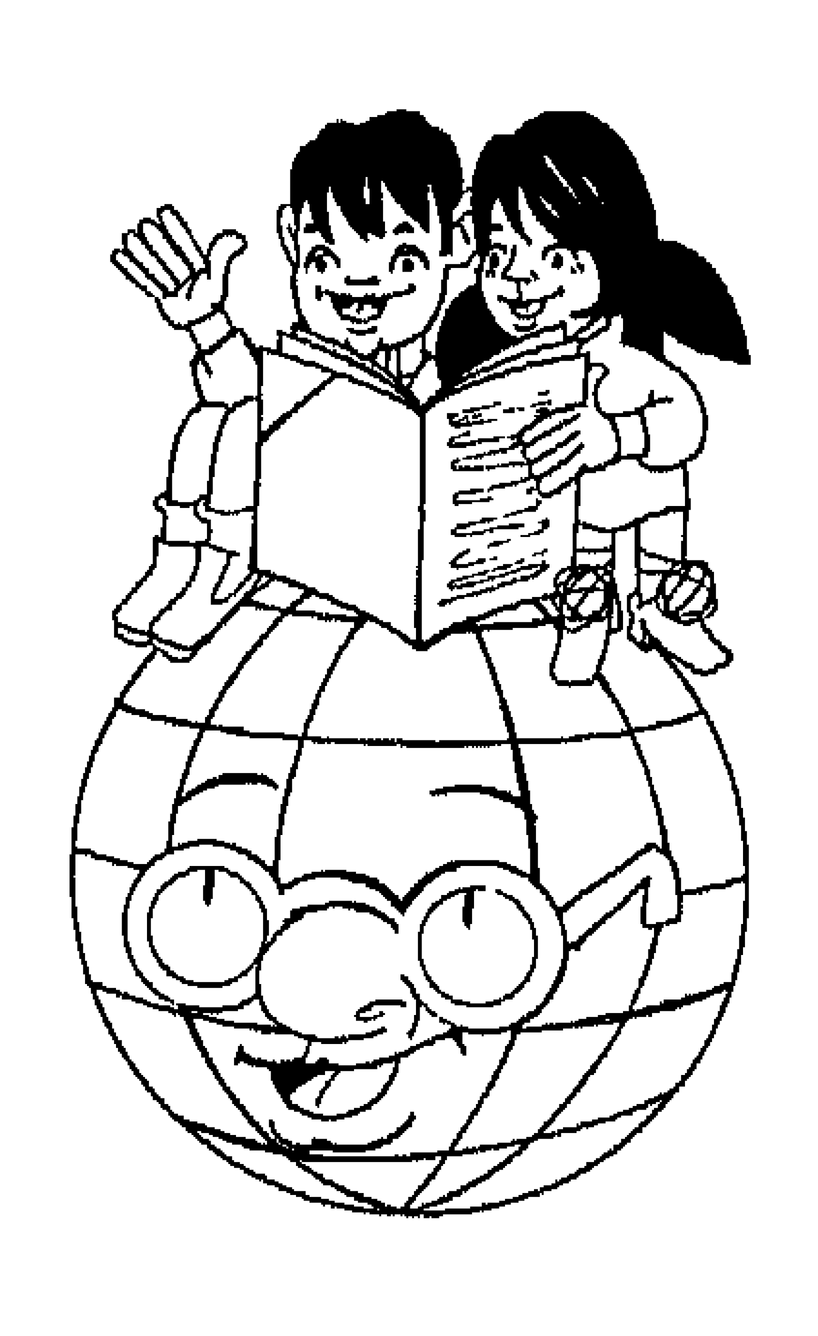
وعلى الرغم من أن الهند تعتبر سابع دولة فى العالم فى إنتاج الكتب بصفة عامة فإنها فى مجال كتب الأطفال تجد نفسها متأخرة وفى ذيل قائمة الدول المنتجة لهذه الكتب ، إذ لا تتجاوز نسبة كتب الأطفال أكثر من ٣ فى المائة من الكتب الصادرة فى الهند ، والتى يصل عددها سنويا فى المتوسط ١٥ ألف عنوان .. وفى السبعينات مثلا كانت أعداد كتب الأطفال فى الهند كالتالى كما جاء فى تقرير « شيرى أبو الحسن » مسئول تنمية الكتاب بوزارة التعليم والشئون الاجتماعية بالهند :

١٩٧٠ — ٢٨٥ كتابا ، ١٩٧١ —٢٣١ ، ١٩٧٢ — ٣٧٨ ، ١٩٧٣ — ٣٨٧ ، ١٩٧٤ — ٣٤٧ ، ١٩٧٥ — ٤٥٥ . وقيل إنهم استطاعوا أن يصلوا بكتبهم إلى الذروة فى العام الدولى للطفل فبلغت نحو ألف كتاب فى السنة .. وهم يرجعون تخلفهم فى هذا المضمار إلى ارتفاع نفقات الكتب بسبب الألوان ، وبسبب قلة عدد النسخ المطبوعة ، ولأن عادة القراءة لم تغرس بعد فى الأطفال ، وقلة القوة الشرائية لدى الآباء ، وسوء تنظيم سوق الكتاب ، وتوزيعه ، الأمر الذى يجعل إقبال الناشرين عليه قليلا ، لأن عائده ضئيل ومتواضع .. ولدى الهند مؤلفون للأطفال ممتازون ، ورسامون متفوقون ، لكنهم لا يجدون الفرص السانحة فى مجال صناعة الكتاب الهندي .. ومما يلاحظ أن اهتمامات القراء من الأطفال والشباب بدأت تنحو تجاه قراءة العلوم الحديثة والحضارة التكنولوجية ، فى حين مازال الكتّاب يتجهون فى كتاباتهم إلى الحكايات الشعبية التاريخية ، والأساطير .. على أن هناك مؤشرا هاما يدعو إلى التفاؤل ، نعنى ، زيادة المؤسسات التعليمية منذ الاستقلال عام ١٩٤٧ ، فارتفع عدد المدارس الابتدائية (٦ — ١١ سنة) من ١١ مليون إلى ٦٦ مليون مدرسة ، أما المرحلة ما بين (١١ إلى ١٤ سنة) فقد زادت من ٢ مليون إلى ١٦ مليون مدرسة ، وهذا يتيح بلا شك فرصا ذهبية للناشرين لتقديم كتبهم إلى هذه الأعداد المهولة ممن وضعوا أقدامهم على طريق القراءة . وتحاول الحكومة من جانبها إعانة كتب الأطفال ومساعدتها لكى تصدر فى شكل لائق وبسعر مناسب ، وتمنح الحكومة الجوائز للكتاب ، وتقتنى عادة بضعة آلاف من النسخ من الكتب الفائزة بالجوائز لإيداعها فى المكتبات المدرسية ، كما أن بعض الناشرين قد نجحوا فى مجال القطاع الخاص بإصدار كتب للأطفال لا تقل عن مثيلاتها فى الدول المتقدمة .. وهناك لون من القيود على استيراد كتب الأطفال من الخارج حتى لا تنافس الكتاب الوطنى ، ولإضفاء الحماية علية ، ولتشجيع الإنتاج المحلى .. على أن عنق الزجاجة سوف يظل كامنا فى عدم وجود سوق مؤكدة لكتاب الطفل ، خاصة ونحن نعلم أنه حتى فى أمريكا وإنجلترا يتم بيع ٧٥ فى المائة من كتب الأطفال للهيئات

والمؤسسات ، وبالذات للمكتبات المدرسية والعامة .. على أن المكتبات المدرسية فى الهند والدول النامية لم تبدأ فى ممارسة دورها ومهامها فى هذا المجال نتيجة قلة الاعتمادات المالية .. وربما كان إنشاء مؤسسة رجاراموهان روى للمكتبات الوطنية علامة على طريق تطوير الكتاب الهندى عامة وكتاب الطفل خاصة ..

وقد بدأ أدب الأطفال فى الهند فى منتصف القرن الماضى على يد رائدهم « اسوار شاندرافيد ياساجار » ــ وكتبه تعليمية وليست أعمالا فنية ــ وقد ظهرت روبنسون كروزو مترجمة إلى اللغة البنغالية عام ١٨٥٢ ، ثم ظهرت بعض أعمال شكسبير البسيطة للأطفال بعد ذلك .. ومع نهاية القرن حدثت انعطافة حادة بظهور الشاعر العظيم (تاغور) الذى أبدى اهتماما كبيرا بالأغنيات والحكايات الشعبية ، وقد أعاد صياغة بعضها فى أسلوبه الفريد ، وهو وإن كان قد تحول إلى الكتابة للكبار ، فإن الكثير من قصائدة وقصصه ما زالت تلقى إقبالا كبيرا من الشباب وبعض الأطفال حتى الآن .. وفى سنة ١٨٩٧ ظهرت « هاشى كاشى » أى « السعادة والبسمات » للكاتب ساركار وكان مغرما بكتابة قصص الحيوان .. وظهر كتّاب آخرون منهم « ميترا » و « شودهارى » كما صدرت أول دائرة معارف للأطفال باللغة البنغالية فى عام ١٩٤٧ !!! .. ويمكن القول بأنه قد صدر ١٥٠ كتابا للأطفال خلال الفترة (١٨١٨ — ١٩٦٢) ، بالطبع نفد أغلبها ..

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن لغات الهند متعددة ، وهناك كتب للأطفال فى هذه اللغات تقل عن هذه التى تصدر بالبنغالية ، وهناك تراث لهذه اللغات يستمتع به الأطفال كثيرا ، وتبذل محاولات لوضعه بين أيدى الأطفال فى الهند ، التى تعد الآن من طليعة الدول النامية التى تعطى اهتماما حقيقيا لكتب الأطفال ، وتشكو مر الشكوى من عدم قدرتها على أن تصل بها كَمًّا وكيفا إلى ما وصلت إليه فى مجال كتب الكبار .



جمهورية باكستان الإسلامية

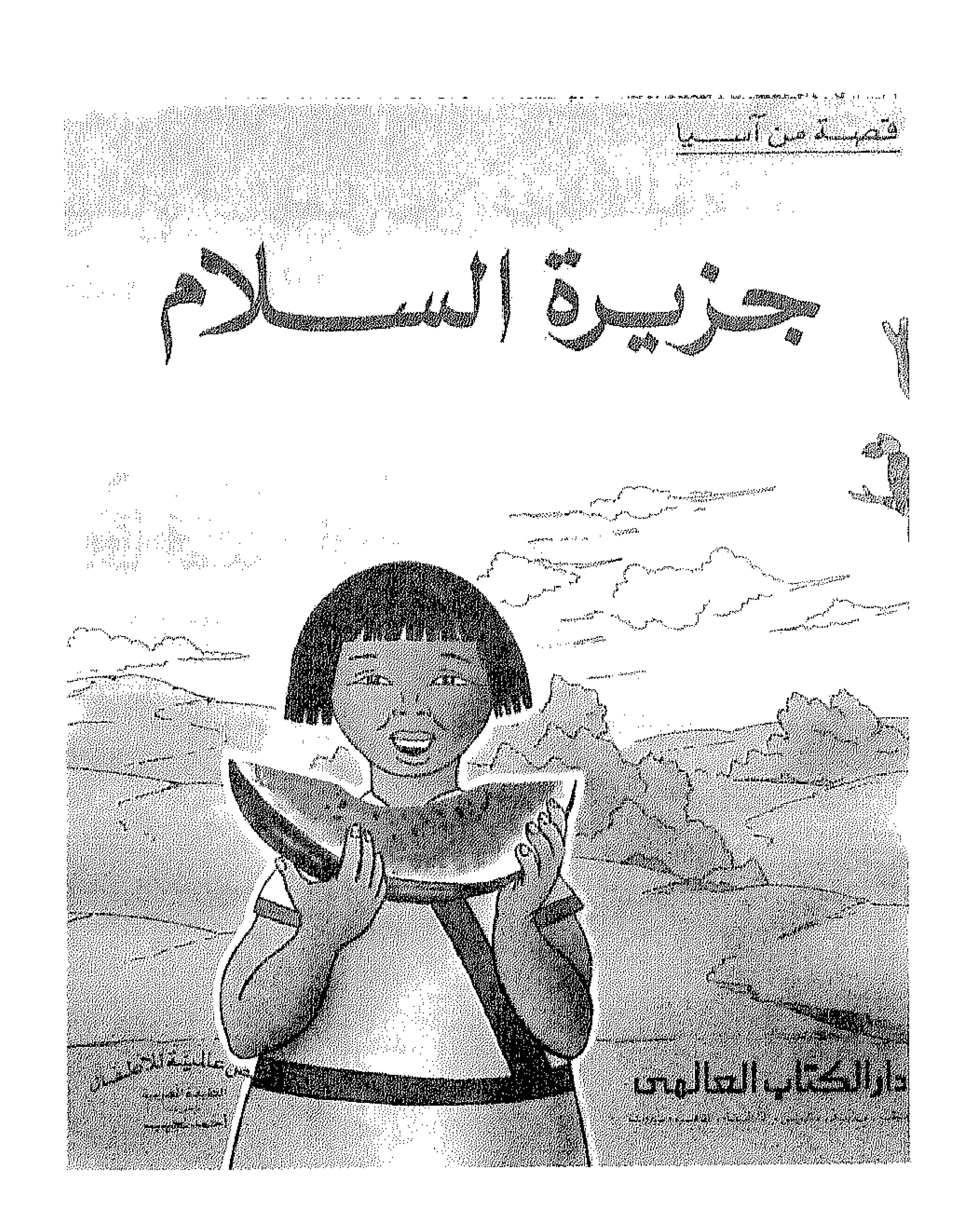
تعاني باكستان ماتعانيه من مشكلات في مجال كتب الأطفال : الأمية ، القوة الشرائية الضعيفة ، ندرة الكتاب والمؤلفين ، سوء التوزيع وقنواته ، قلة أماكن بيع الكتب خاصة في الريف .. غير أن هناك جهودا تبذل لمواجهة هذه المشكلات فأنشأت لجنة وطنية للكتاب عام ١٩٦٥ ونشرت أول ببليوجرافيا لكتب الأطفال عرضت وتحدثت عن ١٢٨٨ عنواناً نشرتها ٨١ دارا للنشر. وفي عام ١٩٧٣ نشرت ببليوجرافيا جديدة بها ٣٤٠٠ كتاب « من بينها ١٥٠٠ قصة » ونشرتها ١٣٣ دارا .. وربما تجاوزت كتب الأطفال – الآن – أربعة آلاف كتاب عددا .. وهي تضم الكتب القديمة والحديثة ، كما زاد عدد الناشرين ، وبينهم عشرون دارا نشطة فحسب ، أما الباقون فهم يصدرون كتابا أو كتابين ثم يهجرون الميدان .. وعندما أنشئت الهيئة القومية للكتاب في باكستان عملت على رفع مستوى كتب الأطفال وقد أنتجت حتى عام ١٩٨٠ نحو ٧٣ كتابا جديدا يمكن أن تقارن بما تقدمه الدول المتقدمة .. وهذه الكتب تغطي شتى الموضوعات ، ورسومها جيدة ، والأهم أن أسعارها مقبولة .. على أن دار « فيروزسنز وغلام علي » ما زالت أكثر دور النشر إنتاجا لكتب الأطفال ، بعد تعثرها في هذا المجال بعض الوقت .. على أنه من الضروري أن نقول إن المطبوع من كل كتاب للأطفال لا يزيد على ألفي « ٢٠٠٠ » نسخة ، وتستغرق سنوات حتى يتم توزيعها .. ويمكننا أن ندرك السر إذا عرفنا أن ٨٠ ٪ من السكان يعيشون في الريف .. وما من حل إلا بإنشاء شبكة

من المكتبات العامة ، حيث إنها في الدول المتقدمة تقتني ٧٥ فى المائة من الكتب الصادرة للأطفال ، ولكن الخدمة المكتبية لم تنشأ بعد في باكستان، وإن كانت هيئة الكتاب قد أقامت عددا من معارض كتب الأطفال وأسواقها ، وتقدم جائزة لأحسن الكتب الصادرة للأطفال ، كما نشرت ثلاث قوائم لهذه الكتب .. وبرغم كل ذلك فإن تاريخ أدب الأطفال فى باكستان ليس حديثا ، ففي الوقت الذي كان يكتب فيه « لويس كارول » روايته الثانية الشهيرة « إليس في المرآة » كان « مولاى نزار أحمد » يكتب روايته « مرآة للعروس » التي تعتبر أول عمل روائي للأطفال في باكستان باللغة الأردية ، وقد لقى إقبالا منقطع النظير من الفتيات . وفي نفس الوقت كان مولاى محمد حسنين أزاد – زميل مولاى نزار في الدراسة – يكتب سلسلة من الكتب للأطفال باللغة الأردية . وقد كتب مولاى أزاد في رسالة له ، نقل عنها « ابن انشا » في دراسته عن أدب الأطفال في باكستان وتقدم بها إلى حلقة كتب الأطفال والشباب التي عقدت في طهران عام ١٩٦٤ ، يقول : إن كاتب الأطفال يجب أن يرتد طفلا ، يشطب ، ويصحح ، ويمسح ، ويعيد الكتابة كما يفعل الأطفال .. نعم ، كتبهم « ابتدائية » لكنها تحتاج إلى جهد جهيد ، فصاحبها في نومه وصحوه ، في غدوه ورواحه ، شهرا بعد شهر ، وعاما بعد عام لابد وأن يعايش أفكارا طفلية ، ليقدم هذه « اللعب » للأطفال ، ويعرف الكاتب أنه لا يقدم خدماته لمواطنيه ،بل « لبنيهم » .. والمفاجأة الكبيرة أن رسوم هذا العمل الكبير كانت بريشة جون لوكوود كبلنج والد الشاعر الشهير وكاتب الأطفال ريديارد كبلنج الحائز على جائزة نوبل وصاحب القصص الإنجليزية الشعبية الشهيرة .. على أنه قد مر قرن من الزمان على هذه الكتب القديمة ، وبعد خمسة وعشرين عاما من ظهورها كتب مولاى محمد إسماعيل مجموعة أخرى ، كما نظم بعض الأشعار للأطفال ، يقول عنها « ابن انشا » إنها بسيطة ، حية ، ممتعة ، على الرغم مما تحويه من أخلاقيات ومواعظ مباشرة ، كانت سمة الكتاب عند الرواد فى كل مكان .. وقد فتحت هذه القصائد الباب أمام الشعراء الذين يكتبون بالأردية لكى يتوجهوا بإنتاجهم إلى الأطفال .. « وهذا يشبه إلى حد كبير

ما فعله أمير الشعراء العرب أحمد شوقي حين كتب قصائدة للأطفال وناشد الشعراء أن يفعلوا ذلك » .

ولم يبدأ نشر الكتب القصصية وغير القصصية للأطفال إلا بعد ذلك بوقت طويل ، حين قامت ثلاث دور للنشر ، أولها « دار الإنشاء » في بنجاب ، وتبنت مشروع البيزا أو مشروع القرش .. الذي يدخر الطفل بمقتضاه « قرشا » في كل يوم ويبعث بنقوده في آخر الشهر ليتلقى في مقابلها كتابا .. وكانت كتبا جذابة ، كل منها في نحو مائة صفحة ، ونجحت الفكرة وأصبحت « مكتبة البيزا » كلمة متداولة داخل البيوت ، لكنها مع الأسف واجهت صعوبات مادية وتوقفت بعد سنوات قليلة .. كما أن دار الإنشاء في بنجاب أصدرت أول مجلة للأطفال باللغة الأردية وقد ظلت تصدر بشكل منتظم من عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩٥٧ ، وكانت مجالا طيبا للتدريب على الكتابة للأطفال . وكانت الدار الثانية « فيروزسنز » التي بدأت عملها في أواخر القرن الماضي في مجال الكتب التعليمية ، وبدأت في عام ١٩٣٠ تنشر الكلاسيكيات الوطنية والأجنبية وكانت تناسب العمر الأكبر من الأطفال ، وقدمت لهم ديكنز ، وجول فيرن ، إلخ .. وما زالت هذه الدار تعمل للآن وقد مدت نشاطاتها إلى الكتب غير القصصية والشعر وكتب الهوايات والعلوم ، وتعتبر من أفضل الدور التي تصدر كتبا بالأردية ، وهي تستخدم أغلفة مقواة ، كما أنها تزين كتبها للأطفال برسوم جميلة جذابة .

وهناك دور نشر أخرى تعمل في مجال الأطفال ، كما أن مؤسسة فرانكلين الأمريكية نشرت بالأردية بعد الحرب العالمية الثانية ١١٠ كتب مترجمة للأطفال والشباب أغلبها في مجال العلوم والمعارف العامة ، وبذلت المؤسسة جهدها لتوزيع هذه الكتب على نطاق واسع على أن الكثير من كتب الأطفال بالأردية قد نفد ولا تعاد طباعته ، وبالذات الكلاسيكيات الوطنية والأجنبية ، إلا أن الأمل معقود على « مركز المواد القرائية فى جنوب شرق آسيا » ، وقد أنشأه اليونسكو فى كراتشى ، وله برنامجه الطموح ، إذ يقدم المساعدات والجوائز لكتاب الأطفال ..



إطلالة على أدب الأطفال في تركيا

يقول « كمال ديميراى » في دراسة له عن أدب الأطفال في تركيا إنه بدأ في الظهور في القرن الثامن عشر .. إذ صدر ديوان الشاعر « نابي » ثم ديوان الشاعر « سمبولزاد فهمبي » ويحتويان على قصائد ذات طابع ديني أخلاقي .والشاعران يعكسان تقاليد وفلسفة عصرهما ويخاطبان الأطفال من خلال أفكارهما الخاصة ، بهدف تعليمهم وتهذيبهم من خلال القيم التي سادت في ذلك الحين .. وفي القرن التالي ظهرت عدة مجلات تنحو إلى التعليم ، من بينها « الطفل المثقف » عام ١٨٦٩ ، « دليل الأطفال » عام ١٨٩٦ ، « ملعب الطفل » ١٩٠٤ .. ثم كانت الإصلاحات « تنظيمات ١٨٩٦ » منعطف طريق في تاريخ تركيا ، وبالتالي في كافة حياتها ، ومن ذلك أدب الأطفال ، فقد انفتحت تركيا على الحياة الأوربية والغربية ، وبدأ الناشر « اجاها أفندي » تقديم ترجمات لكتب الأطفال عن الفرنسية ، وبالذات عن لافونتين ، وتم هذا على أثر عودة الشاعر والمفكر « سيناسى » من بعثة إلى فرنسا وقد أعطي الأطفال الكثير من اهتماماته .. ونلحظ نفس هذا الاتجاه فيما بعد عند الشاعر التركي العظيم « ناظم حكمت » ، وقد

استطاع أن يحصل على شهرة عالمية واسعة ، وحذا الشاعر « أورهان قيلي » حذوه .

ويضيف حكمت التنكايناك – عضو اتحاد كتاب تركيا – أن الأطفال في فترة ما بعد التنظيمات أقبلوا على قراءة أعمال أدبية كانت موجهة أصلا للكبار ، مثل الباشا الصغير تأليف : ايبيكير حازم و « ثمر » لمحمد يساريى و « الطلقات » التي كتبها ريسات نوري .. ونلحظ بعد ذلك تطورا كبيرا في مجال أدب الأطفال في الفترة ما بين الإصلاحات والتنظيمات ، إلى إعلان الدستور ، ثم قيام الجمهورية ، وكان الشعر هو الطابع الغالب على أدب الأطفال في تلك الآونة ، وهم يذكرون بالتقدير جهود « توفيق فكرت » شاعرهم فى مطلع القرن العشرين ، وكان له تأثيره الكبير على تعليم الأطفال إذ كان ينادى بضرورته من أجل مجتمع حر ، يتساوى أفراده وتبلورت أفكاره هذه في مدارس جديده أنشأها ، لكنها عندما لم تلق الإقبال اتجه لممارسة أفكارة في « المكتب السلطاني » في « دار المعلمين » التي تؤهل الطلاب للقيام بالتدريس للأطفال .. وقد كتب « فكرت » أشعارا للأطفال تجاوبوا معها ، وقدمها في ديوان « سرمين » وشارك في كتابة الشعر للأطفال في نفس الفترة كل من « إبراهيم علاء الدين » و « محمد أمين » وبذلك دارت عجلة التقدم في مجال أدب الأطفال وفي عام ١٩٤٠ نجد كثيرين يكتبون شعرا للأطفال منهم « ناظم حكمت » و « ساباهاتين علي » و « ادرهان كمال » و « عزيز نسين » و « إبراهيم بكير » .. ومنذ عام ١٩٥٠ تدفقت كتب الأطفال ، في صور جميلة جذابة ، ولقيت الإقبال الكبير من جانبهم ، ثم ظهر الاتجاه الواقعي في مجال أدب الأطفال مع عام ١٩٦٠ ، وظهر أثر ذلك مع بداية السبعينات ، مما جعل هذا اللون من الأدب يواكب أدب الكبار الذي يضم ميراث سبعة قرون مضت .. وظهرت أسماء فاضل حسني – وفاكير بايكيرت – وبكير يلدز – ويشار كمال – وغيرهم وأخذ أدب الأطفال ينمو ، ونشط العمل من أجله ، فصدرت سلاسل كتب ، ومجلات وأركان في الصحف اليومية ، وبرامج في الإذاعة والتلفزيون ، ودخلت نقابة المعلمين الميدان متعاونة مع وزارة التربية والمجمع اللغوي التركي ، لإثراء مجال أدب الأطفال .

البعض يندهش لهذا الاهتمام الكبير بأدب الأطفال وكتبهم ، فهناك أكثر من مائة دار نشر في استنبول وحدها تنشر كتبا للأطفال عام ١٩٧٤ – وتقول إحصائية إن في تركيا ٢٠٨٤ داراً للنشر – وتلقى كتب ما قبل المدرسة اهتماما كبيرا من جانب الناشرين ، ومن جانب الآباء .. وتقول إحصائية إن كتب الأطفال الصادرة عام ١٩٧٨ بلغت ٦٠٠ كتاب .. وإن كانت هناك معاناة كبيرة في توزيع وتسويق هذه الكتب ، الأمر الذي دفع باتحاد كتاب تركيا بضرورة أن تنهض مؤسسات الدولة وهيئاتها بجانب من العبء فتكون الكتب من بين السلع التي تقوم بتسويقها كالمواد التموينية تماما .. وذلك بدون شك يرضى كل الأطراف : الكتّاب والناشرين والقراء .

أما بالنسبة للمكتبات العامة فليست هناك مشكلة ، إذ صدر قانون عام ١٩٣٤ يحتم مد المكتبات العامة الكبرى في البلاد بخمس نسخ من كل كتاب يصدر في تركيا ، وتقتني المكتبات الأخرى بضع نسخ من الكتب التي تختارها وفقا لميزانياتها . ولعل إحصائيات عام ١٩٧٣ تفيد نوعا ما في هذا المجال : هناك ٣٥٥ مكتبة عامة تحتوي على . ٠٠٠ر ٣٦٧ ر ٣ كتاب ، وقد تردد على هذه المكتبات في تلك السنة . ٠٠٠ر١٢٤ر ٥ قارئ ، وهناك ٢٨٠ مكتبة للأطفال تحتوي على . ٠٠٠ر ٦٩٠ كتاب ، اجتذبت إليها ٠٠٠ر ٣٨٣ر ٤٠ من القراء الناشئين .. إن محاولات دءوبة تجري لغرس عادة القراءة عند الأطفال ، ومادة « أدب الأطفال » يتم تدريسها في معاهد المعلمين ، كما أن الأسرة من جانبها تبذل جهودها لشراء الكتب للأطفال ، والمعلمون ينصحونهم بخير ما يقرءون .. إنهم يعرفون أن الكتاب في ذاته مدرسة ، والمدرسة لا تناشد الأطفال مساعدة الفقراء فحسب ، بل تقول للطفل كذلك : لماذا يصبح الفقير .. فقيرا ؟!

.. إن تركيا بذلك تضع أقدامها على الطريق الصحيح الذي يمكنها من أن تمضي بكتب الأطفال قدما ، ولتأخذ بيدها من أجل الأجيال الجديدة .

كتب الأطفال ومؤسساتها

في

إيران

يرى مركز المطبوعات التربوية في إيران أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية تعتمد على مستوى التعليم ، وعلى إجادة القراءة .. وتبدي وزارة التربية اهتماما متزايدا بالأطفال في سن ماقبل المدرسة ، ويتم تدريبهم بوسائل سمعية على تعلم اللغة الفارسية حيث أنَّ الأطفال يتكلمون بلهجة محلية في البيت والحياة العامة .. ومن السنوات الأولى تركز المدرسة على المهارات القرائية .. ويجند خريجو الجامعات لهذه المهمة .. لكن ذلك يحتاج إلى المواد القرائية .. وقد أُنشئت ثلاث مؤسسات للنهوض بهذه المسئوليات .. لا ندري إذا ما كانت قائمة ، أو ما زالت تقوم بدورها .

* مجلس كتب الأطفال في إيران « تأسس عام ١٩٦٢ » .
* مركز المطبوعات التربوية « تأسس عام ١٩٦٤ » .
* معهد التنمية الفكرية للأطفال والشباب « تأسس عام ١٩٦٥ » .

وعلى الرغم من أنها قامت منذ وقت قريب ، فإنها نشطت نشاطا كبيرا لتحقيق أهدافها ، معتمدة على الكتاب المبدعين والشعراء والرسامين.، كما تعقد الحلقات الدراسية والندوات بجانب الدورات التدريبية .. وكان لذلك كله نتائج طيبة وسريعة فظهرت كتب الأطفال ومجلات ترقى إلى مستوى ما يصدر عالميا في الدول المتقدمة ، وأصبح الأطفال بعد سنتين من الدراسة الابتدائية قادرين على القراءة بسهولة ويسر بفضل هذه المواد الجيدة ، المعدة لهم .. وأصدر مركز المطبوعات التعليمية خمس مجلات لمراحل عمرية خمسة بجانب مجلة للآباء والمعلمين .. ويصدر من هذه المطبوعات « ٢ مليون » نسخة ، كل

أسبوعين ، لمدة ستة أشهر دراسية ويتم توزيعها على كافة المدارس في طول البلاد وعرضها ، وفي القرى البعيدة أصبحت هى المادة المقروءة باهتمام وشغف .

أما مهمة مجلس كتب الأطفال فهى المسائل الفنية الخاصة بالمواد القرائية ، مثل تنظيم معارض الكتب ، وإعداد القوائم والببليوجرافيا وتقديمها بدون مقابل لمن يطلبها ، واستعراض ما تحويه هذه الكتب .. وهي من خلال ذلك لم تقدم كتبا جديدة جيدة للأطفال والشباب لكنها لفتت أنظار الناشرين والكتّاب والفنانين إلى هذه الكتب .

وقام معهد التنمية الفكرية للأطفال والشباب ليكون ناشراً للكتب الممتازة ، كما يشرف على شبكة واسعة من المكتبات العامة متناثرة في كل أرجاء البلاد ، وكانت هذه المكتبات السبيل لتوزيع كتب الأطفال على نطاق واسع ، كما أن المعهد يقوم بنشاطات ثقافية قومية وعالمية على عدة مستويات .. وقد شارك بكتبه في معرض القاهرة الدولي للكتاب عدة سنوات ، كما أنه ترجم للعربية بعضا من كتبه .

وتؤدى المكتبات المدرسية دورا هاما ، في القرى والمدن الصغيرة حيث تقل الكتب ويصعب الحصول عليها ، وهي تدرب الطفل على ارتياد المكتبة ، والتعود عليها .. وهناك مكتبات تابعة للمراكز الثقافية الريفية يرتادها الأطفال كذلك .. وأصبح هناك ٢٢ دارا للنشر تقدم كتب الأطفال ، تسع منها تقوم بالنشر بانتظام ، وقد صدر عام ١٩٧٣ نحو ٢٠٠ كتاب جديد ، وانخفض العدد إلى ١٠٥ كتب عام ١٩٧٧ لارتفاع سعر الورق ولظروف فنية أخرى .. وقد نظمت دورة تدريبية للكتاب حول كيفية الكتابة للأطفال ، كما أن هناك أكثر من ورشة عمل في هذا المجال عقدت في عدة أقاليم .

ومما لا شك فيه أن الأحداث الأخيرة في إيران ، وبالذات الحرب الإيرانية العراقية ، قد أثرت تأثيرا سلبيا على كثير من هذه الأجهزة والمشروعات ، الأمر الذي يجعلنا نتساءل : ماذا تبقى من هذه المؤسسات ؟ وماذا تعمل ؟!

ماليزيا :

في عام ١٩٧٠ كان هناك في ماليزيا ٥٤ ناشرا ، أصدروا ١١٠ كتب للأطفال « هذا بالطبع غير الكتب الدراسية التعليمية » ، لكن النشر ما زال محدودا وبعض حوانيت بيع الكتب تنهض به ، لكن واحدا منهم فقط هو الذي ما زال يواصل عمله في نجاح ، على أن هناك عددا من دور النشر الأجنبية يمارس نشاطه في ماليزيا مثل أوكسفورد برس ، ولونج مانز وهاينمان .. وكل دار نشر لها نظامها وتنظيمها الخاص ، وليس هناك نمط واحد ، كما أنه ليس هناك ناشر متخصص في نشر كتب الأطفال .. على أن اعتماد دور النشر على الكتب المدرسية ما زال هو الطابع الأساسي ، لكن دار ديوان باهاسادان بوستاكا لديها قسم خاص لكتب الأطفال غير المدرسية ، غير أن توزيع كتب الأطفال في الريف محدود جدا لعدم وجود محلات لبيع الكتب ، كما أن أماكن بيع الصحف لا تبيع كتب الأطفال ، وقد عقدت عدة معارض للكتب ، لكن التركيز على كتب الكبار . والمعارض تقام في كوالا لامبور ، كما أن إرسال الكتب بالبريد يزيد من سعرها ٥٠ فى المائة ..

والملاحظ من المعارض إقبال الأطفال على الكتب وعلى القراءة ، لكن الكتب لا تصل إلى أيديهم في سهولة ويسر ، وفي ماليزيا لم يتعود الآباء بعد على شراء المجلات والكتب للأبناء ، والمكتبات المدرسية ليست مزودة بالكتب بصورة كافية ، فهي لا توجد إلا في عواصم المحافظات .. لذلك يتراوح عدد النسخ المطبوعة من كتاب الطفل بين ثلاثة آلاف ، وخمسة آلاف نسخة .. وقلما يعاد طبع هذه الكتب ، لكن دار النشر السابق الإشارة إليها « ديوان » تجاوزت هذه الأرقام إلى عشرة آلاف نسخة عام ١٩٧٨ .. وقد تضاعفت أعداد الكتب المنشورة للأطفال أخيرا ، إذ صدر ما بين ١٩٦٦ - ١٩٧٥ مالا يزيد على ٢٠٦ كتب ، وفي عام ١٩٧٦ وحدها صدر ٣٣٨ كتاباً .. ووصل

عام ١٩٧٧ إلى أكثر من ٣٥٠ كتاباً ، مما يدل على إن هناك تجاوبا من جانب القراء واتساع نطاق التوزيع في تلك الفترة .. كما أن المكتبات المدرسية بدأت تزدهر ، فأنفق عليها عام ١٩٧٦ نحو ٣ ملايين رنجت « العملة في ماليزيا » ارتفعت عام ١٩٧٧ إلى ٨ر ٣ ملايين ووصلت عام ١٩٧٨ إلى ٤ ملايين ، وأصبح لدى ٥٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية مكتباتها الخاصة ونصيب الطفل في المدرسة الابتدائية ٤٠ ,١ رنجت ، وفي المدرسة بالنسبة لمكتبة المدرسة عام ١٩٧٥ .

وارتفع هذا النصيب بعد عامين إلى ٦ ,١ في المرحلة الابتدائية ٦ ,٢ في المرحلة الثانوية مما يبشر بمستقبل زاهر لعملية نشر كتب الأطفال في ماليزيا .. وهناك ١٣ مكتبة حكومية عامة ، بواقع مكتبة واحدة في كل محافظة .. وقد بنت سلنجور – العاصمة – ثلاث مكتبات فرعية خارج العاصمة .

وليس هناك وقت محدد ، مخصص للقراءة داخل المدرسة ، لكن المدارس والمعلمين لديهم سلطة اختيار هذا الوقت في حدود ٣٠٠ دقيقة فى الأسبوع في المدرسة الابتدائية « وهي مرحلة تستمر ٦ سنوات » و ٢٤٠ دقيقة في السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الثانوية ، مما يدل على قناعة كاملة من جانب المعلمين بأهيمة القراءة .. وكان الأطفال منذ عام ١٩٦٤ ينتقلون إلى صفوف أعلى بدون امتحان لذلك كانوا ينهون المرحلة الابتدائية بدون قدرة حقيقية على قراءة أبسط الأشياء .. وازداد الأمر سوءًا بعد إدخال نظام الامتحانات التي يجيب فيها الأطفال عن أسئلة الامتحان بطريقة « صح » أو « غلط » . الأمر الذي دعا وزارة التعليم إلى بذل الجهود مضاعفة لتفادي هذه السلبيات الخطيرة .

وهناك نقطة أخرى هامة ، وهي أن الأطفال في المرحلة الابتدائية يتعلمون اللغة الإنجليزية على أنها لغة ثانية ، وبذلك يقرأ الأطفال في لغتين ، على أن الكتب التي باللغة الإنجليزية لا تستورد من خارج البلاد ، بل تنشر فيها أيضا .

وعلى ذلك نستطيع القول بأن تعلم القراءة وتشجيعها بين الناس عامة والأطفال خاصة لم يتحقق بشكل نرضى عنه – تبلغ نسبة الأمية قرابة ٧٠ في المائة – لذلك فإن الصادر من الصحف والكتب قليل ، ولم يتم غرس عادة القراءة بعد في أفراد المجتمع الأمر الذى يقلل من إقبال الأطفال على الكتب ، غير أن إحلال اللغة الإنجليزية محل لغة البلاد الأصلية – باهاتا – قد توقف ،والتركيز على اللغة الوطنية سوف يكون بالطبع سبيلا لمزيد من الإقبال على القراءة بين الكبار والأطفال .

من بين كتاب الأطفال برزت أسماء : إسماعيل أحمد أجيكيكى ، زكريا حاتم ، جلال عبد الرحمن ، معروف محمد ، إسماعيل عمر ، وحاجى عثمان سليمان ، وهم يكتبون باللغة الوطنية .

في جمهورية فيتنام الاشتراكية :

هناك داران مخصصتان لنشر كتب الأطفال والشباب في جمهورية فيتنام الاشتراكية ، وهما تابعتان للَّجنة المركزية لاتحاد الشباب : الأولى أُنْشِئتَ عام ١٩٥٤ باسم « ثانة نيين » والثانية قامت عام ١٩٥٧ باسم « كيم وونج » وهو طفل بطل ضحى بحياته من أجل استقلال بلاده فى بداية ثورة أغسطس ١٩٤٥ .

وتهدف مطبوعات الدارين في المدى الطويل إلى خدمة العمل السياسى وتعليم الأجيال الجديدة ، وتدريبها على أن تصبح قادة المستقبل ، تبنيه وتدافع عنه وتخلص له ، وتواصل رسالة الحزب ، وهى من أجل ذلك تنشر المطبوعات التالية ، كما جاء فى تقرير لدار « كيم وونج » نشر فى فرانكفورت سنة ١٩٧٩ .

١ ــ يعرض تاريخ البلاد وثوراتها ضد الاستعمار لغرس روح الوطنية في الناشئين من خلال الأساطير والحكايات والميثولوجى والحكم والأغنيات الشعبية من البلدان التى تتعايش سلميا في المنطقة مع فيتنام .

● السير والروايات والقصص التى تدور حول الأبطال الوطنيين والحركات الشعبية النضالية عبر تاريخ البلاد .

● الأعمال التى تعبر عن المقاومة الباسلة للاستعمار الفرنسى ، والإمبريالية العالمية .

● قصص من حياة الزعيم « هوشى منه » وبطولاته .

● حكايات عن البطولات العسكرية للقوات المسلحة والجنود خلال حرب الاستقلال .

٢ ــ كما تهدف مطبوعات الأطفال إلى خلق جيل اشتراكي يؤمن بالعمل من أجل الجماعة ، ويضحى من أجل وطنه الأم ويساند الطبقة العاملة العالمية .. وهى بذلك تقدم التالى :

● قصص عن أبطال الطبقة العاملة ، والعمال المثقفين الذين يعملون من أجل الأطفال الذين يسمونهم أبناء العم هوشى منه .

٣ ــ وفي قطاع العلوم والتكنولوجيا يحاولون أن يوقظوا فى أبنائهم حب العلوم .. وذلك من خلال المطبوعات التالية :

● مواد تعمل على توسيع آفاق المعرفة العلمية والتكنولوجية ..

● قصص وحكايات حول رجال العلم المشهورين من فيتنام ومن كل أنحاء العالم ..

● قصص علمية عن المستقبل « بعضها يترجم من الأعمال العالمية » .

٤ ــ وفى مجال أدب الأطفال العالمي يحاولون تقديم تلك الأعمال البناءة .

● الكلاسيكيات وبالذات التراث الإنساني العالمي منها في كل بلدان العالم .

● الأعمال الحديثة من البلدان الاشتراكية .

● الأدب التقدمي الذي ينشر في شتى أنحاء الدنيا .

٥ ــ هناك كتب ومنشورات للشباب ، والطلائع ، والمطويات ، ومذكرات لأعضاء هذه المنظمات والبطاقات التي تعينهم في عملهم الدراسى ، أو التنظيمي ، خاصة تلك التى تشمل النشاطات التى تمارس من خلال نواديهم .

٦ ــ تربية الطفل من خلال أسرته وتغطيها مطبوعات موجهة إلى الأباء والأمهات .. وتتحدث تلك المطبوعات عن الفكر الذي يجب أن يعطي للطفل وعن لون التعليم الذي لابد أن يتلقاه لمساعدته ومعاونته على استيعابه ، كما تعرض للتجارب التربوية والخبرات التي يجب أن يمارسها الآباء .

هذا وقد أصدرت الدار الأولى – التي أنشئت عام ١٩٥٤ – كتبا للأطفال بلغ عددها ١٢٠٨ أعمال صدرت في ١٥ مليون نسخة « من بينها ٦٠٠ عمل في ٧ ملايين نسخة صدرت خلال أعوام ١٩٧٩/٧٠ » ومتوسط الطبعة من الكتاب الواحد هو ١٢ ألف نسخة .. ونشرت الدار الثانية « كيم وونج » ١٣٠٠ عمل منذ عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٧٩ صدرت في ٣٨ مليون نسخة « من بينها ٥٤٥ عملاً صدرت ما بين ٧٠ ــ ١٩٧٩ في ٢٦ مليون نسخة » وبعض الأعمال يطبع منها ما بين ٢٠٠ أو ٣٠٠ ألف نسخة ، لكن المتوسط المطبوع من كل كتاب يصل إلى ٨٠ ألف نسخة .

وهناك نظام شامل للمكتبات الخاصة بالأطفال ، كما أن هناك حوانيت كثيرة منتشرة لبيع الكتب ، كما أن غرفا للقراءة في مكتبات الأقاليم والقرى مخصصة للأطفال . وتلقى الكتب إقبالا منقطع النظير من جانب القراء لجمالها ولانخفاض سعرها ، وتنوع موضوعاتها ، فهى تتضمن قصصا وحكايات وأشعارا ومسرحيات وموسيقى وكتبا مصورة .

والداران – معا – تعتبران جزءًا من الجهاز التعليمى الذي يضم مئات المعلمين والرسامين من ذوى الخبرات الكبيرة التي توظف من أجل الطفولة ، ومعهم بالطبع الكتاب والمؤلفون المبدعون ، وهما يتعاونان في نشر أعمالهم على أوسع نطاق ، وعلى أفضل صورة ، مع محاولات دائبة لتطوير كتب الأطفال وتحسينها وزيادة توزيعها ، بهدف وصولها إلى أيدى الذين يقرءونها باستمتاع ، ويجدون لديهم رغبة مستمرة في الاستزادة منها ، خاصة وقد بلغ عددهم أخيرا ما يزيد على عشرة ملايين . تصل الكتب إلى الجماهير من خلال عدة قنوات .. والقناتان الرئيسيتان هما المكتبات العامة . وحوانيت بيع الكتب .. وهناك قنوات أخرى مثل الصحافة ، والإذاعة ، والتلفزيون ، التي تقدم عروضها لهذه الكتب ونقدا لها وتعليقات مستمرة ، وخاصة عما يصدر من كتب جديدة .. كما تعقد الندوات وتلقى المحاضرات .. ويستضاف المؤلفون في نوادي الشباب والطلائع ، وفي المدارس أيضا .. كما يزور الأطفال داري النشر ويلتقون بالعاملين فيهما .. كما تجرى مسابقات حول الكتب ، لا ستثمار وقت الفراغ بهدف تعميق المعرفة بالأدب .. وهذه المسابقات يعقب فيها الأطفال على الكتب ويبدون ملاحظاتهم ، وينتقدونها ، ولا يكتفى فيها باختبارهم في المادة التي يحويها الكتاب .. بل يتطرق الحديث أحيانا إلى أسلوب الكتاب وشكله ورسومه وأسلوب إخراجه .

والمصلحة المشتركة والمتبادلة بين دار النشر والأطفال تزداد يوما بعد يوم ، والإحساس بضرورة تضافر الجهود يشتد من أجل مستقبل أفضل للكتاب .. بل من الممكن القول إن الكتب الصادرة عن داري النشر للأطفال والشباب في فيتنام قد أصبحتا صديقا دائما لهم ، ورفيقا لا يستغنون عنه .. ودارا النشر تحظيان بثقة المدارس والمعلمين ، الأسرات والآباء والمجتمع بصفة عامة ، ومن هذا المنطلق تعملان في حماسة لسد احتياجات الأطفال ، ولتحسين مستوى الإنتاج ، وتبني الأفكار التي تعتنقها الجماهير في فيتنام .



كتب الأطفال
فى
أمريكا اللاتينية

الحديث عن كتب الأطفال فى أمريكا اللاتينية لابد أن يبدأ بدراسة نظريات فيلسوفها التربوى ومعلمها « سارمنتو » ، وهو أرجنتينى المولد ، وقضى عدة سنوات مثمرة من عمره فى منفاه السياسى فى شيلى، كما سافر إلى أوربا وأمريكا عامى ١٨٤٦ ــ ١٨٤٧ ليشاهد ويدرس نظم التعليم والمكتبات والمؤسسات والهيئات العاملة فى هذا المجال، وعاد إلى شيلى ليضع حصيلة كل هذا على الورق فى حماسة منقطعة النظير ، الأمر الذى كان له أبلغ الأثر على المعلمين وأمناء المكتبات والكتاب والمؤلفين .. ولم يكن « سارمنتو » يبدى الاهتمام بالترفيه عن الأطفال ، لذلك لم يعرض كثيرا لمشاعرهم وميولهم واحتياجاتهم لكنه تحدث كثيرا عن أدبهم فى خطبه ومقالاته ، كما كتب عن مكتباتهم مرارا وتكرارا .

وقد قامت المكتبات العامة ومكتبات الأطفال تحت الإشراف المباشر لأجهزة التعليم ، لذلك كانت الكتب التى تحتويها هذه المكتبات تمضى فى هذا الاتجاه فى الوقت الذى ظهر فيه أنحاء متفرقة من العالم كتاب ومؤلفون يطالبون بضرورة أن تهتم كتب الأطفال بإمتاعهم وتسليتهم ، بينما كانت كتب أمريكا اللاتينية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر تستهدف أساسا تربية الأطفال أخلاقيًّا وضرب هذا الاتجاه بجذوره عميقا ، حتى أن تياره مازال حتى اليوم واضحا فى كتبهم ... وكل الكتب والأبحاث حول أدب الأطفال تركز على القيم أكثر من اهتمامها بمتعة القراءة ، وإن كانوا يوافقون على أنه شىء طيب أن توجد الأخلاقيات فى كتب الأطفال جنبا إلى جنب مع التسلية والمتعة وأن تتمشى القيم مع المعارف ، لكن واقع الأمر أن هذا لا يحدث ، وكل ما يفعله رجال التربية أنهم يختارون بطلا وطنيا أو حادثا قوميا يكتبون عنه ، ويحشدون من خلاله الكثير من التعاليم الأخلاقية ليضعوا كل ذلك فى كتب الأطفال .. ومع ذلك فإن هذه النزعة الوطنية استطاعت أن تحفظ لأدب الأطفال الاحترام والتقدير ...

ومع مطلع النصف الثانى من القرن العشرين كتبت « هيلين راند باريش » أن أدب الأطفال فى أمريكا اللاتينية وكذلك التعليم ، قد يأخذ اتجاها واقعيا حديثا ، غير أن هذا فى حقيقة الأمر لم يحدث ، فما زالت التربية والأدب واقعين تحت تأثير الأخلاقيات والتعاليم والمواعظ ، وإن كانا يحتفظان بنكهتهما الأمريكية. وأغلب الكتابات تتجه إلى الأطفال الكبار وتحتشد بسير الأبطال ، ومن حولهم بعض جوانب من التاريخ ، وكتيبات فى الجغرافيا ، والتاريخ الطبيعى ، والدين وما من محاولة لكتابة قصص تاريخى ، أو قصص حول الحياة فى أمريكا اللاتينية أو كتابة فنية لقصة حياة أو سيرة ، فقط تسرد وقائع حياة البطل ليبدو قدوة ، وكل ذلك محلى بأسلوب إنشائى بليغ ... وهناك بعض الاستثناءات ، ومن بينها أسماء : رافييل بومبو ، أولافوبيلاك ، جوزى مارتى ، مونتيرولاباتو ، كونستانكو فيجيل ، أنطونى روبيلز ، وهوراسيد كويروجا ، وجبريلا ميسترال الحائزة على جائزة نوبل ..

على أننا يجب ألّا ننسى أن ذلك قد يكون رد فعل للاستعمار الأسبانى ، الذى قال عنه الشاعر الشيلى (نيرودا) الفائز بجائزة نوبل: لقد حملوا معهم الذهب وتركوا لنا الكلمات .. وأيام الاستعمار كانت الكتب تصل من أسبانيا وكانت تصدرها دار النشر ، « كاليخا » فى قطع بالغة الصغر ، لا يتعدى حجم علبة السجائر ، وكان من السهل قراءتها خفية كما كانت تعمل مطبوعات دار سوينيا .. وفى عام ١٨٨٩ ، أنشأ خوسيه مارتى فى نيويورك مجلة (عصر الذهب) ، وقال فيها إنها مطبوع شهرى مسل ومثقف موجه إلى أطفال أمريكا . وقد أصدر منها أربعة أعداد كان نصيب الثقافة التسلية .. ثم أسس مونيرولوباتى - أهم كتاب أمريكا اللاتينية للأطفال - فى عام ١٩١٨ أول دار نشر برازيلية لتصدر كتباً للأطفال بدلا من تلك الكتب التى كانت ترد من البرتغال ، وقد ابتكر عدة شخصيات كان يألفها كل من يقرأ فى البرازيل ومن بينها :

* أميليا ، الدمية التى وهبت نعمة الكلام ، وكان شغلها الشاغل تصحيح أخطاء الطبيعة .

* دونا بينيتا ، وهى تتقبل ما يدخله خيال الأطفال المبدع على الواقع من تغيير .

* العمة أناستاسيا ، التى ترى الشر والخطأ فى كل مالا تعرفه .

* الكونت سابوجوس ، الرجل الذى لا يؤمن إلا بما فى الكتب .

ومما لا شك فيه أن حيوية هذه الشخصيات والمفارقات التى يمكن أن تقع لها تجتذب الأطفال بشدة ، فيتابعونها فى لهفة ، وتصبح بذلك جزءا لا يتجزأ من حياتهم ، جنباً إلى جنب الشخصيات الروائية التى عرفها الأطفال من خلال الأسبانية ، لغة الغزاة ، التى أصبحت اللغة الرسمية الوحيدة : لغة الإدارة والعدالة ، لغة التعليم والكتابة ... وهكذا خلف الاستعمار السياسى والعسكرى وراءه استعمارا ثقافيا لا يزال قائما فى بعض البلدان ، وإن كان قد

ظهر فيها وعى قومى كان حافزا على جمع وتدوين الحكايات الشعبية والأساطير والسير .. ويقول شاعر أكوادور « خورخى انريكى ادوم » :

ــ فرض علينا الكبار – ضمن ما فرضوا – حكايات أطفال مللنا مما تنطوى عليه من دروس وعبر ، ولم تكن تثير اهتمامنا ، فالشخصية الرئيسية فيها – باستثناء عقلة الصباع – أميرة أو فتاة ستصبح أميرة ، وكنا نقول لأنفسنا « ما هذا كله إلا ألاعيب فتيات » .. وشعرنا بشيء من الحب تجاه عروس البحر الصغيرة لهانز أندرسون .. كما ارتحنا إلى روبنسون كروزو ، لأنه أفلت من أن يفرض عليه أحد إرادته ، وأعجبنا توم سوير وهيكلبرى فن لمارك توين ، والأخير أعجبنا كثيرا ربما لأنه ضاق بسلطة أبيه والمجتمع الذى لفظه فهرب إلى مغارة كنز (النموذج الغربى لكهف على بابا) ..

ويضيف الشاعر الكبير (فى مقاله الذى نشرته مجلة رسالة اليونسكو عدد ٢٥٣) : أن الكثيرين منا اكتشفوا – فى البيت أو فى غيره عالما أسطوريا لا حدود له ذلك هو عالم الأدب ، واستقر فيه البعض حتى الآن أو حتى وافاهم الأجل ، ولم يكن البعض الآخر سوى زائر عابر ، وقد التفوا جميعا مع والتر سكوت وجاك لندن وديكنز وهوجو ... وكان أول أبطالنا وأهمهم شخصيات الكاتب الإيطالى (اميليو سالجارى) ... « صاندوقان » قرصان الملايو الذى قاتل ضد سلطات الاستعمار البريطانى . القرصان الأحمر والأسود اللذان تحديا حكام الكاريبى من الأسبان ، واللذان وقعا لسوء الحظ فى حب ابنة والد أعدائهما أو ابنة أخته... وكنا من جواتيمالا إلى أرجواى ومن بورتريكو إلى أكوادور نكون عصابات ظريفة لا يعنيها إلى أى جانب تنحاز ، غير أنه لم تكن بيننا فتاة تؤدى دور (يولاندا) ابنة القرصان الأسود ، ملكة الكاريبى !

إن السلطات الحاكمة فى أمريكا اللاتينية ــ إبان الاستعمار ــ لم تشجع بالطبع التراث الوطنى ، ولم تسمح بجمعه ، أو تبادله مع الدول الأخرى فى القارة ، أو توحيد الجهود لاستثماره ، لكى يكون إضافة لما أغرقتهم به من

ترجمات أسبانية للأعمال العالمية للأطفال ... ولقد وقفت القوانين ضد استيراد وتصدير الكتب بجانب ارتفاع نفقات إصدارها ، وسوء المواصلات ، ونظم التبادل المضطربة ،وغير ذلك من الصعوبات والعقبات مما حال بين أمناء المكتبات والمعلمين وبين مد أطفالهم بمادة قرائية جيدة ، وكان على كل دولة أن تبتكر لنفسها نظاماً خاصًّا ، قد يتناقض مع النظم الأخرى ، الأمر الذى كان حائلاً بينهم وبين أن يتعرفوا على ما يجرى من حولهم ، فازدوجت الترجمات وتكررت الطبعات ، وسادت الفوضى لفترة طويلة مجال كتب الأطفال .. ولم يتيسر تعديل الموقف إلا عن طريق هيئات عالمية – اليونسكو على وجه التحديد – لمعرفة ما يمكن استيراده من الكتب ، وإن كان – الكثير منه ترجمات لأعمال أمريكية .. على أن كثيرين من أمناء المكتبات كانت لهم وقفة ضد أعمال مؤسسة والت ديزنى ، وتأثيرها الرهيب على الأطفال ، خاصة وهى تتدفق كالسيل .. وكان لابد من حماية الإنتاج الوطنى من هذا السيل والتعاون مع البلدان الأخرى فى القارة فى هذا المجال بتبادل الآراء والأفكار ، والكتب ذاتها ، إلا أن ذلك ليس حقيقة واقعة حتى الآن ... والمرء يتساءل : لماذا لم توضع خطط – حتى الآن – للمكتبات العامة والمدرسية لكى تنطلق معا فى كل القارة ، من أجل خدمة أفضل للأطفال ؟ .. أم أن هناك تبديدا للجهود ، ونزيفا يجب أن يتوقف ؟ والغريب أن يحدث هذا بين الدول النامية ، فى حين تتعاون الدول المتقدمة التى هى واقعيا ليست فى حاجة ماسة إلى مثل هذا التعاون ، والحق أن ندرة المكتبات العامة للأطفال فى أمريكا اللاتينية أمر لا يمكن السكوت عليه : نعم ينقصهم أمناء المكتبات ، لكن ذلك ميسور تدبيره ... كما أنه من الممكن أن يكون عندهم كتب جذابة بأسعار معقولة مع تعديل نظم الاستيراد والتصدير التى سبقت الإشارة إليها ، وقد كانت هناك محاولات دءوبة لمؤسسة فرانكلين ولمؤسسات أمريكية أخرى لتنظيم هذه العملية ، إلا أن أهدافها لا تخفى على أحد ، والخوف من الغزو الفكرى ، فى غيبة الإنتاج المحلى البديل ، أمر له مبرراته القوية ، لذلك فليس هناك من سبيل

إلا المزيد من التآزر والتعاون ... لقد قدمت لهم أمريكا قائمة من مائة كتاب للأطفال لترجمتها إلى الأسبانية ، كما عرضت مؤسسات أخرى خططا للأخذ بيد كتب الأطفال فى أمريكا اللاتينية ، غير أن أغلبها مؤسسات مغرضة لها أهدافها الخاصة ...

ولنتكلم الآن عما يجرى فى بعض دول أمريكا اللاتينية فى مجال كتب الأطفال كنماذج وأمثلة قد نفيد منها ...



البرازيل :

كان الأطفال الذين يعيشون فى البرازيل قبل عام ١٨٩٤ لا يقرءون إلّا الكتب الدراسية ، وبعض ما يصل إلى أيديهم من البرتغال ، لكن فى ذلك العام ظهرت (حكايات كاروشنها) أول كتاب ينشر بهدف إمتاع الأطفال ، وكان عبارة عن مجموعة من القصص الشعبى والحكايات الخرافية من عدة بلدان ، وفى عام ١٩٢٠

بدأ الناشرون يقدمون طبعات برازيلية من سلاسل تصدرها دور النشر الأوربية ، وظهر الأدب الوطنى للأطفال فى العام التالى مباشرة – ١٩٢١ – على يد منتيرولوباتو الذى تدفق إنتاجه التعليمى والإعلامى ، وإن صيغ بمهارة فى إطارات خيالية أو فى صورة رحلات ، والحقيقة أن الإقبال على قراءته نجم عن الدور الذى لعبه فى تاريخ أدب الأطفال فى البرازيل ، أكثر مما هو نتيجة لجودة أعماله ، ولو أن صيته قد ذاع فى كل القارة ، وفى الوقت الذى كان فيه للمعلمين الصوت الأعلى فى مجال أدب الأطفال .. وكانت البرازيل تسبق بلدان أمريكا اللاتينية بما أنتجته من كتب للأطفال تضمنتها بيبلوجرافيتها ، تحمل ٢٤٠٠ عنوان ، والكثير منها ليس مترجما ومنقولا ، بل هو ثمرة إبداع أقلام لمؤلفين – لأعمال حديثة – وقصص عصرية ، حافلة بالخيال ، وفى عام ١٩٣٦ تكونت لجنة وطنية من أجل إثراء أدب الأطفال ، وكانت تعمل فى إطار وزارة التعليم ، ثم أصبحت قسما من أقسام هيئة الكتاب ، التى حاولت أن تشجع الناشرين على إنتاج كتب أفضل للأطفال وحفزتهم إلى ذلك بإقامة المعارض للكتب الجديدة ، ولفتت أنظار الجماهير إليها ، كما خصصت الجوائز لأحسن كتاب للأطفال خلال فترة معينة . . وكلما كثر عدد الكتب زاد عدد المكتبات وأمنائها . وهذه بدورها تخلق طلبا على الكتب ، الأمر الذى يجعل دوائر الرواج تتسع . . وقامت فى نفس الوقت حملة لدعم المكتبات ، وتنظيمها وتقديم خدماتها للأطفال ، وانطلقت دعوة عام ١٩٣٠ لإنشاء مكتبات خاصة للأطفال ، وتحقق ذلك بعد ست سنوات بإنشاء مكتبة بلدية سان باولو للأطفال ، وكانت تحتوى على مراجع كثيرة ودوريات ، كما اتسعت لزيارات صفوف الدراسة لقضاء ساعة القراءة بين جنباتها ، ونشأ بداخلها نادى الكتاب ، وفصول للرسم ، ومسرح للعرائس وأصبحت مؤسسة تعليمية اجتماعية ، وليست مكتبة فحسب ، غير أنها كانت تفى بالاحتياجات المحلية للأطفال ، لذلك لقيت نجاحا كبيرا ، فتحدث عنها بإفاضة زوارها من المواطنين والأجانب ، واحترموا دورها ، وعملها الإبداعى مع الأطفال والكتب وتركت هذه المكتبة ومنشئتها : لينيارا فراكارولى بصماتها على ما أُنشئ من مكتبات فى البرازيل – بل وفى كل القارة – فيما بعد ذلك . .

ولا تتخصص دور النشر فى البرازيل – كقاعدة – فى كتب الأطفال ، بل هناك أقسام خاصة بها فى عدد من دور النشر يبلغ عشرين دارا من بين ثلاثين تعمل على إصدار كافة ألوان الكتب . . . لكن دارين اقتصر عملهما الأخير على كتب الأطفال إحداهما برازيلية أمريكية تخصصت فى الكوميكس . . وما بين عامى : ١٩٧٣ ، ١٩٧٥ صدر ١٦٩٣ كتاباً للأطفال فى ٣٣ مليون نسخة ، ٦٠ فى المائة منها مترجم و ٤٠ فى المائة من أصل برازيلى . . وعلى الرغم من الزيادة الواضحة فى الإقبال على كتب الأطفال – ٥٠ فى المائة من عدد السكان أقل من ١٨ سنة – فإن ماينشر من جملة عدد النسخ مازال على حاله ، والكتاب عادة لا يزيد المطبوع منه على ثلاثة آلاف نسخة ، فى حين يمكن أن يوزع أحد الكتاب المشهورين نصف مليون نسخة من كتابه ، وذلك من خلال إعادة طبع الكتاب أكثر من مرة ، لأجيال متعاقبة ، وبعض دور النشر الخاصة بالكوميكس ، تحاول الآن لكى تصدر كتيباً للأطفال الصغار جدا . . أما الترجمات -وأغلبها ملخصات وتبسيطات – فهى لا تقدم إنتاجاً عالميا رفيع المستوى ، وباستثناء القليل ، نستطيع أن نقول إنه من الأدب الهابط . .

وهناك ١٧٣٦ مكتبة فى البرازيل ، فيها ١٠٩٧ فى ولايتى سان باولو وريو دى جانيرو ، فى الجنوب الشرقى ، وفيها من حوانيت بيع الكتب ١٣٢٣ ، وتأتى المنطقة الشرقية فى المرتبة الثانية ، ففيها من هذه الحوانيت ١٤٣ . ويرجع هذا إلى الظروف الاقتصادية والكثافة السكانية ، وتليها المنطقة الشمالية . . على أن الشيء الغريب أن الجامعات والمدارس الكبيرة لا تؤثر كثيرا على المخزون من الكتب لدى هذه الحوانيت ، وكثير منها لديه أقسام لكتب الأطفال ، لكنها لا تلقى ما تستحقه من اهتمام ، وباعة الأدوات الكتابية ، وغيرهم لا يعنون بوضع كتب أطفال بين ما يتجرون فيه ، ويبدو أن عدم الإقبال عليها هو السر فى ذلك . . وكل ما يستطيع الأطفال الحصول عليه بسهولة ويسر هو الكوميكس ، فهى توضع مع باعة الصحف . . وهناك ٢٠٠ مكتبة وقاعة للقراءة فى البرازيل ، بعضها لديه أقسام للأطفال ، وهناك ٢٧ مكتبة خاصة بالأطفال فى طليعتها

مكتب سان باولو للأطفال . . وقد افتتحت منذ نحو خمس وثلاثين سنة ، ولها ٢٧ فرعا فى أنحاء متفرقة من المدينة . . وهناك نقص واضح فيما يتعلق بإحصائيات المكتبات المدرسية ، الأمر الذى يدل على أنها لا تلقى ما هى جديرة به من رعاية ، وقليلة تلك المدارس التى لديها مكتبات حقيقية ، يتم تزويدها بصفة مستمرة بالكتب الحديثة ، وفى أغلب الأحيان هناك مجموعات بسيطة من الكتب ، وهناك فى ريو دى جانيرو ٦٦٤ مكتبة مدرسية ، غير أنها لا تتجاوز فى نشاطها ما ذكرناه ...

وقد أنشئت مؤخرا مؤسسة قومية لكتب الأطفال – وهو مشروع خاص – يهدف إلى الرقى بكتب الأطفال ، وحل مشكلاتها ، وهناك المعهد القومى للكتاب ، وهو هيئة رسمية تهتم بالكتاب بصفة عامة ، وللمعهد رقابته على كتب الأطفال التى تصدر عن طريق النشر المشترك فى أعداد كبيرة ..

وأسوأ ماتواجه البرازيل من مشكلات فى مجال الكتب : مشكلة توزيعها ، ويزداد الأمر سوءا بالنسبة لكتب الأطفال ، ويرجع ذلك إلى قلة حوانيت بيع الكتب ، وقلة ما يطلب منها .. وهكذا تدور كتب الأطفال فى حلقة مفرغة : هناك الأمية وعدم تعود الناس على القراءة ، الأمر الذى يجعل كثيرين من الأطفال يشبون دون أدنى صلة بالكتاب ، وعلى ذلك فليس من جهة يمكن أن تتحمل مسئولية قراءات الأطفال غير المدرسة . وفى عام ١٩٧٣ كان هناك ١٩٣ , ٥٧٥ , ١٨ تلميذا فى المدارس الابتدائية منهم ١٣٧ , ١٨١ , ٦ فى الصف الأول ، ولا يصل منهم إلى الصف الرابع سوى ٧٥٧ , ١٨٥ والفترة التى يقضيها الأطفال فى المدرسة أقصر من أن تغرس فيهم عادة القراءة .. لكن هناك بعض المدرسين فى المدارس الخاصة يولون هذا الأمر اهتمامهم الكبير .. وإن كانت الظروف الاقتصادية وقلة المكتبات المدرسية تجعل من الكتاب سلعة كمالية مهما بذل المعلمون من جهد ، وحين يقتنى الطفل كتابا لا يحدث أبداً أن يكون هو الكتاب المناسب ، وكتب الأطفال البرازيلية الجيدة الأصيلة لا تكفى أعدادهم

الغفيرة ، ولا تصل إلا إلى أيدى أبناء الطبقات الموسرة .. وهكذا لا يجد الأطفال أمامهم إلا مطبوعات ديزنى أو ما شابهها من الأدب الرخيص .. وبين حين وآخر ترتفع الأصوات من جانب المعلمين والآباء والمؤلفين وأمناء المكتبات تنادى بضرورة الاهتمام بهذه القضية ، لكنها أصوات تذهب أدراج الرياح - كما يقول ايجيليه ماهيهيروس ، الذى يشرف على الشعبة الوطنية للمكتب الدولى لكتب الشباب والأطفال ، ويضيف : أن هناك عددا من المتحمسين لقضية الطفل والقراءة يقاتلون الآن كما فعل من قبل « مانيرو لاباتو » رائد أدب الأطفال ، لكى يقدموا لأبناء البرازيل أدبا برازيليا ، نابعا من البيئة ، وليس مترجما أو منقولا عن أمريكا وأوربا .

الأرجنتين

مكتبات الأطفال فى الأرجنتين أقدم عمرا من أدبها للأطفال ، وذلك ليس غريبا إذا ما تذكرنا « سارمنتو » ونظرياته التربوية ، فقد استطاع كوزير للتربية أن يفرض نظاما تعليميا ومكتبات عامة فى طول البلاد وعرضها ، وعندما أصبح رئيسا للجمهورية تمكن من أن يترجم كل ذلك فى قوانين منفذة .. وكان قانونه عام ١٨٧٠ بالغ الأثر على المكتبات عامة ، والمدرسية منها خاصة .. فلقد أنشأ لجنة خاصة بالمكتبة الوطنية ، وخصص لها الاعتمادات لاقتناء الكتب ، بشكل مستمر ودائم ، كما عين لها الأمناء .. وقد بقيت بعض المكتبات على حالها منذ قامت ، ونمت مكتبات أخرى ونجحت فى خدمة مجتمعاتها بشكل طيب إلى يومنا هذا ، ووفق القانون فتحت جميع المكتبات المقامة فى مدارس تخريج المعلمين والمعلمات والمدارس العامة ، للجماهير ، ومن بينها جماهير الأطفال .. وكانت الدورية التى أنشأها تبدى اهتماما كبيرا بقراءات الأطفال ، وكانت تبعث بإرشادات تنظيمية

للمدارس الابتدائية بشأن اختيار الكتب التى تزود بها الرفوف بشكل دائم ومستمر .. وفى مطلع الثلاثينات كانت هناك خدمة مكتبية ، وتنظيم للمكتبات ، وإدارة تعطى الوسائل العلمية التى يمكن أن تأخذ بيد هذه المكتبات .. كان العرف السائد أن تعامل القراءة على أنها « فن » ينبت ويترعرع ويزهر ويثمر فى حقل « المكتبة » .. وبقيت هذه التقاليد ، ورسخ هذا العرف لا فى الأرجنتين وحدها ، بل فى كل أمريكا اللاتينية ..

وقد افتتحت قاعة القراءة الخاصة بالأطفال فى المكتبة الوطنية العامة فى الأرجنتين فى عام ١٩٣١ لكن الأمر وقف عند هذا ، فلم يتطور العمل ولم ينعدم ، وراح الكثيرون من المعلمين والمربين يطالبون بخدمة مكتبية أفضل للأطفال ، وراحت « انجليكا روجاس دى الفاريز » تنبه إلى خطورة عدم شغل وقت فراغ الأطفال بالقراءة والكتب ، ورأت أن التقاعس فى هذا سوف يؤدى إلى انحرافهم .. وسواء وافقناها اليوم على هذا الرأى ، أم اختلفنا معها ، فإن أثر كلماتها كان كبيرا ، فأقبل البعض على ارتياد مجال أدب الأطفال .. وكتبت جبريلا مسيترال عن تدنى الذوق العام ، وناشدت أمناء المكتبات أن يقاتلوا ضد فقر الخيال وضد الترفيه المبدد للوقت ، وقالت إن المكتبة الجيدة مازالت تعتبر لونا من الرفاهية ، وكان أمناء المكتبات الذين يؤمنون بضرورة الانتشار قليلين ، فما بالك بمن يريدون له أن يقفز ويطير ويحلق ؟!

وقد يظن البعض أن هذه الدفعة التى قام بها سارمنتو فى الربع الثالث من القرن التاسع عشر قد أثمرت أدبا للأطفال ، الحقيقة أن هذا لم يحدث ، وظلت الكلاسيكيات من الآداب الأخرى تترجم وتقتبس ، وظهرت بعض أقلام وطنية تكتب أعمالا محلية مثل ريكارد وجيرالدس .

وفى عام ١٩٣٧ كتبت فرايدا شولتز تقول : إنه على مدى خمسين عاما تصدر كتب الأطفال فى الأرجنتين وتبدو كلها – فيما عدا القليل جدا منها – على وتيرة واحدة ، وليست على ما يهوى الطفل ويريد .. وكتبت فيما بعد

ذلك تقول إنها ترى أن أدب الأطفال يجب أن يكون فى لغة الشعر ، ولغة الأطفال ، وهما شيء واحد .. على أن كاتبا أرجنتينيا بدأ يهتم عام ١٩٣٩ بأدب الأطفال .. وهو « جيرمان بيرديااليس » الذى كتب عدة مقالات فى صحيفة « لا برانسا » الشهيرة ، والتى تصدر فى بوينس ايرس ... وكانت قد نظمت مسابقة بين الكتّاب لأفضل عمل للأطفال ، وخصصت لذلك جوائز مغرية بالمشاركة ، وقد ساهمت الصحيفة بإثارة الاهتمام بما كانت تنشره من نقد لكتب الأطفال ، ففى أعدادها الخاصة يوم الأحد كانت توالى نشر المناقشات الهامة حول هذه القضية .. وانهالت « الينا فورشن » باللوم على الآباء الذين لم يحافظوا على الآداب التراثية الشفاهية ، وكانت تثير خيال الأطفال ، وتضعهم على طريق الإبداع والخلق ، الأمر الذى يمكن مستقبلا أن يجعل منهم كتابا للأطفال .. ولها كتاب يركز على رواية الحكايات ، ويشير إلى ضرورة أن تكون بسيطة غاية البساطة ، شاعرية فى أسلوبها ، ولغتها ، وأن تحترم ما توارثناه من الحكم الشعبية عن الجدود .. وقد زاد عدد كتّاب الأطفال خلال الفترة من ١٩٣٠ ــ ١٩٤٠ أثناء احتدام هذه المناقشات فى الصحيفة ، وقد نقد بيرد ياليس أربعة من كبار كتّاب الأطفال بشكل بالغ الجدية ، كما ناقشت بعض أعمال الناشئين .. كما عرضت مارنا اسكالا عدداً كبيراً من أعمال كتّاب الأطفال ونشرت قائمة بأعمال بعض منهم .. وفى عام ١٩٦٢ كتبت دورا باستوريزا عن خمسين مؤلفا فى دراسة عميقة لها .. والسؤال : ماذا كان يكتب هؤلاء ! وكيف ؟! .. لقد قالها واحد من النقاد إن أغلب الكتّاب يقتبسون نفس الأعمال ، ونفس الأفكار ، الأمر الذى .. تنتج عنه كتابات كثيرة ، و « أدب قليل » ! ..

على أن بوينس ايرس مازالت أكبر مراكز إنتاج كتب الأطفال فى أمريكا اللاتينية ، وقد ظهرت أعمال « كونستانكو فيجيل » – صاحب النظريات الفلسفية فى التعليم – فى سلسلة كتب للمطالعة للأطفال فى المدارس فى كل الأرجنتين وبلاد أخرى .. كما أنه نشر كَمًّا كبيرا من الأساطير والكلاسيكيات ، وكتب قصصا خيالية عن « الطبيعة » .

وفى السنوات الأخيرة برز معهد (سوما) ، الذى ينظم دراسات فى أدب الأطفال للمعلمين ، وينشط بالتدريس فيه عدد من العاملين فى فرع المكتبة لكتب الأطفال وتساهم دور النشر فى أعمال المعهد ..

فى شيلى :

كان أدب الأطفال يعتبر – لسنوات طويلة – فى شيلى جزءا من العملية التعليمية يهدف إلى خدمتها وتيسيرها ، بل كان أحيانا وسيلة توضيحية وتربوية ، تجسد بعض القيم الأخلاقية ، والدينية ، والوطنية كما تقول اليسياموريل ، واريست بلانا وهما من الكتّاب المرموقين فى شيلى . ويضيفان أن الكلاسيكيات العالمية للأطفال التى تأتى من الخارج تلقى الاهتمام من جانب بعض الآباء الذين يحبون رواية القصص لأبنائهم بغرض إمتاعهم بها .. وبعض هذه القصص كان يقدم كما هو ، برسوم جيدة ، تحكى كيف حاولت زوجة الأب أن تقتل ابنته (سنو هويت) ، وتروى كيف ذبح رجل رقاب سبع فتيات (عقلة الصباع) ، وتقص كيف قتل الرجل زوجاته الست وترك جثثهن مشنوقات معلقات فى غرفة (ذو اللحية الزرقاء) ، بل وتتكلم عن الرجل الذى أراد قتل زوجته ، ليتزوج من ابنته (جريزيالدا) ، ثم هناك تلك القصص التى عقدت فيها البطولة للأطفال ، وهى لاتمت إلى أدب الأطفال بأية صلة ، لكنها النية الحسنة هى التى تصور للبعض أن هذه كلاسيكيات تصلح روايتها للصغار .

إن الكتّاب والشعراء – فى محاولتهم لخلق الجمال – يقتربون من عالم الأطفال المسحور ، لأن هؤلاء أغانيهم الخاصة بلغتهم البسيطة ، كما أنهم

مملكون وسحرة ورواة حكايات ، وشعراء ورسامون . بالفطرة ! وهذا بدوره يطرح سؤالا هاما :

ماذا يتوقع منا الطفل ؟ وهل يتحقق له ما يريده؟

إن مهمة المؤلف أن يصل إلى الأطفال عن طريق الحقيقة والخيال ، الواقع والسحر ، وهذا ما يحاوله البعض فى دأب وإصرار شديدين ، لذلك تسعى دور النشر فى شيلى إلى تقديم أعمالهم للأطفال فى شكل جذاب أخاذ ، ولمعت فى هذا المجال أسماء : مارسيلا باز ، اليسيا موريل ، ماريا سيلفا كاسا ، شيلارايز ، ماتييه الامند ، على أن الكتب المصورة المتحركة ، والتى تبرز الشخصيات مجسدة من بين صفحاتها ، والتى تصدر أصواتا أو أنغاماً ، هذه الكتب المميزة الخاصة جدا بالطفل لم تصل بعد إلى أيدى ، الأطفال فى شيلى ، ولا نظنها تصل قريبا ، برغم كل الجهود المبذولة .. والسبب يرجع إلى العوامل الاقتصادية ، وبسبب أجهزة الاتصال الجماهيرى ، كالتليفزيون ، فقد شدت الأنظار إليها ..

وقد عقد فى شيلى فى سبتمبر ١٩٧٧ أسبوع للثقافة والمكتبات ، كانت له نتائج هامة ، إذ أدان الحاضرون « الإظلام الثقافى » الذى يريد البعض فرضه عالميا أو محليا . « وفترة ما قبل المدرسة وتسرب الأطفال خلال دراساتهم الابتدائية وهجرانهم للمدرسة » .

وهناك أعداد كبيرة تتصور أنه لاحاجة بها للقراءة لأنها فى رأيهم لن تفيد كثيرا فى رفع مستواهم ! ، والتعليم يركز على « المعرفة » وخلال الأعوام العشرة الماضية يدرسون الأدب وفق مقاييس تعليمية فحسب ، دون الأخذ بالاعتبار تلك المتعة التى يحصل عليها متلقوه . وكل مايدور فى هذا المجال عملية تشريح للأدب ، الأمر الذى يجعل الأطفال زاهدين فية ، والكبار أيضا .. والمكتبات المدرسية لااعتمادات كافية لها ، كما أنه لايتم فتحها إلا خلال ساعات

الدراسة التى لا تمكن الطفل من ارتياد المكتبة والاطلاع على كتبها .. والمكتبات العامة بالغة الندرة وتفصلها عن بعضها مسافات شاسعة .. على أن هناك بعض التحسن نتيجة ظهور أجيال جديدة من خريجى جامعتين فى شيلى ، يمكنهم العمل كأمناء مكتبة .

والمساكن – بظروفها الراهنة – لاتعطى الفرصة للكتاب كى يحتل مكانته بين أفراد الأسرة ، والكتاب يكاد يختفى من الحوار اليومى العادى بين الناس ، بل ويكاد يختفى من حياتهم .. وكثيرا ما يرتبط الكتاب فى أذهان البعض بالملل لأنه يقدم بشكل غير جذاب ، كما أن عنصر الصورة يجب أن ينسق مع الكلمات بجانب ضرورة أن يعالج الكتاب موضوعات تشد الأطفال إليهم .. يضاف إلى هذا قلة المكتبات وعدم قدرة العاملين فيها على مساعدة الكبار والأطفال وإرشادهم إلى الكتب المناسبة ، بل هم لايعرفون على وجة التحديد مالديهم من مخزون الكتب ، كما أن الجماعات التى تلتقى فى المكتبات للتحدث والمناقشة فى ندوات حرة ، اختفت ولم يعد لها وجود .

وهناك حاجة ماسة إلى الإعلام عن الكتب الجيدة لحفز الأطفال على القراءة ، الأمر الذى لايحدث كثيرا ، فليست هناك دوريات للكبار أو الأطفال ، كما أن التليفزيون والإذاعة لا يعرضان للكتاب بشكل كاف ، وارتفعت أسعار الكتب ، الأمر الذى جعل كثيرين يسقطونها من حساب ميزانياتهم ، فانخفض توزيعها .

وهناك إحجام من جانب الكتّاب والمؤلفين ، فهم لايلقون ما هم جديرون به من تقدير أدبى ومادى ، والذين يتجهون للأطفال حظهم أسوأ ، وليس هناك نقد لكتب الأطفال ، ولا جوائز للكتاب المتفوقين ، وإن كان هناك جهد مشكور من جانب الشعبة الوطنية للمكتب الدولى لكتب الشباب والأطفال .

كتب الأطفال
فى
كولومبيا

كنت قد اكتفيت فى حديثى عن كتب الأطفال فى أمريكا اللاتينية بعرض ما يجرى فى ثلاث دول : الأرجنتين والبرازيل وشيلى .. لكن حديثا صحفيا دار مع « جابرييل جارسييه ماركيز » الكولومبى الفائز بجائزة نوبل ، دفعنى إلى أن أعود فأكتب عن كتب الأطفال فى بلده « كولومبيا » تحية له ، ولعبقريته .. الحديث نشرته مجلة « الدوحة » وترجمه من الأسبانية « ماهر البطوطى » وأنقل عنه بعض عباراته الثرية .

يقول ماركيز :

« كان جدى يحكى لى أشد الأشياء هولاً دون انفعال ، كما لو كانت أشياء رآها لتوه ، واكتشفت أن هذه الطريقة الهادئة ، وذلك الثراء فى التصوير هما أكثر ما يسهم فى اختفاء طابع الواقع على حكاياته ، وقد استخدمت نفس طريقة جدى فى كتابه « مائة سنة من العزلة » .. وكان كافكا يقص الأشياء بنفس طريقة جدى ..

« وحين قرأت فى السابعة عشرة من عمرى قصة كافكا .. « المسخ » اكتشفت أننى سأصبح كاتبا ، فحينما رأيت أن بالإمكان أن يستيقظ « جريجورى سامسا » من نومه ذات صباح ليجد نفسه وقد تحول إلى خنفسة هائلة قلت لنفسى :

ــ لم أكن أعرف أنه يمكن كتابة مثل هذا ، ولكن إذا كان الأمر كذلك فالكتابة شىء يهمنى .. ذلك أننى اكتشفت أنه يوجد فى ميدان الأدب إمكانات أخرى غير العقلانية الأكاديمية التى كانت كل ما أعرف آن ذاك من

كتب المدرسة ، لقد كان الأمر كأننى تخلصت من قيد على حريتى ، وبرغم ذلك فقد اكتشفت بمرور الزمن أنه ليس بإمكان المرء اختراع أو تخيل أى شيء يتوق إليه . لأنه يخاطر فى هذه الحالة بكتابة أكاذيب ، والأكاذيب أخطر في ميدان الأدب منها فى ميدان الحياة ، ففى نطاق الخيال والابتكار هناك قوانين : وفى إمكان المرء أن ينزع عنه ورقة العقلانية على ألا يقع فى الفوضى .. فى اللاعقلانية التامة ..

« إننى أومن أن الخيال ما هو إلا أداة تفاصيل الحقيقة ، بيد أن نبع الإبداع هو الواقع أولا وأخيرا ، أو الحقيقة . والفانتازيا – أو الاختراع الكامل التام على طريقة والت ديزنى ، دون أى سند من الواقع – هى أشد الأشياء مقتا فى الأدب وأذكر ذات مرة **أننى اعتزمت تأليف كتاب لقصص الأطفال ، وكتبت قصة (بحر الزمن المفقود) كمثال ولم تنجح ، ربما لأن الفانتازيا لا تنجح فى نقل شيء للقارئ .. وهذه الحجة هدمت مشروعى ، ذلك لأن الفانتازيا لا تعجب الأطفال ، وأنّ ما يبهرهم حقا هو الخيال .. والفرق بين الاثنين هو الفرق بين الإنسان وبين الدمية الناطقة »** .

كتب قليلة وفقيرة :

تقول أولجا كاستيلا باريوس فى كتابها عن أدب الأطفال فى كولومبيا : إن الأعمال الوطنية الأدبية للأطفال قليلة فى عددها ، فقيرة فى مضمونها .. وذلك على الرغم من أنها أشارت فى كتابها هذا إلى ٥٦ من المؤلفين المحليين – كان هذا عام ١٩٥٤ – كما أنها انتقدت خمسة أشكال من أدب الأطفال : الحكايات الفبيولات ، الفانتزى ، التاريخ .. ثم الدراما والشعر . وقد اختارت نماذج لأغلب هؤلاء الكتاب ، وركزت على « رافييل بومبو » و « أوزوالد دياز » وقدمت تراجم مختصرة لحياة كُتّاب الأطفال ، وخلصَتْ إلى أن أدب الأطفال فى كولومبيا يفتقر إلى الأصالة والقوة الأمر الذى يجعله غير قادر على الوفاء

باحتياجات الأطفال وميولهم ورغباتهم .. كما قالت إن الشعر هو أفضل ألوان أدب الأطفال فى كولومبيا ، وكان « بومبو » هو الشاعر المتفوق فى هذا المجال ، فقد كانت أغانى « مازرجوس » أو « الأوزة الأم » – التى سمعها فى إنجلترا فى طفولته – موحية له بالكثير ، وهو لم يترجمها بل أعاد صياغتها بالأسبانية وجعل الشخصيات الرئيسية من كل أمريكا اللاتينية ، فمثلا جعل « هبرد الأم » تقتنى قطة بدلا من الكلب ، وحين تذهب الضفدعة إلى الريف يلبسها ثياب أمريكا اللاتينية .. وكان « دياز » من نقاد كتب الأطفال ، وكتب هو أيضا للأطفال بأسلوبه المتميز ، وكان يقظا لأمر بالغ الأهمية هو أن كاتب الأطفال لا يهتم فى كثير من الأحيان بأذواقهم وميولهم ومشاعرهم .. وكان يقول :

« إن أدب الأطفال يبدأ مع أغنية المهد ويصل إلى خاتمته بانتهاء عهد البراءة » .

وتقول كاتبة الأطفال « جنوريا دى مينا » – من دار فولنتاد للنشر – إن أغلب دور النشر فى كولومبيا الآن تهتم بكتب الأطفال ، وهناك ٢١٤ حانوتا لبيع الكتب بجانب باعة الصحف وفى السوبر ماركت ، ومع ذلك فإن الكتاب لم يصل إلى جماهير عريضة من السكان كنتيجة حتمية للأمية ، ونقص معاهد التعليم ، إلى جوار انخفاض الدخل وارتفاع أسعار الكتب .. ووفق إحصائيات المعهد الثقافي الكولومبى هناك ٢٠٠ مكتبة عامة فى كل البلاد ، أهمها مكتبة بنك « الجمهورية » التى تمتد خدماتها إلى أعداد غفيرة ..

وهناك هيئتان تتحملان مسئولية تطوير الكتب والرقى بها ، الأولى غرفة صناعة الكتاب ، والثانية المركز الإقليمى لتنمية الكتاب فى أمريكا اللاتينية .. إنهما تهتمان بصناعة الكتاب وتعملان على وضع أسس سياسة قومية لإنتاجه ، باعتباره عنصراً ضرورياً فى حياة الإنسان .. ويجب أن يكون جزءا لا يتجزأ من دنيا الطفل وعالمه .

وتضيف الكاتبة أنه فى سن العامين يستطيع الطفل أن يستفيد من الكتب المصورة .. وهى تدربه على صحبة الكتاب ، فضلا عن لفت نظره إلى ملاحظة ما يدور من حوله .. ومن سن الثالثة يمكنه الاستماع إلى قراءات بصوت عال من الكتب – قد تكون شعرا أو نصوصا – هى مدخله إلى الأدب ، وهى تثرى وجدانه ، كما تزيد من ثروته اللغوية وقدرته على التعبير فضلا عن توسيع خياله وآفاقه ، الأمر الذى يساهم فى تكوين قدراته الإبداعية .. ومن السنوات الأولى لابد أن تكون القراءة فى المدرسة جزءا من نشاط الأطفال فى كافة مجالات التعليم . وبذلك يدرك الطفل أن الكتاب شىء لا غنى عنه ، بل هو جانب من كيانه ، ويستطيع المعلمون أن يجعلوه جانبا ممتعا ومصدرا للمعرفة والعلم .

وقد عقدت فى بوجوتا منذ قرابة عشرين عاماً حلقة دراسية حول المكتبات المدرسية ، شارك فيها ممثلون عن اليونسكو وتحت رعاية وزارة التربية (٩ ـ ١١ نوفمبر ١٩٦١) وقد توصلت هذه الحلقة إلى توصيات هامة خاصة بالمكتبات المدرسية ، وقد صدرت بهذه المناسبة ببلوجرافيا قيمة خاصة بكتب الأطفال .. وهناك مكتبة ميدلين الرائدة – وبها قسم خاص بالأطفال – تحاول تأدية رسالتها فى هذا الميدان – بجانب مكتبة « بنك الجمهورية » ولها خدمات تمتد إلى الأقاليم .

وفى مجال الكتابة للأطفال فى كولومبيا لمعت أسماء كل من : أرنستو دياز ، وجلوريا دياز ، وأرنستو فرانكو ، كما أن هناك فيضا من كتب والت ديزنى تصدر فى كولومبيا بجانب ما تنشره « راندوم هاوس » ودار « انترفيجيوال كومنيكيشن » من أعمال ترتبط بما يقدم على شاشة التليفزيون استثمارا لانتشارها الواسع .

وهناك مشروع لإنشاء « بنك الكتاب » فى كولومبيا ، لمواجهة الاحتياجات الخاصة بالكتاب : نشرا وطباعة وتوزيعا ، كما أنه قد بات من

الضرورى تحصيل بعض المبالغ من أولياء الأمور فى المدارس لتزويد مكتباتها بالجديد .

وبعد.

فقد طال بنا الحديث ، وامتد ، وبرغم ذلك فما زالت له بقية ، إذ لدينا من المادة الكثير ، فهناك دول إفريقية لم نعرض لها ، وكان فى تقديرنا أن نتحدث عن سرى لانكا وسنغافورة ، وتايلاند فى آسيا ، وكان فى خطتنا أن نتكلم عن كولومبيا وكوبا وجواتيمالا وبنما وبيرو وأرجواى وفنزويلا فى أمريكا اللاتينية .. لكننا اضطررنا أن نتوقف عند هذا الحد ، إذ أن الكثير من التجارب متكررة ، كما أننا منذ البداية قلنا إنها دراسة استطلاعية .. كما رأينا أن نجعل الحديث عن الكتب فى الوطن العربى فى دراسة منفصلة ، خاصة ونحن على مدى الأعوام الأخيرة قد قدمنا حلقات بحث كاملة حولها ، ناقشت كافة أمورها من شتى جوانبها .

وكان الهدف من البداية أن نلقى البذرة وأن نضع بعض الخبرات التى يمكن تبادلها والإفادة منها مستهدفين الحلقة الدراسية الكاملة التى تضع أقدامنا على الطريق الصحيح . وقد استفادت الدول المتقدمة من تراثنا فى الدول النامية ، فقد نقلته إلى بلادها وأطفالها ، ونستطيع إن نحصى مئات الكتب من هذا اللون ، ويحز فى نفوسنا أنهم أخذوا هذا ضمن ما أخذوا ، وأنهم استثمروه واستمتع أولادهم به ، وحالت الظروف بيننا وبينه .

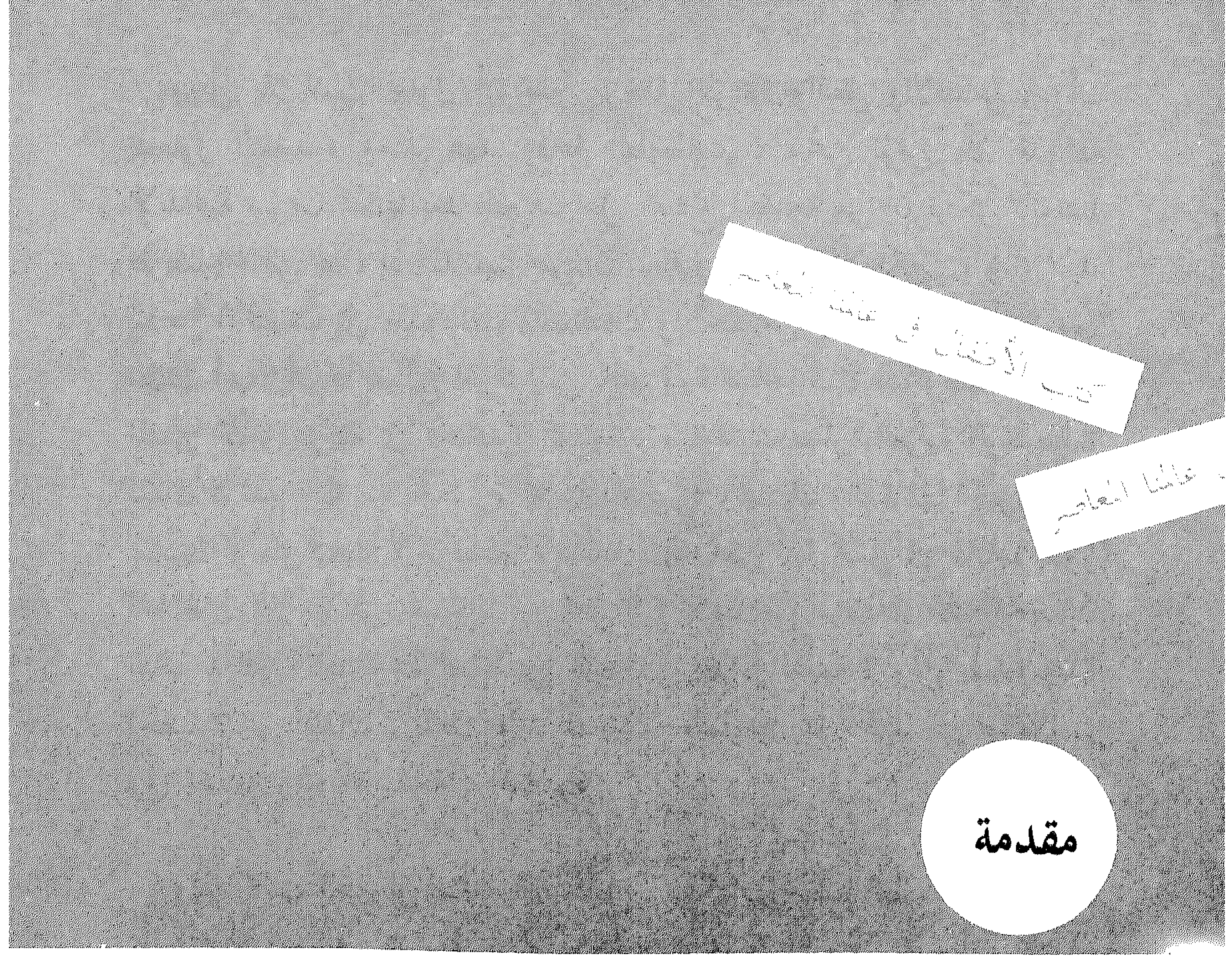
وإذا كانت لى مقترحات فى نهاية الدراسة ، فهى لا تتجاوز ضرورة عقد حلقة دراسية حول كتب الأطفال فى الدول النامية بالقاهرة يشهدها ممثلون عن هذه الدول تحت راية اليونسكو .

ونأمل أن يبدأ التعاون بين البلدان العربية والبلدان النامية فى تبادل أدبيات كتب الأطفال منذ الآن ، ويجدر بنا الانضمام إلى الهيئات الدولية العاملة فى هذا المجال بعد أن تركنا الساحة خالية لوقت طال ..

كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر

القسم الثانى

كتب الأطفال فى الدول المتقدمة



مقدمة

نحن لا نعيش فى جزيرة منفصلة ، ولا أحد يعيش فى عزلة ، بعد أن أصبح عالمنا « قرية الكترونية » يتصل بعضها ببعض ، تؤثر فيه وتتأثر به ..و« روبنسون كروزو » لم يعد له وجود ، ولا هو نمط الحياة الطبيعية ، بل إن « مذهب منرو » الأمريكى قد سقط وتلاشى .. وبالتالى فنحن بحاجة ماسة إلى أن نعرف عالمنا وأن يعرفنا عالمنا ، وأن نعرف ما يجرى فيه فى كل مجال من مجالات الحياة .. وكتب الأطفال ، برغم أنها وجدت فى عصر مصر القديمة ، ومع أننا ورثنا عنها أول كتاب للأطفال فى العالم ، فإن هذا الفن من الكتابة لم يزدهر إلا حديثا ، وفى القرن التاسع عشر .. وقد سبق أن تدارسنا حال كتب الأطفال فى مصر والوطن العربى ، واتسعت الرقعة فناقشنا الظروف التى تمر بها كتب الأطفال فى الدول النامية ، وحان الوقت لإطلالة .. على كتب الأطفال فى الدول المتقدمة ..

ونحن بلا شك نحاول أن نعبر مرحلة الترجمة والنقل والاقتباس ، وأن نتجاوز التقليد ، ومنذ عهد رفاعة الطهطاوى ، ونحن نؤمن بأن قدراتنا الإبداعية سوف تمكننا بعد التعرف على النماذج المتقدمة من أن نبتكر لأنفسنا طريقنا الخاص بنا ، إذ أننا نصر على أن المعاصرة وحدها لا تكفى ، وأنه لابد لنا من الالتفات إلى جذورنا ، وأصالتنا ، والأخذ من تراثنا العريق ، واضعين نصب أعيننا أن ما يصلح لغيرنا ليس بالضرورة صالحا لنا ، فلنا وضعنا الخاص المتميز كأمة عريقة فى الحضارة القديمة ، وبانية للحضارة العربية الوسيطة ، لذلك لا تدير رءوسنا الحضارة الغربية المعاصرة ، بماديتها واندفاعها الجنونى تجاه مبادئ وسلوكيات لا نرتضيها لأنفسنا ، إذ نحس أنها تحمل فى ثناياها بذور انحلالها .. كما أننا نثق بمستقبلنا ، ونؤمن بأن بلادنا هى المرشحة لصنع الحضارة التالية ، التى لابد وأن تبنى على القيم الروحية والدينية ، ولن يصنع هذه الحضارة غير أطفالنا ، لذلك لابد أن يشبوا مسلحين بما يمكنهم من صنعها .. وفى مقدمة هذه الأسلحة : المعاصرة .

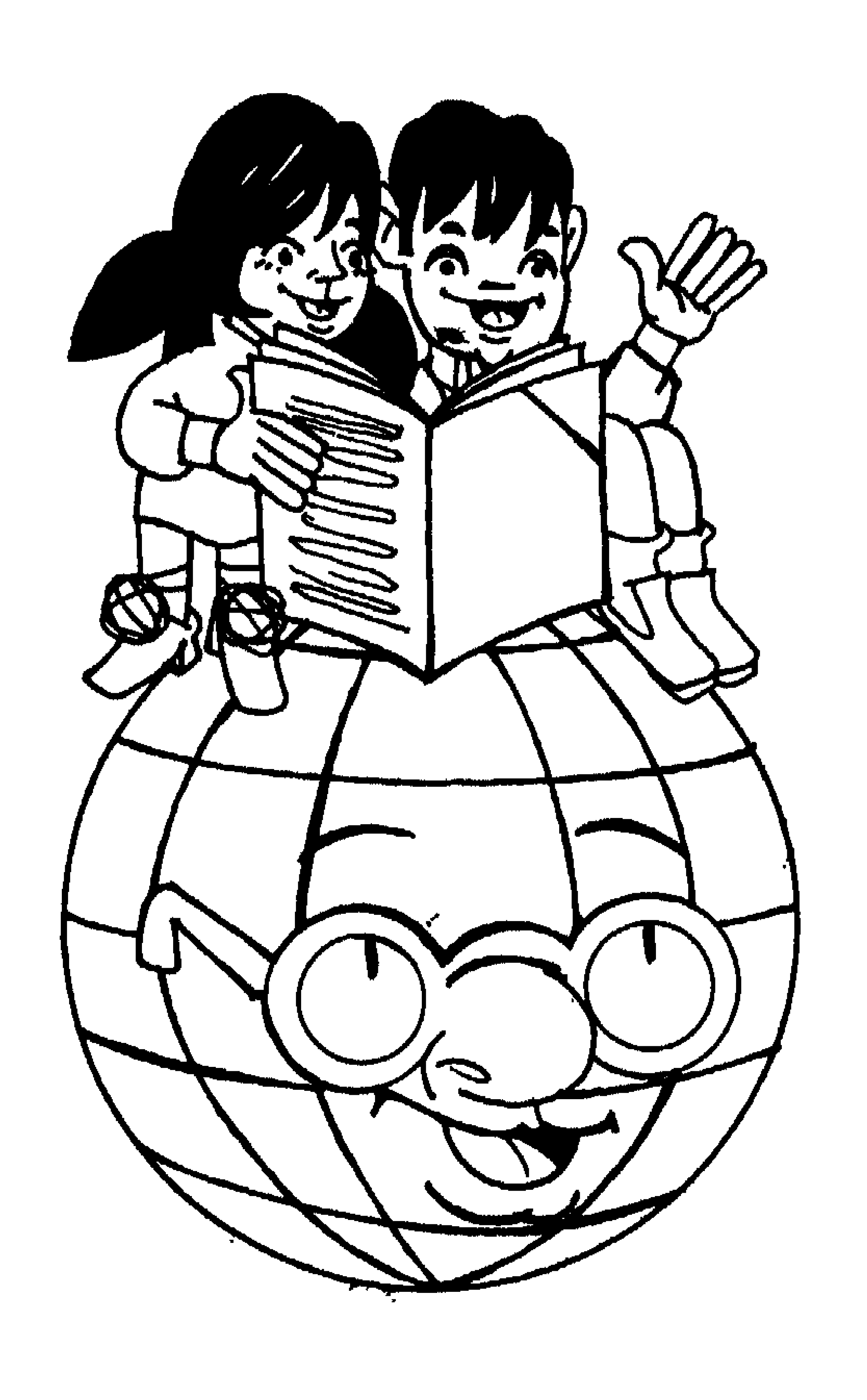
وإذا كانت الطفولة صانعة للمستقبل ، فالكتاب صانع الطفولة ، ومن هنا تأتى أهميته ، وخطورته وضرورته .. ونحن بحاجة إلى التعرف عليه أينما كان .. ولسنا مبهورين به فى الدول المتقدمة ، لأن مقاييس التقدم عديدة ، ومتفاوتة ومختلف عليها ، وقد تكون هذه الدول متقدمة فى جانب ، ومختلفة — فى رأينا — فى جانب آخر .. وأذكر **فرانسيليا بتلر** مؤلفة كتاب « **مشاركة الأدب مع الأطفال** » وأستاذة أدب الأطفال فى جامعة كونتيكت بعد أن استمعت إلى مفهومنا فى ثقافة الأطفال وأدبهم ، وأذكر أنها قالت لى : إذا كان هذا المفهوم سائدا بحق لديكم فإن ما تقدمونه لأطفالكم أدب حقيقى ، وليس مجرد كتابات ترضى نزوات الأطفال ونزعاتهم .. إن ما يجرى فى أمريكا كارثة ، إذ اتحد الكتّاب مع الناشرين مع أمناء المكتبات لكى يقدموا شيئاً لا ينتمى للأدب ، بل هو أقرب إلى العمل التجارى ..

وعندما تطلعت إلى كتبنا ، وإلى الكتب التى اشتريتُها من أدب الأطفال عندهم ، قالت لى ..

ـ واضح من كتاباتك ، ومن الكتب التى اخترتها أنك واضع يدك على مفاتيح الأدب الحقيقى .. لديك « ترمومتر » حساس ، تحسن استخدامه فى قياس ما هو أدب وما ليس أدبا .. إن هذا « الترمومتر » يحوم حول درجة الحرارة ٣٨ .... وأريتها مجموعة كتب ، كانت بعيدة عنا ، وسألتها : – ما رأيك فى هذه ؟ قلبتها وسألت : **كيف اشتريت هذه ؟ ولماذا ؟ !** قلت : إنها – **فيما أرى – نموذج للكتابة السيئة للأطفال .. وتهلل وجهها** وقالت : **أحسنت . أنا لا أذكر أسماء هؤلاء المؤلفين فى محاضراتى ، ولا أحب أن ترتفع كتبهم فوق رفوف مكتبات الأطفال ..**

من هذا المنطلق ، ندرس كتب الأطفال فى الدول المتقدمة .. لا هى تبهرنا لدرجة إغفال جوانبها السيئة ، ولا نحن نحاول أن نبحث فيها عن السلبيات فحسب ، إذ هى بدون شك « متقدمة » فى كثير من جوانبها ، بل فى أغلب جوانبها ، ومهمتنا ليست فى تقصى عيوبها ، خاصة أنها مكتوبة لأطفال غير أطفالنا ، ووفق معايير أدبية وتربوية وأخلاقية تختلف عن معاييرنا ، والحكم عليها لايكون بميزاننا الخاص ، لكننا نحاول أن نكون موضوعيين على قدر ما نستطيع ، لنعرف إيجابياتها لنستثمرها ، وسلبياتها لنتفاداها ..

ونحن أيضا نرفض فكرة تجنبها على أنها منكر .. وعلى أنه « ليس فى الإمكان أبدع مما كان » فلسنا من أصحاب هذه المدرسة التى ترفض الجديد ، فالحياة فى تطور سريع ومستمر ، ومن يتوقف عن اللحاق بالركب يتأخر ويتخلف .. وما أكثر ما فاتنا بسبب الوقوف عن الأخذ بأسباب الحضارة .



ما هى الدول التى نطلق عليها « الدول المتقدمة ؟ »

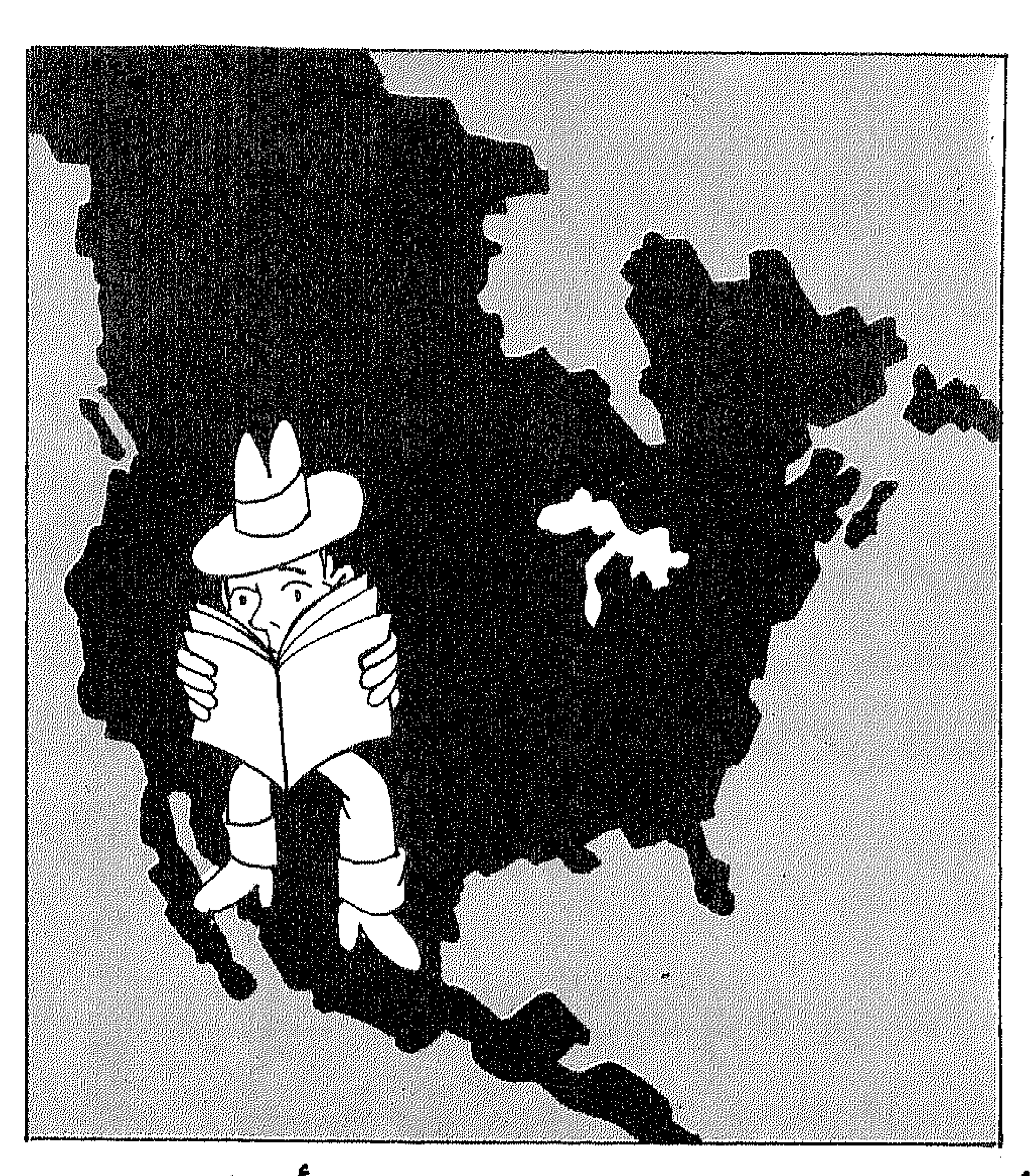
وهذا السؤال الذى قد يطرح نفسة ، ربما يجده البعض غير ذات موضوع . لكن فى غيبة المقياس المتفق عليه ، الذى نحدد به الدول المتقدمة من تلك النامية أو المتخلفة ، نجد أنفسنا فى حاجة إلى محاولة للإجابة ..

لنفرض أن البعض اتخذ من عضوية « النادى الذرى » مقياسا ، فإننا نجد الهند عضوا فى هذا النادى ، لكننا جميعا نعرف أن الهند – برغم تقدمها الصناعى – من الدول النامية .. والذى يحدد تقدم الدولة وتخلفها ليس الدخل فحسب ، فإن الكويت بها أعلى نسبة دخل فى العالم لزيادة عوائدها البترولية فى

مقابل عدد سكانها ، ولا أحد يقول إنها بذلك أكثر تقدما من أمريكا .. لذلك لابد من مقياس هو حصيلة عدة اعتبارات تجعلنا ننظر إلى هذة الدولة أو تلك على أساسها لنقرر إذا ما كانت متقدمة أم لا .. لذلك هناك شبه اتفاق على أن الدولتين الكبيرتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من الدول المتقدمة .. كما أنه من غير المعقول أن نرى أوربا –بشقيها الغربى والشرقى – من الدول غير المتقدمة ..قد تعيش هذه الدولة أو تلك فى ضائقة مالية ، أو ظروف سياسية صعبة ، لكن ذلك لا يمكن أن يبعدها عن قائمة الدول المتقدمة فى أغلب مجالات الحياة ..

ولانظن أحدا يتصور أن اليابان دولة غير متقدمة .. إنها بكل المقاييس – وخاصة الاقتصادية والتكنولوجية – توضع على رأس الدول المتقدمة .. لكن ماذا عن أستراليا ؟ ماذا عن الصين ؟ .. قليلون هم الذين يرون فى أستراليا دولة غير متقدمة ، وكثيرون لا يرون الصين دولة متقدمة .. مع أن أستراليا دولة حديثة ، ومستوى المعيشة فيها مرتفع ، وهى تأخذ بأسباب الحضارة منذ وقت ليس بقريب .. لذلك نضعها فى مصاف الدول المتقدمة .. والصين قد تكون فى بعض جوانب الحياة ليست متقدمة بقدر كاف لكى تضم لقائمة هذه الدول ، إذ هى تمضى قدما ، ويثقل حركتها أن عدد سكانها ألف مليون نسمة مرت بهم ظروف استعمار قاسية ، وصراع داخلى عنيف ، وتخلف حضارى طويل ، إلا أنها بدون شك صنعت الكثير ، واستطاعت وفق مقاييس عدة أن تفرض نفسها على العالم : عضوا فى مجلس الأمن ، وفى النادى الذرى ، إلى غير ذلك من المجالات التى تجعلنا نعتبرها دولة متقدمة .. وهى كذلك بدون شك فى ميدان الأطفال ومكتباتهم ، فقد خطت خطوات سريعة أكدت بها مكانتها بين دول العالم التى تختص بالطفل والكتاب .

أيا كان الأمر ، فقد وجدنا فى ذلك التوزيع « الجغرافى » أيسر السبل لتوضيح ما يجرى فى عالمنا فى مجال كتب الأطفال .



كتب الأطفال في أمريكا

على مدى الأعوام الأخيرة يصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية ما بين ٢٠٠٠و ٢٥٠٠ كتاب للأطفال سنويا ، وهذه الإحصائية مأخوذة عن الكتب التى ترصد فى القوائم ، وهناك كتب تتسرب خارج هذه القنوات ، خاصة تلك التى تجد طريقها فور صدورها إلى السوبر ماركت ، والمتاجر التى تبيع كل شيء ، وقد حققت الكتب التى تحتويها القوائم مبيعات وصلت قيمتها إلى ١٢٥ مليون دولار ، بزيادة قدرها ١٢٪ عما كانت عليه فى السنوات الأولى من السبعينات .. (**تصل مبيعات الكتب المدرسية إلى نحو ٤٠٠ مليون دولار سنويا فى المرحلة الابتدائية**) . ومتوسط سعر الكتاب بالغلاف المقوى السميك ستة دولارات ، أما الغلاف الورقى فإن كتبه تباع بنحو ١,٢٥ دولار فى الجملة .. وليس من الممكن تحديد مجال سوق كتاب الطفل فى أمريكا ، لكن الستين داراً الرئيسية التى تنشر هذه الكتب وتضمها « لجنة كتب الأطفال »تتوقع أن يتم تسويق ما بين ٧٥٪ و٩٠٪ من إنتاجها للمكتبات المدرسية والمكتبات العامة . وقليلة دور النشر التى تبيع إنتاجها بالكامل للمؤسسات ، وقليلة أيضا تلك التى تعتمد على منافذ البيع لتصريف ما أصدرته .. على أن بعض دور النشر تفضل أن تضم قوائمها من كتب الأطفال

أعدادا قليلة ، بالغة الجودة ، تلقى إقبالاً جماهيريًّا ، وتجعلها قادرة على أن تواصل رسالتها فى هذا المجال .

وهم يرون أن أفضل إنجاز قاموا به فى السنوات العشر الأخيرة هو التحول من إصدار الكتب ذات الأغلفة الورقية الخفيفة إلى الكتب السميكة الغلاف ، وتستقبل الكلاسيكيات المطبوعة بهذه الصورة على أحسن وجه ، وإن صدرت منها أعداد محدودة فى المتاجر ، والمكتبات المدرسية ، والمكتبات العامة ، فالمحافظة على الشكل وعلى الكتاب ذاته أصبحت مسألة جوهرية .. ومن هنا كان الغلاف المقوى ..

تاريخ كتب الأطفال
فى
أمريكا

إن هذا التاريخ لا ينفصل عنه فى إنجلترا خلال القرون : السابع عشر ، والثامن عشر ، والتاسع عشر . ولكنه يبدأ فى اتجاه خاص ومستقل مع بداية القرن العشرين ... لقد حمل المهاجرون بعضا من كتبهم وهم قادمون من أوربا ، واستخدمت فى البداية ، واستمرت الاستفادة منها بعض الوقت إلى أن أصبح من الممكن إبداع أدب جديد للمجتمع الجديد والبلد الجديد الذى تبلور ، لكى يؤكد أن له ذاتيته الخاصة ... بل لقد استطاع فيما بعد الحرب العالمية الثانية كما حدث فى كافة المجالات — أن يسبق أوربا وأن يتجاوزها نتيجة لظروف عدة ، من أهمها تقدم التكنولوجيا ، وظهور عدد من الكتّاب المبدعين ، هم ثمرة للحياة التى أتيحت للمهاجرين فى هذا الجانب البعيد من عالمنا .. إذ سرعان ما انتهت مرحلة النقل والاقتباس والتقليد وبدأ كثيرون يضعون أقدامهم على طريق الابتكار ، وظهرت أسماء لمعت ، ولقيت إقبالا كبيرا ، لا فى أمريكا وحدها ، بل استطاع بعضهم أن يعبر الأطلنطى إلى أوربا والعالم .

وقائمة الأسماء التى نوردها هنا كرواد للكتابة فى مجال الأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية تعرفنا على الكثير منها من خلال الترجمات التى قدمت لكتبهم ، وبالذات تلك التى نشرتها مؤسسة فرانكلين ، وقد تكون هناك تحفظات على دورها وبعض كتبها ، غير أننا ندين لها بالكثير ، بالذات فى مجال كتب الأطفال ، وكان هؤلاء من بين مؤلفيها .. **أساياها توماس** (يسمى أحيانا نيوبرى الأمريكى) ، **ناتال هوركون** ، **واشنجتن ايرفنج** ، **جيمس فينيمور كوبر** ، **صامويل جود ريتش** ، **جاكوب أبوت** ، **مسز هويتنى** ، **سوزان كوليدج** ، **هاربيت بيتشر ستو** . **لويزا ماى الكوت** ، **هوراتيو الجير** ، **فرنسيس هودجسون** ، **بيرنت لوكريتيا هال** ، **مارك توين** ، **مارى مابسن دودج** .

هذه طائفة من الأسماء التى كان لها دورها المؤثر فى مجال كتب الأطفال فى الولايات المتحدة حتى عام ١٨٩٠ ، وكثيرون منهم ارتبطوا بالمرحلة التالية واستمر عطاؤهم من خلال كتاباتهم فى الفترة الانتقالية ، إلا أنهم يظلون منتمين إلى القرن التاسع عشر : بأسلوبهم وموضوعاتهم .. ويعتبر « **هوارد بايل** » خير ممثل للتغيّر الذى حدث ، من العصر الفكتورى إلى الزمن الحديث ، فهو بحكاياته ، ورسوماته يربط بين التقاليد القديمة ، وبين النزعة التجديدية . ولم تظهر ملامح أعماله الإبداعية ، فى مجالى الكتابة والرسم ، قبل عام ١٨٣٣ ، وذلك فى نماذج متقنة تجمع ما بين العمل الأدبى ، والفنى ، وكان ذلك فى كتبه : **مغامرات روبين هود المرحة** ، **ملح وفلفل** ، **الساعة العجيبة** ، **حديقة خلف القمر** ، وأجزائه الأربعة الضخمة حول : **أو توداليد الفضية** ، **ورجال من حديد** .. ومع هوارد بايل لم تعد الولايات المتحدة تابعا فى مجال أدب الأطفال لإنجلترا وأوربا ، ولم تعد تعتمد بالكامل على الكتب الورادة إليها عبر الأطلنطى .. وكان أميز ما تتصف به هذه المرحلة هو اتساع آفاق الكتابة ، والموضوعات التى ترتادها هذه الكتب ، وقبلها كانت تتحرك

فى حيز ضيق من الحكايات الشعبية والخيالية من إنجلترا وألمانيا (**حكايات جريم**) والدانمرك (**هانز أندرسون**) ، كما كانت كتب أندرولانج الملونة واسعة الانتشار فى أمريكا كما هى إنجلترا ، وهى تضم حكايات من دول عدة وبلدان كثيرة .. كما أن مجموعات قصصية كثيرة لقيت الاهتمام وضمت أعمالاً لكل من **أسبيرنسون** (النرويج) ، **باسل** (إيطاليا) ، **اربن دنيكوفا** (تشيكوسلوفاكيا) ، وبنشاتنترا (الهند) ، ومازالت تلقى الاهتمام إلى يومنا هذا .

ولم تتطلع أعين الأطفال إلى الأدب الشعبى فحسب ، بل بدأت تتجه إلى قصص الأطفال فى كل أنحاء الدنيا .

* **مغامرات نيلز هلجرسون – من السويد .**
* **ديكيل زويلجميير – من النرويج .**
* **بوتيه دى مونفيل – من فرنسا .**
* **سلسلة التوائم عن لوسى فيتش بيركز .**

وكانت هذه هى الأسماء التى جاءت بعد جاكوب ابوت ومحاولاته لتقديم ثقافة البلدان الأخرى للأطفال .

وهناك اتجاه آخر بدأ فى هذه الفترة ، ولقى النجاح ، وهو استخدام الحيوانات فى بطولات محورية للحكايات ، ولم تكن هذه الحيوانات تمثل شخصيات إنسانية (**مثل قصص تورنتون بيرجسن .. حكايات أمنا العجوز ، الريح الغربية الرائعة**) بل كانت مخلوقات قوية متوحشة كتلك التى تحدث عنها جاك لندن ، أو تحمل شحنات عاطفية كبيرة مثل (**بلاك بيوتى**) للكاتبة (**أنا سويل**) ، و (**الحيوانات المفترسة التى عرفتها**) وقد كتبها ارنست طومسون سينون الذى هاجر من إنجلترا إلى الولايات المتحدة ..

وأدب الأطفال فى أمريكا تاريخيًّا - لا يمكن أن ينفصل عن تاريخ المكتبات ، فقد شهدت الأعوام الثلاثون (١٨٩٠ ــ ١٩٢٠) تطورا فى الخدمة المكتبية بشكل عام ، إذ بدأ الاهتمام بقاعات خاصة أو أركان للأطفال فى المكتبات العامة ، وأصبح هناك ٧٧ مكتبة فى كل منها رفوف لكتبهم وبطاقات وقوائم تحمل عناوينها ..

والبعض يرى أن الفترة الذهبية لأدب الأطفال فى أمريكا تقع ما بين :

١٩٢٠ ــ ١٩٥٠ ، ويركزها آخرون فيما بين ١٩٢٥ ــ ١٩٤٠ .. والكتب التى ظهرت فى تلك الفترة ما زالت تلقى الإقبال ، والسر فى ذلك ليس حماسة الآباء والكبار لها ، لكن نظرة فاحصة إلى مكتبة حديثة للأطفال ، تزدحم بهم ، سنجدهم تلقائيا يتجهون إلى اختيارها فى طبعاتها الجديدة .. ولا شك أن (**هورن بوك مجازين**) التى ظهرت عام ١٩٢٤ كانت من أسباب ازدهار كتب الأطفال فى هذه الفترة ، فقد صدرت بجهد كبير بذله الاتحاد النسائى ومس « **بيرتا ماهونى** » بالذات ، وكانت تعد قوائم كتب الأطفال بشكل دائم ومستمر ، لكنها أحست أن الأمر يحتاج إلى ماهو أكثر من ذلك ، أن يتحدث الفنانون والكتاب وأمناء المكتبات عن هذه الكتب ، لذلك صدرت هذه المجلة الفريدة فى الوقت المناسب ، وما زالت تصدر إلى يومنا هذا ، أى علي مدى ستين عاما كاملة كجانب ضرورى من جوانب الاهتمام بكتب الأطفال .. وهناك حدث آخر كبير وقع فى تلك الفترة ، نعنى به إنشاء جائزة نيوبرى لكتب الأطفال عام ١٩٢٢ ، وتمنح لأحسن كتاب يصدر للطفل ، ويكتبه مواطن أمريكى ، أو شخص مقيم فى الولايات المتحدة الأمريكية ، والجائزة سنوية يمنحها اتحاد أمناء المكتبات عن أحسن كتاب صدر فى العام السابق ، وكان أول من حصل عليها « **فاندريك فان دى لون** » عام ١٩٢٢ عن كتابه (**قصة البشرية**) (ترجمه إلى العربية الأستاذ إبراهيم زكى خورشيد وصدر عن دار الشعب ، غير أن أسلوب ترجمة الكتاب ليس فى مستوى الأطفال بل يتجاوزهم كثيرا) ومنذ ذلك الحين تنعقد لجنة من ١٧

شخصا لتختار الفائز بهذه الجائزة فى كل عام ، وإن كان يقال إن الكتب الفائزة بهذه الجائزة هي الكتب التى يود الكبار أن يقرأها الأطفال ، وليست الكتب التى يستمتع الأطفال بقراءتها .. على أن هذه الفكرة ذاتها تناقش كثيرا ، وتثرى عاما بعد عام حقل كتب الأطفال بمزيد من الآراء والاتجاهات المفيدة والمثمرة ..

وكتب هذه الفترة يمكن تقسيمها إلى مرحلتين :

الأولى : من ١٩٢٠ ــ ١٩٣٠ ، وهى مرحلة واكبت تقدم الطباعة ، والتجارب المتنوعة للكتب بأشكالها المختلفة ، ومحاولة دءوبة للوصول إلى عالمية الأفكار المتداولة فى هذا المجال .

والثانية : من ١٩٣٠ ــ ١٩٤٠ ، وكانت سنوات الكتب المرسومة المصورة وقصص « هنا والآن » والقصص التاريخية الحية ، والقصص العائلية والواقعية وطبعات جديدة رائعة من القصص الشعبى القديم ، بجانب قصص الخيال الجديدة ، والسير والعلوم .. إنها كتب تحترم موضوعاتها وقارئها ، إنها فى إيجاز ثروة من الكتابة الرائعة تلقى الإقبال الكبير والاستجابة الشديدة من قبل الأطفال ..

وقد قامت معركة حول كتب الحكايات الخرافية للأطفال – فى أمريكا كما حدث ذلك فى كل أنحاء الدنيا – وتجسدت وجهات النظر فى كتابين فى بداية العشرينات .. الأول : قصص « هنا والآن » عن لوسى سبراجيو ميتشل ، وهو موجه لأطفال فى مرحلة ما بين سنتين وسبع سنوات – وقد أصدرته صاحبته عام ١٩٢١ من منطلق أن الأطفال يستمتعون أكثر بالأشياء المعروفة لديهم ، والمفهومة لهم ، من خلال تجاربهم المحدودة .. وكانت ترى أن الحكايات الخرافية للصغار تثيرهم ، وتجعلهم مضطربين بدلا من أن تعينهم على أن يكونوا على وفاق مع عالمهم الذى يعيشون فيه ، وكانت ترى أن الطفل فى حاجة – بداية – إلى أن يتعرف على الأمور العادية قبل أن يدخل إلى دنيا الخرافات ..

وكان العمل الثانى – الذى صدر كأنما هو رد على ذلك التحدى – هو كتاب كارل ساندر بيرج « حكايات روتاباجا » وظهر عام ١٩٢٢ ، ومؤلفه كان شاعرا له بعض الشهرة ، ومن المحتمل جدا ألا يكون قد قرأ كتاب مسز ميتشل ، لكنه كان على يقين من أن القصص المتاحة له لكى يقرأها لأطفاله لا تشبع احتياجاتهم ولا احتياجاته ، وبالذات لأنها تفتقر إلى الكلمات الشاعرية ، لكى تواجه تلك الجوانب اللامعقولة ، واللامتوقعة ، واللامبررة فى الحياة ..

واستمرت المعركة ، ولا نظنها قد حسمت أو ستحسم بالكامل ، فنحن لم نعد نتقبل « التطرف » : إذ انتهى عهد رفض كل القصص الخرافية ، وعهد قبول كل القصص الخرافية .. ولم تعد المناقشة مجدية ، طالما كان لدى الطفل الفرصة لكتب منوعة موضوعة بين يديه ، وقد أثبت الأطفال أن الطريق الأوسط سوى وممكن . وكان دخول « الكتب المصورة » إلى الساحة عنصرا حاسما فى المعركة ، وهى لا تعنى الكتب ذات الصور والرسوم ، أو القصص التى تزداد صفحاتها بلوحات ملونة ، لكن المقصود منها الكتب التى تكون فيها « الكلمة والصورة » وحدة متكاملة مؤثرة ، والرسم هنا ليس لإغراء الطفل واجتذابه ، وليس وسيلة توضيحية ، بل هو والكلمة وحدة واحدة لا انفصال ولا انفصام لطرف عن الآخر ..

ولمعت أسماء : **كالدكوت ، كراين ، جرينواى ، بروك** ، وعدد آخر من الرسامين الأوربيين ، وأصبح لهم فى أمريكا جمهور كما لهم فى كل مكان ..كانت رسومهم وفنونهم الرفيعة المستوى قد اجتذبت إليها الأنظار ، خاصة من جانب مصممى الكتب الذين اتجهوا إليهم لرسم كتب الأطفال .. وكانت الكتب التى رسموها – فى الغالب – أشعارا وقصصا شعبيا كلاسيكيا ، وعلى الرغم من ذلك ، ومن أنهم حاولوا أن يبرزوا تفاصيل النصوص الموضوعة بين أيدى الأطفال فإن كتبهم ظلت « كتبا مصورة » أى أن الرسوم فيها أكثر أهمية من النصوص .. بل إن الرسوم أحياناً تقول شيئاً أكثر مما يقول النص ..

وتذهب إلى مدى أبعد منة .. وكانت « الكتب المصورة » فى أمريكا فى تلك الفترة تجمع بين الكاتب والرسام اللذين يعطيان أفضل ما عندهما ولا يستطيع أحد أن يقول أى الجانبين كانت متعته أكبر .. وفى بعض الأحيان قد يتغلب طرف على آخر ، لكنة لا يبخسه قدره ولا يقلل من قيمته .. وكانت البداية كتاب (الشاطربل) عن وليم نيكلسون ، وقد كتب ورسم فى إنجلترا ، ونشر فى أمريكا عام ١٩٢٧ ،ثم كتاب ملايين من القطط عن واندا جاج وصدر عام ١٩٢٨ ، ثم توالت الكتب المصورة ..نعرف منها فى العربية « قصة فردناند » رسوم « روبرت لاوسون » ثم كتب « دكتور سويس » ، وكان الطابع المميز ، الغالب على هذه الكتب ، هو أن كتّابها هم رساموها ، وكانت لديهم الموهبة للعملين معا .. وبعضهم كانت له الخلفية من البلدان التى هاجروا منها إلى أمريكا فأثرت رسومهم لبلادهم تلك الكتب الصادرة فى هذه الفترة .

وكانت إنجلترا دائما لها السبق فى مجال الفانتزى والخيال ، وليس من دليل على ذلك غير كتبها الشهيرة : أليس فى بلاد العجائب ، مارى بوينز وغيرها مما أحبه الأطفال فى أمريكا كما أحبوه فى إنجلترا ، وفى كل البلدان التى تقرأ الإنجليزية .. ولم يحل محلهم كتّاب الخيال المرح والفانتزى الساخر الذين بدءوا يظهرون فى أمريكا ، بل كل ما استطاعوه أن يشاركوا فى احتلال جانب من قلوب القراء الصغار ، وأضاف كثيرون أبعاداً جديدة للمتع التى يلقاها الأطفال حين يقبلون على هذا اللون من الكتب ، نذكر من بينهم بعض الأسماء :

روبرت لاوسون – روبرت ماكلوسكى – وليم باين دى بوا – جيمس تاربر – ريتشارد وفلورنس أتووتر .

وقد انتشرت القصص العائليلة ، ولقيت الإقبال فى أمريكا وفى غيرها .. واشهرت «نساء صغيرات» – ترجمتها السيدة أمينة السعيد – وكان من الواضح أن هذا اللون من الكتابة يناسب الكاتبات ، ويتفوقن فيه كثيرا .. وكانت الأعمال تتمركز حول طفل ، لكن الأسرة تبدو من حوله متماسكة مترابطة ..

والاحتياج لهذا اللون فى العصر الحديث شديد ، لما أصاب الأسرة من تفكك ، نتيجة لما يصيبها من انفصام لترك الأبناء لها فى سن مبكرة ..

وهذه قائمة بمن اهتم بهذا اللون من الكتابة :

اليانور فرانسس لا تيمور ، اليزابيث كوتورت ، كارولين هاى وود ، اليانور إيسينيس ، اليزابيث ، اينريت ، اليزابيث جانيب جراى ، كات سيردى ، هيلدا فان ستوكوم ، كارول برنك .

وتأتى قبل هؤلاء ، وقبل الجميع الكاتبة الرائعة خالدة الذكر : لورا انجلز ويلدر ، إنها صاحبة سلسلة (بيت صغير) ، التى نجحت فى أن تقدم للأطفال قصصا يشعرهم بالأمان والاطمئنان ، وحاجتهم إلى هذه المشاعر ماسة لذلك أقبلوا عليها فى لهفة وحب .. وهناك البعض ممن حاولوا أن يستخدموا هذا اللون من الكتابة لكى يقدموا أطفال الطبقة العاملة ، أو أبناء الأقليات :

دوريس جايتس ، لويز لنيسكى ، فلورنس كرانول مينز ، لورا أرمير ، جريس مودن .

ونحن نستطيع أن نمضى على نفس المنوال إذا تحدثنا عن التاريخ ، والسير والعلوم والشعر ، وتطول قائمة الأسماء . على أن الكثير من هذه الأعمال ما زالت تطبع من جديد على مدى الثلاثين عاما الأخيرة ، حتى ليمكننا أن نقول إن طبعاتها لا تنفد أبدا ، وهو أمر قد لا يدركة الذين يعيشون مثلنا خارج القارة الأمريكية ، بل قد لايستوعبه الأمريكيون أنفسهم ، وذلك بجانب الكلاسيكيات الوافدة عليهم من شتى بلدان العالم ، الأمر الذى يجعل من الصعوبة بمكان وسط هذا الحشد – أن يعرف الآباء والمعلمون وأمناء المكتبات ما يمكن أن يثير شهية الطفل للقراءة .. ولا يتأتى هذا إلا بمحاولة متابعة ما يصدر ، وكثير منها لا يبقى فى الأسواق أكثر من عامين أو ثلاثة ، ثم يأتى طوفان جديد ، وليس أمام المعلمين وأمناء المكتبات فى إنجلترا والولايات المتحدة إلا أن يشهدوا فترة دراسية حول أدب الأطفال ليتأتى لهم الإلمام ببعض

جوانب القضية ، وهو أمر لا يحتاجه زملاؤهم فى البلدان الأخرى ، خاصة النامية منها .. والغريب أن ذلك لا يزعج الأمريكيين ، بل نراهم فخورين به ، وبالكلاسيكيات التى ظهرت فى العشرينات والثلاثينات ، لأن أكثر من جيل يتابعها ، وانتهاء دور بعض الكتب ومدتها لا يشكل خطورة ، إذ أن غيرها يأتى على إثرها ، إنها تتدفق فى مجرى يتجدد باستمرار ، خاصة أن صناعة كتب الأطفال أصبحت تهم أعدادا كبيرة من الأشخاص المتصلين بالكتب وبالأطفال ..

وقد أضيف الكثير إلى كتب الأطفال بإنشاء « **لجنة كتب الأطفال** » عام ١٩٤٥ – بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية – وتنوعت الهيئات العاملة فى هذا المجال وكثرت ، غير أن الحركة النقدية التى صاحبت ظهور كتب الأطفال ما بين ١٩٢٠ — ١٩٤٠ وصلت إلى ذروة لم تصلها عمليات النقد فيما بعد ، إذ ظهرت دوريات متعددة ، كما أن الصحف اليومية حفلت بالكثير من الأعمدة التى ظهرت تتحدث عن كتب الأطفال ، وظهرت فى مجال النقد أسماء لامعة :

آنى كارول مورى ، مارى لا مبروتون بيكر ، آنى تاكسترايتون ، ماريون كانباى .

وبالطبع لم يظهر كتّاب جدد خلال الحرب ، وإن ظهرت كتب كثيرة جيدة ألفها ورسمها هؤلاء الذين رسخت أقدامهم من قبل فى هذا المجال ، وطغت المشاعر الوطنية على الكثير من الأعمال ، وأقل القليل منها عاش وبقى ولم يقف النقاد عندها طويلا ، وإن بقى الأطفال مقبلين على القراءة التى جاءتهم من السنين الخصبة الماضية .. وبعد الحرب استقبلت أمريكا كثيرين من الوافدين الذين عملوا فى مجال كتب الأطفال فى بلادهم كمؤلفين أو رسامين ، ومن لم يذهب منهم إلى أمريكا مضت إليها أعماله ، خاصة وقد ازدهرت حركة الترجمة ، وكانت الحكايات التى تدور حول الأسرة تلقى اهتماماً واسعا لواقعيتها ، كما أن الفانتزى والشعر كان لهما متذوقون ، كما اتسعت دائرة الكتب

المصورة وتنوعت .. مع أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات ظهر اتجاهان جديدان .. زادت سلاسل الكتب غير الروائية وغير القصصية ، كما انتشرت قدامى كتب الأطفال التى اجتذبت إليها أعدادا كبيرة ، خاصة بين الأولاد ، واستمرت الخدمات المكتبية العامة للأطفال وإن عانت من قلة العاملين فيها ، الأمر الذى اضطر بعضها إلى إلغاء فقرة (رواية الحكايات) بواسطة أمناء المكتبات ، وكانت هذه الفقرة تجتذب كثيرين إلى المكتبة لتدريبهم على ارتيادها ، والتعامل معها ، لتخلق منهم قرّاءً فى المستقبل .. أما فى المدارس ، فقد انصب الاهتمام على طلاب المرحلة الثانوية ، أما تلاميذ المدارس الابتدائية فكانت الخدمة المكتبية إذا امتدت إليهم تعتبر جانبا من مسئوليات المكتبات العامة التى تعير فصلا دراسيا مجموعة من المكتب أو تستضيف الفصل داخل المكتبة .. كان هذا قبل عام ١٩٣٠ ، حين أنشئت مكتبة مركزية فى المدرسة ، بعد أن دارت مناقشات مستفيضة حول أيهما أفضل : مكتبة الفصل أم مكتبة المدرسة ، إلى أن انتصرت فكرة تبنى المدرسة للمكتبة . وَساعد على قيام هذه المكتبات إقبال الكثيرين على العمل كأمناء مكتبات ، بجانب ميزانيات المحليات التى رصدت لإنشاء المكتبات وتزويدها بالكتب ، وإن لم تلق هذه المكتبات المدرسية نفس مالقيته المكتبات العامة من عناية ، إذ كانت الأولى جزءًا من المدرسة ، لا أكثر ، وهناك تعقيدات كثيرة حالت دون نموها بشكل كبير إلى أن انتهت الحرب العالمية الثانية .. وفى عام ١٩٥٠ وضعت لها الخطط والبرامج ، وفى عام ١٩٦٠ وافق الكونجرس على تشريع خاص بها ، كان وراء ازدهارها فى السنوات الأخيرة ، ولقى أمناء المكتبات تدريبا أفضل ، وتخصصا فى عملهم ، وأصبحت هناك ميزانيات لبناء مكتبات مدرسية ، وإعطاء منح دراسية لمن يرغبون ، فى المشاركة فى هذا العمل ، كما أن أبحاثاً ميدانية كثيرة أجريت لحل المشكلات على الطبيعة ، بجانب رصد الميزانيات لتزويدها بالكتب والمواد التعليمية .



وقد استفادت المكتبات المدرسية من ذلك التشريع ، ووضعت مواصفات عامة لها طبقت فى أغلب الولايات ، وواكب ذلك اهتمام من جانب المنظمات والمؤسسات والشركات لتقديم خدماتها ، خاصة فى الفترة التى حدث فيها الانفجار المعرفى ، بل تخصص البعض فى إنتاج ما تحتاج إليه هذه المكتبات من رفوف ، ومقاعد ومناضد ، ودواليب ، وبطاقات إلى غير ذلك مما ييسر لها عملها ويعينها عليه .. كما أن مئات من قوائم كتب الأطفال بدأت تظهر من دور النشر المختلفة لتواجه كل رغبات الأطفال واحتياجات المدارس ، على أن المشكلة ظلت تكمن – ولفترة طالت – فى قلة العاملين وندرتهم ، لأن المكتبة بدون العنصر البشرى لا تستطيع أن تؤدى دورها ، لعدم وجود من يرشد الأطفال إلى الكتب التى يقرءونها .

وكان نجاح المكتبات المدرسية فى اقتناء الكتب الخاصة بالأطفال هو السبيل إلى إنفاق ملايين الدولارات لشرائها ، مما جعل عجلة إصدار هذه الكتب تدور بشكل أسرع ، بل كثيرا لم تستطع دور النشر الوفاء بمتطلبات هذه المكتبات ! وبالذات من الكتب التى يشتد عليها إقبال الأطفال .. بل إن بعض دور النشر تطبع ما تتلقاه من تكليفات من الأجهزة التعليمية وبالذات من الكتب غير

الروائية ، وكل الأعمار قادرة الآن على اختيار ما تشاء من كتب فى مجالات العلوم والفنون والآداب ، بجانب الكتب المبسطة السهلة القراءة للأعمار الصغيرة ، وهى قد بدأت تحتل مكان الكتب الدراسية المقررة .. وهناك كتابان قديمان مازالا يجتذبان أنظار الأطفال من هذا اللون وهما : « **الدب الصغير** » كتبته **الزاهو بيلند** و « **قطة فى قبعة** » عن « **د . سويس** » .

وهناك اتجاهان قد ظهرا أخيراً دون تدخل من جانب الحكومة الفيدرالية الأمريكية .. الأول : إحساس المؤلفين والرسامين والمحررين وأمناء المكتبات بوجود نقص كبير فى الكتب التى تدور حول الأقليات ، خاصة الزنوج .. وقد أصبحت منذ عام ١٩٣٨ هناك قائمة – تزداد عاماً بعد عامٍ – من الكتب التى تتحدث عن الزنوج للأطفال . والثانى : الاهتمام بالطبقات التى لا تستطيع شراء الكتاب .. وظهرت لهؤلاء طبعات شعبية رخيصة ، وإن كانت جميلة المظهر ، وجذابة .. وقد انتشرت بشكل كبير إلى وقت قريب .. ثم بدأت تنحسر الموجة كى تعود الكتب ذات الأغلفة السميكة المقوّاة .

ولقد كانت لى فرصة إلقاء نظرة طائرة – كما يقولون – على كتب الأطفال فى الولايات المتحدة ، من خلال زيارة لها (أكتوبر ــ نوفمبر ١٩٨٣) ؛ لكى أواكب ما يجرى على ساحتها ، ولتضييق الهوة بين ما نقرأ عنها ، وبين حقيقة واقعها ، وإذا بالواقع يتجاوز ما ينشر ويكتب برغم المحاولات الدءوبة للمتابعة والمواكبة .. إن ما صدر فى أمريكا للأطفال يزيد عدده على مائة ألف كتاب للأطفال ، وهى قرابة ٣٠٪ مما صدر من كتب الأطفال عالميا ، الأمر الذى ندرك منه حفاوتهم بكتاب الطفل ، لأن عدد الأطفال لديهم لا يزيد كثيرا عن عددهم فى الوطن العربى .. وكتبنا لا تصل إلى أربعة آلاف كتاب ! .. وعدد النسخ المطبوعة لديهم بالنسبة لما عندنا أضعاف مضاعفة .. وأعرف أن المقارنة غير واردة ، لكننا نتحدث عن « المستقبل » .. إنهم يهيئون أطفالهم للاستمرار فى التفوق على العالم بهذه الطريقة .

كتب الأطفال
فى
الاتحاد السوفيتى

تقول تقارير اليونسكو إن الاتحاد السوفيتى يصدر ربع الكتب التى تصدر عالميا ، وفى كل دقيقة تخرج من المطابع ٢٤٠٠ كتاب ، وهذا يعنى ٣,٥مليون كتاب يوميا ، وأكثر من بليون سنويا .. وهم فخورون بأنهم منذ ثورتهم قد أصدروا من الكتب قرابة خمس مرات ، ما أصدروه فى ال ٣٥٠ عاما السابقة على الثورة ! ، ولديهم ٢٢٢ دارا متخصصة للنشر ، كما تقوم على خدمة الكتاب عدة مصانع ومطابع ومنظمات جماهيرية ..

وهم يرددون دائما أنه : إذا كانت هناك طبقة مميزة ما زالت تعيش فى بلادهم ، فتلك هى « الطفولة »فالعناية بها تفوق الخيال ،خاصة فى المجال الثقافى ، والمنافسة على أشدها بينهم وبين الآخرين فى مجال ، تنمية الأطفال ، حتى لا يفقدوا الصدارة مستقبلا .. هم يرون أنهم يعمقون فى أبنائهم أفضل القيم الإنسانية : الوطنية ، وحب مواطنيهم ، والشجاعة والإخلاص والأمانة .. وقبل كل ذلك الأفكار والمبادئ السائدة فى بلادهم ، ولا يغفلون آلاف السنين من الثقافات والحضارات والمكتشفات التى عاشت على أرضنا .. وهم يرون أنه ما من سبيل لمعاونة الآباء والمعلمين على أداء هذه الرسالة بكفاءة إلا بمعونة الكتاب .. وشعارهم فى ذلك ما قاله ناقدهم الكبير « بيلنسكى » فى القرن التاسع عشر « إنّ كتب الأطفال تستهدف تربيتهم ، والتربية شيء رائع يقرر مصير البشرية » .. وتربية الأطفال عندهم تتم بواسطة الكتاب فى كافة المنظمات : دور الحضانة والرياض ، والمدارس ، ومن خلال الجماعات وبواسطة الأسرة .

كتب الأطفال تكون أحيانا جديدة طازجة ، تحمل رائحة حبر المطابع ، وفى أحيان أخرى تكون قديمة ، تمزقت بعض صفحاتها ، غير أن ذلك لا ينقص من قيمتها ، إذ أنها كانت يوما ما النافذة التى أطل منها هؤلاء الكبار - عندما كانوا صغارا - على عالمهم الرحب الواسع ، وقد أخذت بيدهم إلى الطريق الذى سلكوه فى الحياة .. وهم فى الاتحاد السوفيتى على قناعة كاملة بأن أدب الأطفال له قوى عاطفية مؤثرة على الأجيال الجديدة ، وهذا التأثير ناجم عن الأفكار النبيلة التى يحتويها ، وتعبيرات الفنانين الخلاقين الذين يتركون بصمة على عقول الصغار تستهدف زرع القيم الإنسانية فى نفوسهم وتدريبهم على خدمة الجماعة ، بلا أنانية أو أغراض خاصة ..

وتاريخ نشر كتب الأطفال فى الاتحاد السوفيتى طريف ومثير .. ولم يبدأ ذلك التاريخ من فراغ .. فقد صدرت عدة كتب لهم قبل الثورة ، وهى أعمال لها طابعها الخاص ، وتود لو أنها عمقت صلة الطفل بالكتاب ، وتريد أن تضع أقدامه على طريق التقدم .. وأغلب هذه الكتب اعتمد فى مادته على التراث العريق للكتّاب والروائيين والعظام والشعراء الكبار من أمثال : **كريلوف** ، **بوشكين** ، **جوجول** ، **بلنسكى** ، **تورجنيف** ، **تولستوى** ، **م . لاموند سوف** ، **تشيكوف** ، **جوركى** .. وكانت الحكايات والأغنيات الشعبية زادا ونبعا لكثير من الأعمال المليئة بالحكمة والجمال ، والشجاعة . وبعد ثورة أكتوبر أصبح التراث الشعبى ملكا للجميع ، خاصة لهؤلاء المتعطشين للمعرفة من الأجيال الجديدة .. وقد تضمنت الأعمال الجديدة الكثير من نماذج البطولات ، بنيت على الأفكار التى تبنتها الثورة ، حاولت عن طريقها أن تجتذب الأطفال إلى مجال البناء ، والصراع من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية فى مفهومها لديهم ، وكانت مشكلة إيجاد أدب جديد للأطفال واحدة من أهم مشكلات الثورة ، إن لم تكن المشكلة الأولى .

وقد نذر كثيرون أقلامهم لهذه المهمة الجليلة ، وعلى رأسهم الروائى جوركى والشاعر **مايكوفسكى** اللذان أثريا مجال أدب الأطفال بكتاباتهم

المبدعة ، وتجاوب معهم عدد كبير من الفنانين يعتبرون روادا فى هذا المجال ، وقد وجدوا طريقهم إلى قلوب الأطفال ، وقائمة أسمائهم طويلة ، وإن كانت مع الأسف لم تلق الاهتمام الكافى منا ، إذ لم يتوفر باحث على دراسة أعمالهم .. ومع سكوت مدافع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٤ ، كان الاتحاد السوفيتى يعانى نقصا شديداً فى الخبز ، لكن ذلك لم يحل بينهم وبين أن يقدموا كتبا رائعة للأطفال .. بل فى هذا الوقت بالتحديد احتفل الاتحاد السوفيتى بأول « يوم كتاب الطفل » فى العالم بمبادرة من مارشال ، ذلك الكاتب المبدع الذى نفذ إلى عقول وقلوب الأطفال .. وأصبح هذا تقليدا ، يتبعونه فى عطلة منتصف العام الدراسى كل ربيع ، إذ تنتظرهم فى قصور الطلائع وبيوت الثقافة ومسارح الأطفال عشرات من معارض الكتب ، ومؤتمرات للقراء الصغار ، واجتماعات لهم مع كتابهم .. وتطور يوم كتاب الطفل إلى أسبوع كامل يبدأ مع الخامس والعشرين من مارس من كل سنة رسميا ، لكنه فى الواقع يبدأ قبل هذا التاريخ بكثير ، والأسبوع ما هو إلا تتويج لجهود طويلة تسبقه .. وهو أيضا يمتد إلى ما بعد انتهائه الرسمى .. ويقام المهرجان الرسمى فى قاعة الأعمدة فى اتحاد النقابات ، وهو مكان فخم ضخم ، يزدان بابتسامات الأطفال طيلة هذا الأسبوع ويحفل بكتابهم المعروفين فى كل أرجاء البلاد ، وتسلط عليهم الأضواء ويلقون من أجهزة الدولة والإعلام كل حفاوة .. وكم يسعد الأطفال بالحصول على توقيعات المؤلفين على كتبهم فى هذه المناسبة .. وكثيرون من الكتّاب يسافرون إلى أماكن نائية بعيدا عن موسكو ليلتقوا بقرائهم فى سيبريا ووسط آسيا وجزر سخالين ، وتعتبر زياراتهم لهذه المناطق أعيادا قومية يحتفل بها الأطفال ، ولا ينسونها على مدى العمر ، وتعتبر هذه الحفاوة زادا للكتّاب ، وتنسيهم كل متاعبهم فى سبيل تأليف أعمال جيدة .

واتحاد كتاب الأطفال والراشدين ينظم اجتماعات مع الأطفال فى مدارسهم ومع أولياء أمورهم ، ومع المعلمين وأمناء المكتبات من أجل مزيد من البحث عن احتياجات الأطفال من كتب وأفكار ، وتعقد أمسيات ثقافية فى الإذاعة

والتلفزيون تناقش إنتاج المبدعين من الكتاب ، بل تمتد المناقشات إلى (الكتب التى سوف يقرؤها الأطفال) ، فى المستقبل القريب ، والبعيد . وهناك تقليد هو الاحتفال بصدور كتاب ، تقيمه دار النشر ليلتقى من خلاله الأطفال مع مؤلفى كتبهم .. إن صلة حميمة مباشرة تعقد ما بينهما .. وذلك ييسر حل المشكلات العاجلة ، وليكونوا معا فى قلب الأحداث .. وكان الكاتب المبدع (جيدار) – الذى أتحدث كثيرا عن أعماله – وبالذات تيمور ورفاقه – كان من المقاتلين الشجعان ضد النازية ، ومن قلب المعارك كان إنتاجه الفذ ، بل كان خلالها يلتقى بالأطفال ، فى لحظات كان يتعين عليهم مغادرة مدينة يهاجمها الأعداء .. ومع ذلك كان قادرا على أن يرسم ابتسامة على وجوههم . وكم يبذلون الآن من جهد لكى يواصلوا النضال فى هذا المجال بنفس الحماسة والطاقة . حتى أن الجمهوريات الخمسة عشرة كلها – تنتج كتبا للأطفال لا تتخلف منها واحدة ، وتتناقش فى شرف من أجل مزيد من الكتب الجيدة والأدب المتميز بلغات عدة ، وهم يصدرون سنويا ما يزيد على ٢٠٠ مليون كتاب أطفال ، وهو يمثل ٣٠ ضعفا لكل ما يصدر من كتب للأطفال حتى عام ١٩١٣ .. بل إن كل ما صدر قبل الثورة لا يزيد على ٣,٥٠٠ مليون كتاب أطفال ، وهم فخورون بهذه الطفرة التى تعمل من أجلها ١٠٠ دار للنشر ، والحديث عنها يطول .

إن تعداد الأطفال فى الاتحاد السوفيتى يزيد على ٧٠ مليون طفل . يتكلمون ٥٧ لغة .. وينتج الاتحاد السوفيتى فى المتوسط سنويا ٥,٥٠٠ كتاب جديد لكل طفل .. وأعلن عدم رضائهم عن هذه النسبة . برغم أنها قدر مايصدر من كتب الأطفال فى إنجلترا ٩ مرات .. وقدر ما يصدر منها فى الولايات المتحدة ٤ مرات .. وكتبهم ترسم بحيث تعكس الرسوم الفكرة ، والمضمون للكتاب ، بطريقة واقعية ، وليست بطريقة تجديدية ، كما أن هذه الرسوم يجب أن تنمي فى الطفل من حيث التلوين والتكوين ، الإحساس الفنى . وتذوق الجمال .

إن تاريخ الأدب السوفيتى للأطفال يرتبط ارتباطاً وثيقا بنشاطات دار النشر « ميشكايا ليترانورا » ، وهى دار كتب الأطفال ، التى تأسست بمبادرة مكسيم جوركى فى عام ١٩٣٣ ، وكان ذلك الحدث الأول من نوعه فى العالم ، حيث تقوم الدولة بتأسيس دار نشر من هذا النوع ، وقد صدرت عنها كتب رائعة كثيرة قرأتها أجيال عديدة من الأطفال . وتوجد فى موسكو الآن ، بالإضافة إلى دار ، ميشكايا ليترانورا ، ثلاث دور نشر ضخمة أخرى تختص بإصدار كتب الأطفال والأحداث هى « ماليش » و « بروسيفشينيه » و« مولودايا غفارديا » ويبلغ عدد دور النشر فى جمهورية روسيا الاتحادية العشرات ، وتقوم بإصدار كتب للأطفال ، بـ ٣٥ لغة ويلتف حولها عدد كبير من الكتّاب والرسامين والعلماء والمربين والمتخصصين المحنكين فى شئون الطباعة ، وأصدرت دور النشر هذه كلها خلال الأعوام الخمسة الأخيرة ٧٠٩٧ كتابا للأطفال يبلغ عدد نسخها مليار نسخة . وهى ليست كتبا روائية فحسب ، بل منها الكتب العامة والعلمية المبسطة والعلمية الخيالية . وكذلك أصدرت قصصا عن مشاهير الناس وكتبا حول تاريخ الفن التشكيلى والموسيقى ، كذلك حكايات مختلف الشعوب . ومن الجدير بالذكر أن عدد نسخ كتب الأطفال الصادرة فى جميع الجمهوريات يثير العجب ، فإن إصدار كتاب للأطفال تعداده ١٠٠ ألف أو ٣٠٠ ألف نسخة يعتبر أمرا عاديا .. إن الكتاب الطريف والجيد يصل إلى أوسع جماهير الأطفال ، وفى الحقيقة يعود ذلك إلى سياسة الدولة .

وفى فجر ظهور أدب الأطفال ، قدم مكسيم جوركى نصيحة ودية إلى أدباء الأطفال الكثيرين آن ذاك قائلا بأنه (**ينبغى أن نكتب للأطفال كما نكتب للكبار ، بل أفضل**) ويشهد الإنتاج الحالى بجلاء بأن جيل كتّاب الأطفال اليوم يتبعون تلك النصيحة الحكيمة .

وتبرز أمام الطفل منذ الخطوات الأولى فى حياته الواعية مجموعة من الأسئلة : **ماهو الحسن وما هو السيىء ؟ كيف يجب التصرف فى هذه الحالة أو تلك ؟ ماذا يجب أن يعمل من أجل أن ينال احترام الآخرين ؟ ممن يقع أمامه من أفراد كقدوة حسنة ؟ ويحاول الكتاب السوفيتى الإجابة عن مختلف أسئلة الأطفال . والهدف الذى يلتزمونه عندئذ هو تربيتهم . ويسرع الآباء والأمهات الذين تربوا على قصائد صامويل مارشال إلى قراءتها للأطفال .. وينبغى الإشارة إلى أن كتب مارشال قد صدرت فى روسيا ١٠٩٤ مرة وبلغ عدد نسخها ١٠٥ ملايين كتاب ، وتحوز على شهرة كبيرة أيضا « الثلاثية الشعرية »** تأليف **ميرجى يمخالكوف** حول العم سيتويا التى منح عليها جائزة لينين ، فالعم سيتويا شخصية بارزة فى المنطقة التى يسكن فيها ، وهو ضخم الجسم ، ويلبس حذاء مقاس ٤٥ لكن الأطفال جميعا يحبونه لا من صفاته الخارجية ، بل لأن العم سيتويا رجل طيب القلب ويتعاطف مع الآخرين ، وجرىء وذكى . وعندما تعرض إنسان للغرق كان العم سيتويا أول من قفز إلى الماء وأنقذ الغريق » وفى مرة أخرى لاحظ خللاً فى خط السكك الحديدية فرفع يده إلى الأمام . وأوقف السائق القطار ، ظن السائق أن العم سيتويا هو « السيمافور » .. ويقوم البطل بكثير الأعمال المتفانية والنبيلة على صفحات هذا الكتاب . وأصبح العم سيتويا العملاق الطيب الجرىء بطلا حقيقيا لدى الأطفال .

والكاتب المحبوب الآخر عند الأطفال السوفيت هو « **أجنيا بارتو** » وهى كاتبة تصور « **الأطفال السلبيين** » فى مؤلفاتها ، مثل التلاميذ غير المجتهدين ، والحمقى والثرثارين والكسالى ، وللكاتبة قدرة كبيرة على السخرية من التلميذ الكسول إلى درجة ألا يرغب أحد من الأطفال فى أن يكون شبيها له . وتتمتع الأقاصيص والقصص الهزلية لنيكولاى دوسوف بنجاح دائم لدى التلاميذ الصغار ، ويصور الكاتب كيف يتعلم الأطفال وما هى هواياتهم . وماذا يسرهم ويحزنهم ، ولايخفى المؤلف عن القارئ عيوب أبطاله ، وهم بشكل

عام أطفال طيبون ونزيهون . وهذا يؤثر على القارئ الصغير بشكل خاص ، إذ يرى فى أبطال دوسوف أصدقاءه المقربين .

ويتمتع بحب التلاميذ السوفيت أيضا كتب مؤلف سوفيتى آخر هو « **أناتولى أليكسين** » ويكفى ذكر اسمه فى الفصل حتى يأتى جواب ودى : لقد قرأناه ... إنه رائع . ويكمن سر شهرة أليكسين فى أنه يطرح المشاكل العميقة التى تهم الأطفال ، ويبقى مع ذلك محدثا مرحا وفطنا وذكيا . وأدخل أليكسين فى أدب الأطفال بطلا أحبه ملايين التلاميذ فورا : وهو رجل شهم يقوم بالأعمال الطيبة والنبيلة ، وفارس بسيط ، وصاحب خيال خصب لا يشق له غبار .

لقد ذكرت أسماء بعض الكتّاب المعروفين فقط ولكن عددهم فى الواقع كثير فمنهم : **كروتيه تشوكوفسكى** ، **واركادى جايدار** ، **وبوريس جيكوف** ، **وليبف كاسيل** ، ومهما ذكرت من أسماء فإن الشيء الأساسى الذى يتميز به الأدب السوفيتى ، هو تعليم الأطفال حب التغيير والتطور السريع .

وأطفال الاتحاد السوفيتى – فى جمهورياته – يحبون قراءة الكتب فى لغتهم المحلية ، مثل الروسية والأوكرانية و .. لذلك تترجم من أجلهم أمهات الأعمال الكلاسيكية والحديثة ، فما إن يصدر كتاب ناجح فى إحدى الجمهوريات ويلقى الإقبال إلا ويسارعون بنقله إلى اللغات الأخرى المستخدمة فى طول البلاد وعرضها ، وقد يكلفهم ذلك الكثير ، لكن وحدة الفكر مستهدفة بين الأطفال كما هى بين الكبار ، لذلك تنتشر أسماء كبار كتّاب الأطفال فى كل البلاد ، وتضم قائمة المؤلفين أسماء كثيرة لدرجة يصعب حصرها .. كما أن أعمال الكبار تبسط للصغار ، وتلقى هى أيضا الرواج والإقبال .. وقد نهض الاتحاد السوفيتى بمسئولية نقل وترجمة أعمال كُتّاب الأطفال لديه إلى اللغات الأجنبية من أجل أن يقرأها كل أطفال العالم ، ودار

النشر باللغات الأجنبية تقدم نسبة كبيرة من أعمالها لهذا القطاع ، وتبدى اهتمامها به ، وتصدر هذه الكتب بأسعار متدنية بهدف زيادة الإقبال عليها ، ومن بين اللغات التى ترجمت إليها عشرات الأعمال للأطفال اللغة العربية ، وعمدت (**دار الشرق**) إلى تبنى توزيع هذه الكتب على أوسع نطاق ..

ويبدى الناشرون السوفيت اهتماما غير عادى بالكلاسيكيات العالمية التى قرأها الأطفال ويقرءونها فى كل الدنيا ، وهم لا يرغبون فى أن يشب أبناؤهم دون أن يتعرفوا على روبنسون كروزو وجاليفر وغيرهما من الأعمال ، ومن بينها **شكسبير وديكنز وجول فيرن والكسندر ديماس ووالتر سكوت ، وجاك لندن** ، لذلك يترجمون أعمالهم بنصها أو مبسطة . وحفاوتهم بكتب الأطفال المعاصرة كبيرة ، إذ يترجمون من أربعين لغة عالمية مطبوعات تصل إلى ١٥ مليون كتاب سنويا .. والطبعات التى صدرت لكتّاب الأطفال العالميين تذهلنا ، وقد أوردتها فى بحث سابق ، إلا أن وضعها هنا تحتمه الضرورة .. وها هى ذى ترجماتها وعدد طبعاتها ونسخها :

* **أندرسون (الدانمرك) ٣٦٠ طبعة – ٥٠ مليون نسخة .**
* **الأخوان جريم (ألمانيا) ٢٨٥ طبعة – ٣٢ مليون نسخة .**
* **بيرو (فرنسا) ٢٠٤ طبعات – ٢٨ مليون نسخة .**
* **مارك توين (أمريكا) ٣٧٤طبعة – ٢٢ مليون نسخة .**
* **روداری (إيطاليا) ٤٠٩ طبعات – ٨,٨ مليون نسخة .**
* **استريد لندجرين (السويد) ٦٠ طبعة – ٣,٥ مليون نسخة .**

والمرء لابد أن يفتح عينيه فى دهشة لهذا الانفتاح الكبير على الآداب العالمية ، لكن من الواضح أنهم لا يضيقون ذرعا بما هو أجنبى . وليست لديهم عقدة منه ، بل يرون فيه زادا إنسانيا صالحا لأطفالهم ، خاصة أن الإنتاج المحلى ممتاز ، ويجارى هذه المترجمات ، فلا خوف على أبنائهم إذن مما قد يتبادر إلى الأذهان من غزو فكرى .



كتب الأطفال
فى
أوربا

أوربا ، ليست مصطلحاً جغرافياً فحسب ، بل هى فى مجال الأطفال – برغم اختلاف اللغة – تشكل ثقافة ذات طابع خاص ، تمتد جذورها عميقة إلى الحضارتين اليونانية والرومانية .. إن دولها – تتقارب أو تتباعد ، تتصادق أو تعادى إحداها الأخرى – تبقى ذات طابع حضارى فيه الكثير من أوجه التشابه ، كثمرة لعصر النهضة واكتشاف البخار ، ثم الكهرباء .. والاختلاف بين بلدان أوربا لم يحل بينها وبين هجرة الأفكار والتجارب فيما بينها ، وتقليد كل منها للأخرى ، ومنافستها فى محاولة للتفوق ..

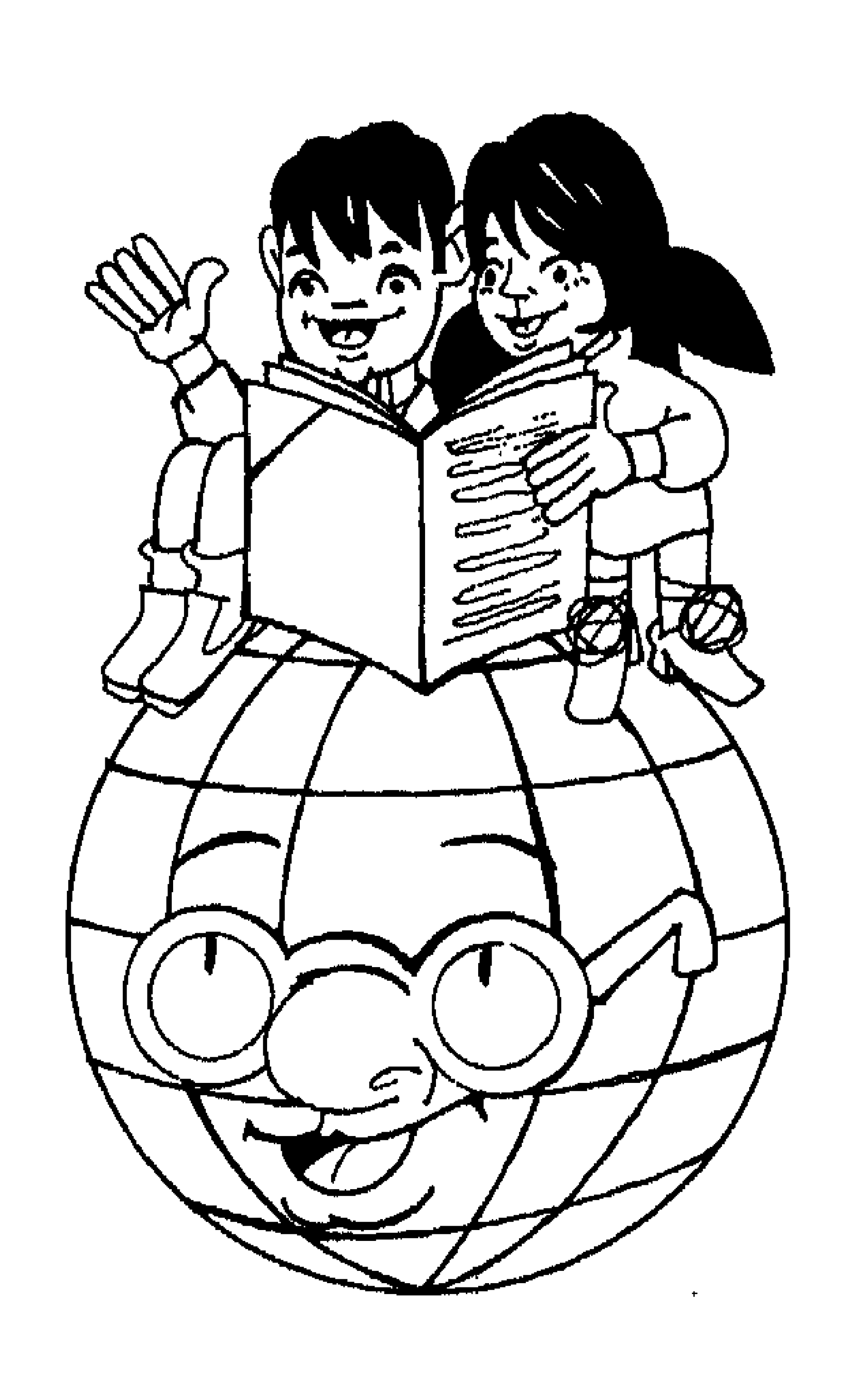
وكتب الأطفال فى أوربا كانت فى العصر الحاضر هى البداية وهى البذور للشجرة الوارفة الظلال ، التى امتدت فروعها لكل أرجاء الدنيا ، وازدهرت بفضل عدد من الكتّاب الأوربيين الذين كان لهم الفضل فى اقتحام هذا المجال كمؤلفين مثل أندرسون ، أو رسامين مثل كالدكوت ، أو ناشرين مثل نيوبرى .

وعلى الرغم من أننا سوف نتحدث عن كل بلد على حدة ، فإننا نرى أن هناك سمات كثيرة مشتركة فيما بين بلدان أوربا يمكن استنباطها واستنتاجها ، وما أظننا بحاجة كبيرة إلى ذكرها ..

ومما لا شك فيه أن الدول الأوربية الاستعمارية حاولت أن تنشر أدبها فى البلاد المستعمرة كلون من الغزو الفكرى لأبناء تلك البلاد ، وظهر كتّاب يتعصبون لحضارة الغرب – وأوضح مثال لذلك رديارد كبلنج شاعر الإمبراطورية كما يسمونه – وكان مهمة هؤلاء الكتّاب أن ينفذوا إلى عقول الأطفال على مستوى العالم لكسب عقولهم والسيطرة عليها ، بهدف إبقائهم وبلادهم مستقبلا فى قبضة الدول المستعمرة ، التى أصبح لكل منها فلسفته وأسلوبه ..

ولقد ترك « **ديكارت** » بصمته على تفكير وعقل كل طفل فرنسى ، وحدث نفس الشيء بالنسبة للأطفال الإنجليز ، إذ فرض عليهم باكون أسلوبه فى التفكير ، وسادت البرجماتية ، وجون ديوى الحياة التربوية فى أمريكا .. ومن هناكانت بذور الوحدة الفكرية بين أطفال كل بلد من هذه البلدان ..

وسنكتفى بالحديث عن كبرى الدول الأوربية الغربية ، كنموذج لما يدور فى كل القارة ، برغم إدراكنا أن ما يدور فى الدول الصغيرة منها رائع ومذهل .. وظهور الكاتبة السويدية استريد لندجرين ، والكاتبة تاف يانسون الفنلندية على المستوى العالمى وحصولهما على **جائزة هانز أندرسون** أمر له دلالته ، لكن الدراسة طالت بنا ، وستطول ، الأمر الذى لانملك معه إلا الاكتفاء بالنماذج .



إنجلترا :

يبدأ تاريخ كتب الأطفال فى إنجلترا - ربما - فى القرن الخامس عشر ..
(وساعد فرسان الملك آرثر ، وروبن هود خير مثال) ..
لكن المدرسة الواقعية من المؤرخين تعتبر عام ١٧٤٤ هو البداية بصدور (**كتاب صغير جميل للجيب**) عن (**جون نيوبرى**) ..

قبل ذلك كان الأخلاقيون يعظون ، وأصحاب الخيال من الأطفال لا يجدون ما يقتاتون به ، والمتعة مفتقدة فى الكتب - ونشر نيوبرى نحو عشرين كتابا للأطفال من بينها (**أنغام الأوزة ، أغنيات للمهد**) .. ليس هناك نسخة واحدة من الطبعة الأولى وإن كانوا قد أعادوا طبعاتها ..

وجاءت نظريات جون لوك حول التربية ، وقال : إن حكايات إيسوب وقصص العهد القديم صالحة لتعليم القراءة للأطفال ، لكنها تضيع فى زحمة الكتب السيئة .كان تأثير ذلك كبيراً خلال القرن الثامن عشر .. لكن التأثير الكبير حقا فى الكتب التعليمية الخاصة بالأطفال كان للفرنسى (**جان جاك روسو**) بنشره (**إميل**) سنة ١٧٦٢ .. ولم يكن روسو وهو ينادى بضرورة ترك الأبناء ينمون وفق (**الطبيعة**) ، لم يكن يدرى إلى أى مدى سوف تحتضن نظريته هذه بواسطة المدرسين والآباء فى إنجلترا ..

ويأتى كتاب (**روبنسون كروزو**) كمثال لهذا التأثر ، وكم كان الإقبال على هذا الكتاب شديدا ، وإلى يومنا هذا ، كعمل ممتع قلّده الكثيرون .. ثم ظهر (**سير والتر سكوت**) الذى كتب (**حكايات جد**) ما بين ١٨٢٨ ــ ١٨٣٠ وقد أقبل الكثيرون على كتبه لما فيها من إثارة وعاطفية .. وجاءت بعده (**مس يونج**) ممثلة للعصر الفيكتورى ، ومعها آخرون منهم **كاترين سنكلر** « التى قدمت بيت الإجازة » وهو واحد من أهم كتب الأطفال تاريخيا ، لأنه كان يهدف إلى تغيير المادة التى يقرؤها الأطفال ، ونجح فى ذلك لأنه ظل يقرأ على مدى يتجاوز قرنا من الزمان ، فقد امتلأ ببهارات الخيال ، والضجيج ، والأطفال الذين يتمادون فى الأعمال الرديئة السيئة و« الشقاوة » المنقطعة النظير ..

وابتكر الأمريكى (**صامويل جودريش**) شخصية (**بيتر بارلى**) التى لقيت إقبالا كبيرا فيما بين ١٨٢٧ ــ ١٨٦٠ وبيعت كتبها بالملايين فى أمريكا وإنجلترا ..

وقبل عصر (**أليس فى بلاد العجائب**) ظهر عملان ..

١ ــ أيام مدرسة توم براون   توماس هوفس ١٨٥٧ .
٢ ــ أطفال الماء   شارلز كينجسلى ١٨٦٣ .

والمؤلفان كانا صديقين ويشتركان فى الكثير من الأفكار السياسية والاجتماعية .. وتظهر أشعار (**إسحاق واتس ، آن وجين تيلور ، ووليم بلاك**) ثم يجىء **إدوارد لير** .

وتعود الحكايات الخرافية فى منتصف العصر الفيكتورى بسبب ترجمة كل من (جريم أندرسون ، أسبيرتسون) .. وينتمى لهذه الفترة ..

* **ملك النهر الذهبى   جون راسكن .**
* **الوردة والخاتم   ثـــاكرى .**

ويظهر لويس كارول وأليس فى بلاد العجائب .. وهى تعتبر من أهم – إن لم تكن أهم – معالم تاريخ أدب الأطفال فى العالم .. وظهر فى هذه الفترة ما كدونالد وأوسكار وايلد .. وأيديث نسبيت ، ولهم مساهماتهم الكبيرة فى هذا المجال .. ومن بعدهم جاءت أسماء كثيرة تكتب للأطفال : **بارنيت** .. **مارلت** .. **بالنتين** .. واشتهر الأمريكيان **مارك توين** ، **وروبرت لويس سيتفنسون** .. اللذان استجلبا من الماضى قصصا رومانسيا حلوا .. ثم ترجم جول فيرن – صاحب قصص الخيال العلمى .. وصاحبت هذه الفترة (١٨٦٥ ــ ١٩١٠) مجموعة من الرسامين أشهرهم « **كالديكوت** » الذى رسم « الشعر » رسما رائعا .. « اسمه تحمله جائزة الرسم فى أمريكا » .

وكانت الفترة من (١٨٩٤ ــ ١٩٠٨) من أزهى فترات كتب الأطفال : ظهر فيها الأدغال .. كبلنج – الريح فى شجرة الصفصاف .. كينيث جرهان – بيت الأرنب بياترس بوتر . كما ظهرت بعدهم كتب إيديث نسبيت ، جيمس بارى (صاحب بيتر بان الشهيرة) .. ويضاف إلى ذلك (**أليس**) وهذا فى مجموعة يشكل تراثاً فذًّا وضخما فى أدب الأطفال الإنجليزى – والأمريكى أيضا ، فليس من السهل الفصل بين إنجلترا وأمريكا فى تلك الفترة . وتأتى بعد ذلك أسماء :

ــ هوف لوفنج	**ــ ايرك لنلكيتر**
ــ جون ما نسفيلد	**ــ مارى نورتن**
ــ مـسيلن ..	**ــ ريمر جودن**
ــ ترافيرس	**ــ لوسى بوستن**
ــ تولــكين	**ــ بولين كلارك**

وهؤلاء جعلوا من أدب الأطفال فى إنجلترا سابقا لنظيره فى كل دول العالم .. وفى الألوان الأخرى من كتب الأطفال لم تقدم إنجلترا نفس المستوى فى القرن .. العشرين (**هناك آرثر رانسوم فى المغامرة ، ولا نظير له فى**

الآداب الأوربية الأخرى) وفى الرواية التاريخية هناك جوفرى تريز وروز مارى ستكليف ونويل ستريت نيلد .

أما الروايات التى تدور حول الحياة اليومية ، والأسرة والكتب المصورة والكتب غير الروائية فقد كانت فقيرة إذا قورنت بالقصص الخيالية ، هذا يقودنا إلى مقارنة مع أمريكا التى تبعت إنجلترا وبادلتها التأثير فى مجال كتب الأطفال إلى عام ١٩١٠ ..

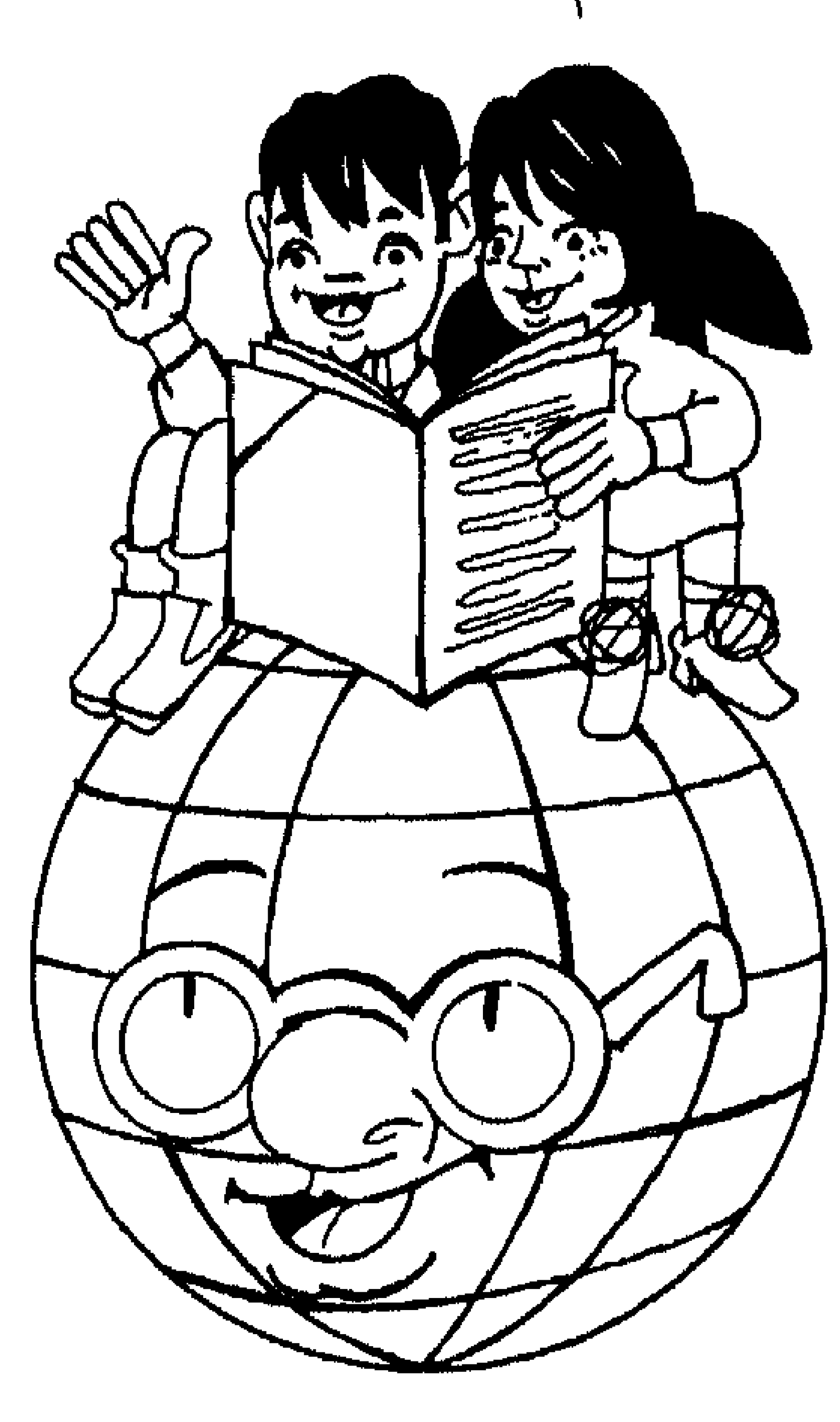
كانت المشكلة تتركز فى حركة المكتبات .. ونموها فى إنجلترا ، وبخاصة الخدمة المكتبية للأطفال .. كان القليل من الاعتمادات يخصص للمكتبات .. ولم يكن هناك أمناء مكتبات مدربون .. حتى سنة ١٩١٠ .. ولا ينقص هذا من جهود البعض الذين كسبوا خبراتهم من الممارسة .. أما الباقون فكانوا يضعون الكتب فى دواليب مغلقة أو يعطونها لمن يزيدون فى العمر على ١٢ سنة (هم أقدر على المحافظة عليها) ، إلى أن صدر قانون المكتبات الجديد سنة ١٩١٩ الذى قرر أن للسلطات المحلية الحق فى شراء كتب الأطفال وإنشاء مكتباتهم وفرض رسوم من أجل ذلك .. كان هذا هو البداية الحقيقية لحركة المكتبات فى إنجلترا ..

وواكب هذا نشاط فى أمريكا فى نفس الاتجاه مع مكتبات الأطفال ، الأمر الذى أخذ بين أدب الأطفال .. لكن لم يكن هناك تعاون بين محررى كتب الأطفال وأمناء المكتبات .. مثلا أسبوع المكتبات .. أسبوع كتب الأطفال .. لم تكن تلقى الاهتمام الكافى إعلاميا .. وبدأ تلخيص كتب الأطفال فى عام ١٩٣٦ فى مجلة (**Junior Booksheif**) .. ظهر بعد ذلك (**HornBook**) فى أمريكا بنحو ١٢ سنة .. لكن ما يعرض فيهما يختص بما يصدر سنويا ..

ولم يكن التدريب بالنسبة لمكتبات الأطفال ميسورا حتى سنة ١٩٥٤ .. ظهر اتحاد مكتبات الأطفال بجانب اتحاد المكتبات ، تحت قيادة أمناء مكتبات الأطفال بدأت مكتبات المدارس فى إنجلترا عام ١٩٣٠ ، وفى نفس الوقت الذى بدأت فيه فى أمريكا .. وتشكل اتحاد المكتبات المدرسية منفصلا عن اتحاد مكتبات الأطفال ..

لهذا يمكن القول أن حل مشكلة كتب الأطفال تتركز فى ثلاث نقاط ..

* **النقد .** * **الاختيار .** * **الاستخدام .**



فرنسا :

حتى سنة ١٩٢٧ كان الآباء فى فرنسا يهزون أكتافهم إذا ماسمعوا عن « أدب الأطفال » معبرين عن قيمته لديهم ، وهى لا تتجاوز قيمة العرائس أو اللعب ربما قل .. إن الأطفال فى فرنسا شأنهم فى ذلك شأن الأطفال فى كل الدنيا فى حاجة ماسة إلى « الأدب » ليرضى احتياجاتهم النفسية والعقلية والخيالية .. وإلا فكيف نخلق عقولا مفكرة خلاقة وفنانين مبدعين ؟ !

إن لفرنسا ثقافة عريضة ، لكن هل يعنى ما قلناه إن أدب الأطفال لم يكن له دور ما فى تثقيف الأطفال وتربيتهم ؟ ! إن الإجابة تكمن فى حديث كبار

كتّابهم عن طفولتهم ، وكيف قرأت لهم أمهاتهم خلالها ، وكيف تلقت مارسيل بروست هدايا عن ميلاده كتب جورج صاند ، هذا جانب ، والآخر أن الأطفال رضوا بما يقدم لهم من كتب سواء كانت للأطفال أو للكبار .. لذلك قرأ الأطفال خلال عدة أجيال أعمال كل من **هوجو** . **ديماس** .. **صاند** ، **جول فيرن** ، **بلزاك** . **الفونس دوديه** . **موبسان** . **أناتول فرانس** . قرأ الأطفال كل هؤلاء دون أدنى احتجاج ، ولم يقولوا إنها ليست أعمالا مثيرة أو ممتعة ، بجانب بعض الأعمال المترجمة ، حتى أننا لا نجد أعمالا تستحق الذكر فى مجال أدب الطفل على مدى الخمسين عاما الماضية ، بل لا نجد كاتبا له أهميته – غير أندريه موروا – قد كتب شيئا للأطفال يمكن الوقوف عنده ، هناك **الأمير الصغير** (**سانت أكسوبرى**) ، **جزيرة الأزهار** (**تشارلز فيلدراك**) **حكايات قطة** (**مارسيل ايميد**) . لقد كتبت هذه الأعمال للأطفال بأقلام مشهورة ، ونشك كثيرا فى أن الأطفال قد فهموها أو استوعبوها .

وقد أضيف إلى ذلك أخيرا أعمال (**رينيه جورييه**)René Guillot وجان برنهوف عن (الدب بابار) وروايات (كوليت فيفيميه) .

وهناك عدد كبير من الجوائز لكتّاب الأطفال المبدعين الخلاقين . . لكن ما زالت الفكرة التى تسيطر على الجميع أنه لا حماسة تجاه قراءات خاصة للأطفال فى البيوت تختلف عما فى المدرسة ، اكتفاء بها وبكتاب الكبار . . وذلك على الرغم من أن كثيرين يقولون إن بداية أدب الأطفال كانت على يد (**بيرو**) الفرنسى . . وأنها خطت إلى الأمام كثيراً على يد (**لافونتين**) . . ونحن نتطلع كثيرا إلى دراسة عملية حول أدب الأطفال فى فرنسا بعد هذين الرائدين ، إذ أن المدرسة الفرنسية الحديثة لم تعد توافق على ضرورة توافق القراءات المنهجية التعليمية مع القراءات اللا منهجية الثقافية ، ويحاولون أن يواكبوا العالم فى إنتاج أدب خاص وكتب للأطفال ترقى فى إبداعها إلى المستوى المعاصر . .

إيطاليا :

أدب الأطفال يجب أن ينظر إليه على اعتبار أنه « معنى » ليس أدبا من أجل الأطفال موجه بالضرورة للصغار مع احتوائه على بعض القيم الأخلاقية أكثر مما يحتويه أدب الكبار ، لكنه أدب من أجل الأطفال كتبه نساء ورجال موهوبون إلى درجة أنه ما زالت لديهم روح شابة وهم يخلقون هذه الأعمال الفنية . . إننا نعلم عن يقين أن الطفولة مرحلة ، ما إن يعبرها صاحبها فإنه لن يعود إليها مرة أخرى . . كتّاب الأطفال ومؤلفو قصصهم وحدهم القادرون على هذه المعجزة . . العودة للطفولة ! توقفت الكتابة بغزارة عن أدب الأطفال في إيطاليا منذ سنة ١٩٢٠ ومازالت إلى يومنا هذا . . وكان ذلك نتيجة الرغبة فى تأكيد أن هناك أدبا جيداً للأطفال . . ومما لاشك فيه أن هناك كَماً من الكتب حول هذا الموضوع لكن المشكلة هى تتبعها ومحاولة ربطها ببعضها ومعرفة علاقة كل منها بالآخر ، وعلاقته بالكتب التى يناقشها كل كتاب منها . . على أن أحداً لم يفسر للآن السر فى هذا الكم الغريب من الكتب حول أدب الأطفال الإيطالى ، خاصة أن إنتاج الأدب ذاته كان قليلا إذا قيس بما يكتب عنه . . وهناك أسماء الروّاد .

* **فرانسسكو سواف** . **Francesco Soave**
* **جوسيبى تافرنا** . Giuseppe Taverna
* **جينو كابونى** . Gino Capponi
* **لويجى اليسندرو بارافسينى** . Iuigi Alessandro Parravicini
* **بترو تروار** . Pitro Trouar

وتعيش أسماؤهم بصورة ضبابية على أنهم أرسوا أو بدءوا يكتبون للأطفال .... ومن الطريف أن نذكر أن كلا من **سواف وبارافسيني** قد بدأ كل منهما الكتابة للأطفال بالفوز فى مسابقة لكتابة مخطوط كتاب للأطفال فى عامى ١٧٧٥ و ١٨٣٤ .. وقد فاز كلاهما على أنه أحسن المتقدمين ، إذ لم ترض لجنة التحكيم عن الإنتاج المقدم إليها .. وقد ظل **بارافسيني (جيانوتو)** Cianneto مثار اهتمام ، ولقى مديحا ، ربما لا يستحقه ، ونقدا حارا مريرا فى ذات الوقت .. كانت قصة « موسوعية » يستطيع الطفل من خلالها أن يتعرف على الكثير عن نفسه وعن العالم المحيط به ، وتاريخ بلاده ..

وكانت أعوام ما بعد ١٨٨٠ هى التى شهدت عملين كلاسيكيين للأطفال .. عاشا وعرفهما العالم كله .. **الأول:قصة عروسة ، وهى التى اشتهرت باسم . بينوكيو** Pinocckio وقد ظهرت فى جريدة الأطفال ، وقد صدرت فى عام ٨١ ــ ١٨٨٢ .. وكتبها كارلولورنزو تحت اسم مستعار هو كلودى .

والثانى : كورى دى راجازيو كتبها ايدموند دى أميدتس ونشرت عام ١٨٨٦ ، وقد كتب عن هذين العملين الكثير جدا وعن بطليهما الأول : لودّ سلوكه ، والآخر : لرقة قلبه وحساسيته الشديدة ، حتى أنه من الصعب أن نتتبع هذا الذى كتب والتحليلات التى قيلت عنه .. (وهناك أعمال تقلد بينوكيو فى الآداب العالمية وفى الإيطالية أكثر مما تقلد أى رواية أخرى للطفل .. أسبانيا مثلا) وقد ظهر عن بينوكيو فيلم موسيقى غنائى ، بجانب استخدامها فى مسرح العرائس بالطبع ، وإننا لنتساءل إذا كان السر فى ذلك هو طبيعة هذا العمل ، أو أنه يرجع إلى الحظ الذى صاحب شخصية هذه الدمية .. التى أحبها كل أطفال العالم . وبعد هذين العملين بدأ ينهمر إنتاج أدب الأطفال فى إيطاليا ــ خاصة بين النساء والمعلمين ، فقد ظنت كل واحدة منهن ، وكل واحد منهم أنه كلودى ! ، وأن من الضرورى أن تجرب نفسها أو نفسه فى

الكتابة للأطفال .. **وقد بقيت لنا خمسة أسماء تستحق أن تقرأ – بقيت من أواخر القرن ١٩ وبداية القرن العشرين وهم :**

* **لويجى كابوانا** **Luigi Capuana**
* **روناتو فوسينى** **Renato Fucini**
* **جوزيبى ارنستو (نيوكو)** **Giuseppe Ernsto Nuccio**
* **عايدة باشينى** **Ida Baccini**
* **لويجى برتلى** **Luigi Bertelli**

والأخير عرف باسم **فامبا Vamba** وتأثر كثيرا بـ كلودى فى الأسلوب والفكرة .. فوشينى وعايدة سارا على نهج دى اميكس : التفاؤل وحب الخير .

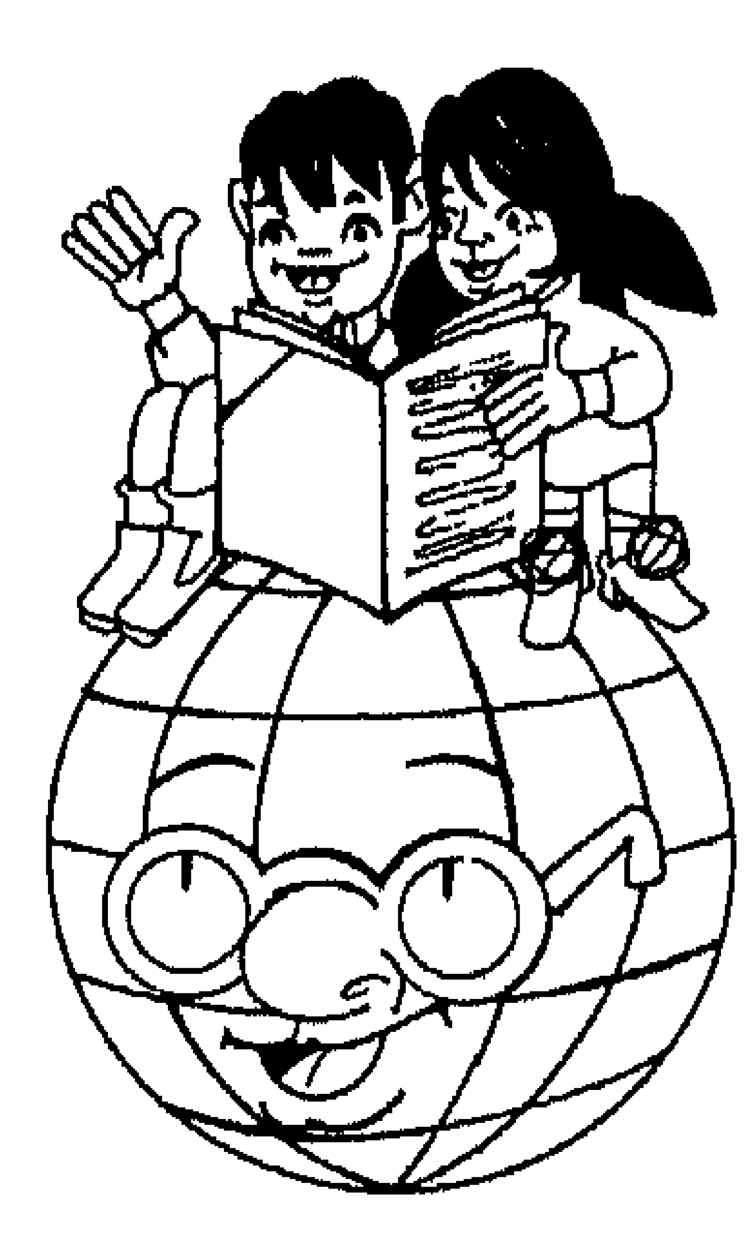
كابوانا ونيوكو هما اللذان اتجها بأدب الأطفال إلى الواقعية .. التى بدأت تصبح الاتجاه العام فى الأدب الأوربى فى تلك الفترة ...

كابوانا كان يأخذ دورًا إيجابيا تجاه الحياة .. وكان هو و(نيوكو) ينتقدان لتقديمهما شخصيات وأحداث لا تلازم الأطفال والقراء الصغار ، مثل الموت العنيف ، والمعاناة الشديدة والقتلة ...

وظهر فى تلك الحقبة **إميلو سلجارى Emilio Salgari** الذى قيل إنه يقلد جول فيرن ، وقد تدفقت كتب سلجارى الحافلة بالمغامرات .. وقد تابع الأطفال الإيطاليون هذه الأعمال كما تابع الأمريكيون ويتابعون **توم سويفت وهاردى بويز** .. والبعض يفسر نجاح سلجارى العريض (بأسلوبه السينمائى) فى كتابة أعماله Cinematographic Technique أما جول فيرن فكان بطيئا ، يحاول بجهد أن يخلق جوًّا علميًّا فى حين حاول سلجارى بطريقة اللقطات البالغة السرعة . Flashes . والقصة حافلة بالسرعة والحركة ، تلقى استجابة غير عادية من الأطفال ، يراها البعض (أدبا) ..

ويأتى اسم الناقد **فانكيولى** Fanciulli الذى كان يضع عيون الناس على ما يجرى فى مجال أدب الأطفال ، ومعه المدرس : **جيوفانى كالو** Giovanni Calo وهما اللذان أبقيا مجرى الحديث عن أدب الطفل دافقا بالحياة..

أما النصف الثانى من القرن العشرين ، فهناك من يرى أن أدب الأطفال الإيطالى قد ازدهر ، فى حين يرى آخرون أنه انحط وتخلف وأصبح أسوأ مما كان .. سواء فى الموضوعات التى يتناولها الكتاب أو فى المادة التى تحتويها الكتب ، ومازال بينوكيو يمثل أكبر شخصية نجحت فى دنيا أدب الأطفال .. على أن الذى يجرى فى إيطاليا الآن هو نمو لفروع وأغصان شجرة أدب الأطفال بشكل لا تناسق فيه ، فى كل الاتجاهات .. وهم يرون أن المهم (النمو) وليس المهم أن يحدث ذلك الاتساق ..



أسبانيا :

قبل القرن التاسع عشر كانت هناك بعض أعمال غاية فى الروعة للأطفال .... منسوخة أو مطبوعة .. من بينها ..

*** انفانت جوان مانويل .**

*** لوب دى فيجا .**

وذلك على الرغم من أنها كانت تستهدف شغل أوقات فراغ الشباب ، لكن الأطفال كانوا يقبلون على قراءتها ، وكثيراً ما ناقش كتاب تاريخ أدب الأطفال

فى أسبانيا هذه الأعمال ، ولكنهم يرون أن بذوره الحقيقية ، وبداياته كانت فى مجلات القرن ١٩ .. وأولها مجلة (**جازيتا دى لونينو**) وصدرت مابين أعوام ١٧٩٨ ، ١٨٠٠ ، ومن الواضح أن ذلك كان بتأثير نيوبرى ومطبوعاته فى إنجلترا ، كما تبعها ظهور عدد آخر من المجلات تقليداً لها ، وعلى صفحاتها كانت هناك قصص ومقالات كتبها أناس كانوا يتوقون لكتابة شىء للأطفال يستهويهم ، وكانوا يبحثون عن أسلوب يجتذبهم .. وكان ألمع ، أسماء هذه المرحلة .

* **سيسيليا بوهل** **Cecilia Bohl**

لكن ذلك لم يكن - برغم جمال صوره - يجتذب الأطفال كما تجتذبهم (المسلسلات المصورة) التى بدأت تظهر فى أوربا فى القرن التاسع عشر واستقبلتها أسبانيا بحفاوة .

ولكن : ماذا عن : جريم ، أرنست هوفمان ، هانز أندرسون ، جول فيرن ، والكونتيس دى سيجيو والكتاب الأوربيين الذين انتشرت أعمالهم بسرعة فى العالم .

لقد نشرت أغلب أعمالهم بالأسبانية فى مجلة ظهرت فى مدريد عام ١٨٧٨ اسمها (كاليجا) ، ذهبت مذهب الأمثال حين يقولون فى الأسبانية .. (إن عندك من الحكايات أكثر مما عند كاليجا) .

على أن أدب الأطفال فى أسبانيا وصل إلى مرتبته الرفعية من خلال الشعر ، ولم يكن هذا صحيحا فى أسبانيا وحدها ، بل فى دول أمريكا اللاتينية أيضاً ، وكان ينظر إلى شعر الأطفال على أنه تافه ، برغم أنه كان يكتب فى رقة بالغة

وشفافية كبيرة . لكن أغلب الشعراء كتبوا بعضا من قصائدهم موجهة إلى الأطفال ، وما كان يضاهيها شيء فى الواقع .. مثلا **فردريك جارسيا لوركا** ..**رافائيل البيرتى** ، **جوان رومان جيمنيز** ، **ميجيل دى أنامونو** .. كتبوا أشعاراً للأطفال اجتذبتهم ، ولكنهم كانوا يعترفون بأنهم لم يستهدفوا الأطفال بما كتبوا . الأمر الذى جعل بول هازارد يقول : إنه ما من كاتب أسبانى كتب للأطفال خصيصاً .. **لكن من الممكن أن نقول إن اثنين من الأسبان فعلوا ذلك** .

* **سلفادور بارتولوزى** **Salvador Bartolozzi**

* **إلينا فورتن** **Elena Fortun**

الأول عرف كرسام وكاتب .. ألف عن (**بينوكيو وشابيت**) مغامرات من عنده أما الثانية فاشتهرت بـ (**سليا**) بطلة كتبها ، وهى طفلة تنمو خلال سنوات الدراسة ويمكن الحديث عن بينوكيو على أنها ليست أصيلة لنقله الشخصية ، لكنها تصبح مثل (**اوز oz**) فى أمريكا ، الأمر الذى يجعلنا نقول إن بينوكيو بارتولوزى تقرأ فى أسبانيا بواسطة الأطفال والآباء والمعلمين وأمناء المكتبات ..

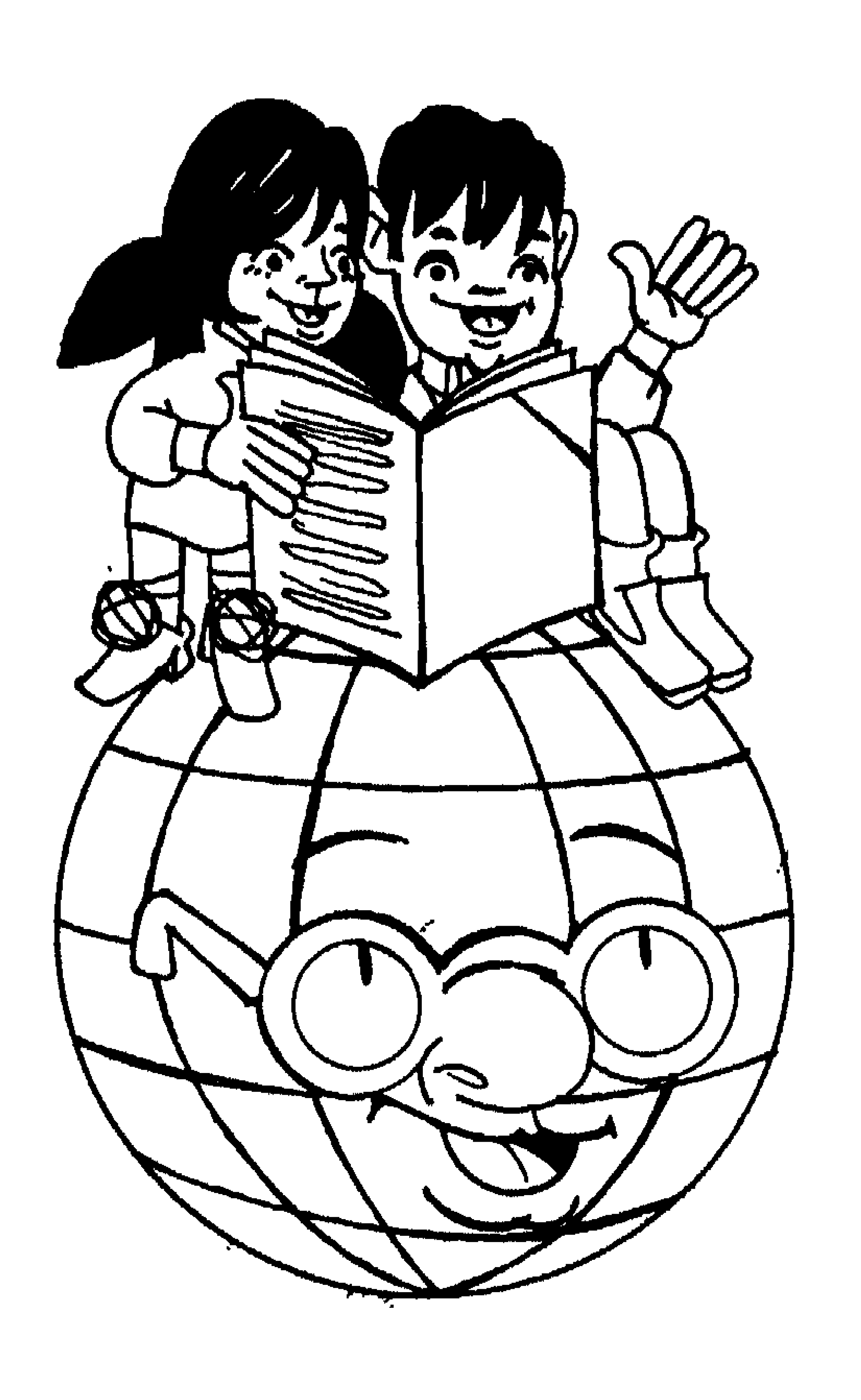
وقد نما أدب الأطفال فى أسبانيا فى النصف الثانى من القرن العشرين كما نما فى كل العالم .

ولقيت بعض الكتب اهتماماً واسع النطاق وشهرة عريضة .. وقد عقد سوق المكتبات (Fenia) رقم ٢٥ فى عام ١٩٦٦ ، أى أنه بدأ سنة ١٩٤١ .. فى الربيع كما يعقد أسبوع مكتبات الأطفال الأسبانية فى أواخر نفس العام (١٩٦٦) .. الأول بمناسبة منح جوائز لكتب الأطفال الفائزة خلال العام ،

وقد بدأ هذه القضية عام ١٩٥٨ ، وهو مستمر منذ ذلك الحين إلى اليوم .. والثانى مثل أسابيع مكتبات الأطفال فى كل العالم ..

ويهتم IBBY القسم الأسبانى بكتب الأطفال ويصدر عنه كل بضع سنوات قائمة كتب ..

وبرغم ذلك فليس هناك رخاء كامل عن كتب الأطفال ، والنقاد لا يتحمسون للإنتاج الأسبانى حين يُقارن بما يصدر فى البلاد الأخرى .. ويرون أن الخيال ينقصه ، وكذلك التنوع فى القصص والرسوم ، بجانب ارتفاع أسعار الكتب ، الأمر الذى يجعلها غير ميسورة للطبقات الفقيرة .. كما أن الكتب غير الروائية - أى كتب المعرفة - قليلة .. والمكتبات العامة فى أسبانيا تابعة لوزارة الثقافة ، والمكتبات المدرسية تابعة لوزارة التعليم ، والرقابة تتم بشكل متفاوت بالنسبة لهذه الكتب فى المستويات المحلية ، والإقليمية ، والقومية ، ونظريًّا لابد أن تكون هناك مكتبة .. وفق القانون .. فى كل مدرسة .. وكل مجلس محلى ، على أن تعار كتب هذه المكتبة بالمجان .. على أنه يمكن القول أن هناك هوة بين الهدف و بين التطبيق فى هذا المجال .. وتبذل وزارة الثقافة جهودا مكثفة من أجل وصول الكتاب - خاصة إلى سكان الريف والأقاليم - إنها تبعث بصندوق كتب لكل جهة على استعداد لأن تجد لها مكاناً وتنهض بعبء إعارة هذه الكتب وتوزيعها على نطاق واسع ، وهذه الكتب ترسل وفق قائمة جاهزة ومعدة من قبل ، وقابلة للاستخدام على الفور .. ، ويمكنها فعلا أن تخلق نواة مكتبة عامة لدى كل جماعة أو جمعية تبادر للعمل ، بل وإنها تضيف للقائم منها فعلا ، ويمكن طلب كتب أخرى إضافية من هذا الجهاز ، الموجود بوزارة الثقافة بأسعار مخفضة وزهيدة ، لكن مع الأسف نقص الميزانيات يحول بين هذا المشروع المفيد وبين انتشاره ، وخاصة أن هناك محاولة لتدريب الأطفال على تنظيم المكتبات المدرسية واشتراكهم فى عملها ، كل ما هو مطلوب لون من الانتظام فى مد المكتبات بالكتب ، والتعجيل بذلك ، وجعل وقع العمل سريعا ..



كتب الأطفال
فى
ألمانيا

إن كتاب الأدب الجيد خير معلم .. لكن كتب التعليم لا يمكن تصنيفها تحت أى عنوان يمكن أن يمت للأدب بصلة .. لقد وجد « الأدب التعليمى » فى ألمانيا حتى عام ١٩٤٠ ، لهذا يختلف تاريخ أدب الأطفال فى ألمانيا عن غيرها ، لافى المحتوى والشكل والأسلوب ، لكن اختلف فى « الهدف » .

إن ثلاثة من المعلمين قادوا مجال التربية فى ألمانيا ، وهم :

* **يوهان باسيدو (١٧٢٣ ــ ١٧٩٠) .**
* **يوهان فردريك هربارت (١٧٧٦ ــ ١٨٤١)**
* **فردريك فروبل (١٧٨٢ ــ ١٨٥٢) .**

إنهم بالاشتراك مع **روسو وبيستا لوزى** قد توصلوا إلى كثير من النظريات التى شكلت نظم التعليم الحديث .. كل منهم كان له رأى فى كتب الأطفال ..

ـــ **باسيدو** ، كان ينادى بضرورة الاستجابة لميول الأطفال الطبيعيين .. لذلك كان ينادى بضرورة أن يكون للأطفال كتب مصورة ملونة لكى توضح .. وتشرح المجردات والمعنويات وتيسر للأطفال فهم التاريخ وعلم الحياة ..

ـــ **هربارت** ، كان أكثرهم اهتماماً وقناعة بالنظريات ، وأكثرهم تأثيراً .. نادى بأن الطفل يجب أن يتعلم وفق نظريات علم النفس ، ورأى أن الطفل يجب أن يأخذ من الكتاب ما يحتاجه ويريده ، وعلى هذا يجب ألّا نعلمه وفق كتابات هادفة للتعليم ومستقرة فى رؤوسنا فحسب ..

ـــ أما « **فروبل** » « مؤسس دور الحضانة والرياضة »فقد كان أكثرهم مثالية .. وأكثرهم غموضاً فى كتاباته .. كان يرى أن الصور ، ورواية القصص ، والكتب ما هى إلا جانب من الجد المحيط بالطفل ، لذا يجب أن تكون من أرفع المستويات فى كل شيء ..

كان البعض مع أدب الأطفال ، والبعض يعترض عليه .. البعض مع الحكايات الشعبية ، كما هى ، وكما كابدت الزمن لتعيش ، والبعض ضدها تماما .. لكن المشكلة بقيت داخل نطاق ضيق .. معلمون ينتقدون مؤلفين من المعلمين .. إلى أن جاء هؤلاء الذين نادوا بوقف ذلك السيل المنهمر من الكتب التى تخاطبه (**عزيزى الطفل**) وتقول له تعال : نسير فى الغابة ، لنكتشف ونلحظ ما تقدمه لنا أُمّنا الطبيعة من أسرار ..

لقد كتبت هذه الكتب من أجل تغطية مساحات واسعة فى المجلات التعليمية ، لكنها امتدت لتسيطر على أدب الأطفال ، وبسطت ظلالها من فوقه .. وبات من الضرورى تحرير أدب الأطفال منها .. وحمل لواء هذه الثورة عدد من أمناء المكتبات فى (إنجلترا ، كندا ، أمريكا ، ودول إسكندنافيا والاتحاد السوفيتى بل وفرنسا) ، فى حين بقى الأمر على حاله فى ألمانيا .. تحت سيطرة المعلمين ، حتى عام ١٩٤٠ .. إذ لم يوجد فيها حتى ذلك الحين الناقد

الذى يربط ما بين النقد الأدبى مع الخبرة فى قراءات الأطفال خارج أسوار المدرسة ..

لكن حركة أدب الأطفال بدأت بترجمة لروبنسون كروزو تستهدف تطبيق مدرسة روسو .. الطريف أن هذه الترجمة ترجمت للإنجليزية ليستمتع بها الأطفال .. وبدأت قصص كثيرة تقلد هذا العمل ، لم يعش منها غير عائلة روبنسون السويسرية Swiss Family Robinson ولم يشع فى ألمانيا الشعر الموقع ، والذى هو بلامعنى ومضمون ، مع أنه يمتع الطفل ، فوق ما نتصور ، وتشده موسيقاه الرتيبة العذبة ، وصورها الخيالية الجذابة برغم أن هذا اللون غمر الآداب الأخرى للأطفال .. **وقد انتشرت القصص الشعبية للأخوين جريم .. والسؤال لماذا عاشت قصصهما ؟ ! لماذا بقيت حبيبة لكل أطفال الدنيا ؟** .. ليس ذلك بسبب المدرسة وكتب المطالعة ، كما يرى البعض ، ويتصور ، بل إن السر يكمن فى مادتها وحيويتها وروعتها ، ولأنها تخاطب الوجدان المتفتح لتقبلها والاستمتاع بها ، بل واستيعابها بكل ما تحويه ، والحقيقة أننا – معلمين وآباء – نريد أن نعظ ، ونعلم ، بهذا نادت المدرسة الألمانية ، وما فى هذا من عيب ، إنه فى حد ذاته رسالة بالغة الأهمية . والخطورة على مستقبل الأبناء ، لكن رسالة الأديب الفنان ، تختلف جذريا .. إنه يريد فى واقع الأمر بكتاباته أن يثقف الوجدان والعقل ، والقلب .. معا .. **والسؤال الذى يطرح نفسه : هل يستطيع ؟ !**

الحقيقة أن كتب أدب الأطفال فى بعض البلدان مازالت أسيرة بين قبضة رجال التربية ، وأفكارهم مسيطرة على الإنتاج الأدبى ، ويبدو هذا واضحاً جلياً فى الدول النامية ، فى حين حاولت ألمانيا أن تخرج من هذا الإسار ، لكنها وقعت فيما هو شر من « الوعظ » والتعليم المباشر .. نعنى بذلك وقوعها فى يد « الدعاية » .

ودراسة تأثير أدب الدعاية على الأطفال ، بشكل علمى ، لم يتم بعد .. بل لم تتم دراسة تأثيرات أدب الأطفال بهتلر والنازية دراسة كاملة .. كل ما حدث

أن الحلفاء حين دخلوا ألمانيا وجدوا الأطفال يتعلمون أن ألمانيا فوق الجميع .. و (أنا أحب ألمانيا ، أنت تحب ألمانيا ، هو يحب ألمانيا .. نحن ، أنتم ، هم .. الخ) تحولت إلى (أنا أحب اللحمة ، أنت تحب اللحمة ، هو يحب اللحمة) إذ كان لابد من التخلص عن تلك النبرة الدعائية العالية الصوت « الغوغائية » ..

والمشكلة أن خيطا رفيعا يفصل ما بين « الوطنية والعنصرية » خاصة فيما قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد شبت حربان عالميتان ، وحروب أخرى أقل خطرا ثمرة مباشرة لأدب الدعاية ولزرع مثل هذه الأفكار الخاصة بأننا (أعظم أمة) و (أروع شعب) و (صانعو الحضارة) و (أحسن ناس) ! ..

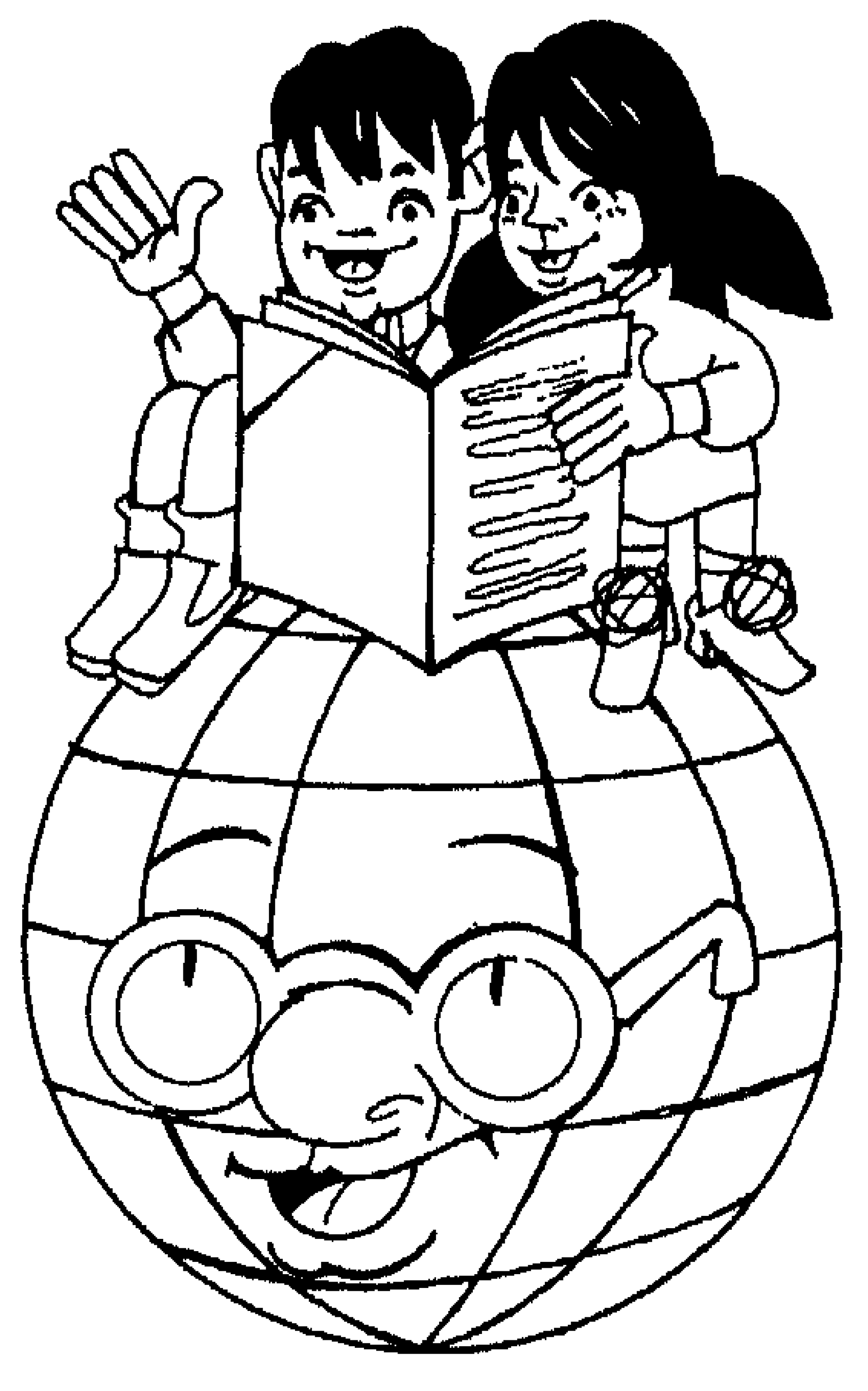
ثم بدأت تظهر قوانين تحرم صدور مثل هذا اللون من الكتب الخطيرة على تفكير الأطفال ، والمؤثرة على عقولهم الغضة ، التى تتقبل النعرة .. هناك بلدان تبشر بالأخوة الإنسانية ، لكنها تفشل فى الوصول بأدبها للأطفال إلى هذا المستوى ، أو عن قصد لاتبشر بهذه الأخوة فى ذلك الأدب .

ولن نختم حديثنا عن ألمانيا قبل أن نعرض لتجربة المكتبة الدولية للأطفال والشباب فى ميونيخ .. بعد الحرب العالمية الثانية ، والخراب الذى أصاب ألمانيا ، واحتلال القوى الأربع الكبرى لأراضيها .. كان لابد من إعادة النظر فى الأولويات .. الطعام ، الملابس ، المساكن .. إلخ .. لكنّ صوتاً ارتفع يقول : ازرعوا الأمل فى نفوس الأطفال !

كانت الكتب النازية القديمة قد ألغيت ، ولم يعد يصدر الجديد فالكتب تنتظر لكن الأمعاء لا تسكت .. واستمر الصوت يرتفع ، إذا لم يكن ذلك متيسرا ، داخل حدود ألمانيا ، لماذا لا تمتد أيدينا إلى خارجها ؟

كان هناك لون من الإيمان بالمكتبة العالمية للطفل ، من أجل أن يلحق الصغير بما فاته ، وإن كان الواقع لا يؤمن كثيراً بمثل هذه الأفكار ذات الطابع المثالى ،

لكن الجهود أسفرت عن إنشاء مكتبة دولية للأطفال والشباب فى ميونيخ بهدف نشر الكتب التى تبنى التفاهم بين هؤلاء الذين سيمسكون بزمام العالم مستقبلا ، وكان لهذه المكتبة أثرها ، إذ تمركزت فى ميونيخ ، وأصبحت تشع بضوئها على كل ألمانيا .. وقد واكبت النهضة الاقتصادية فى ألمانيا حركة واسعة فى مجال كتب الأطفال .. **ومنذ عام ١٩٦٠ يصدر نحو ألف كتاب – ربعها مترجم – للأطفال الألمان وتتنافس ألمانيا الشرقية والغربية فى هذا المجال ، ومستواهما المتقدم يتقاربان ..**



كتب الأطفال
فى
اليابان

أدب الأطفال فى اليابان عمره يتجاوز القرن من الزمان ، وكان قانون التعليم الذى صدر عام ١٨٧٢ بمثابة طفرة حدثت فى كتب الأطفال ، فظهرت ترجمات لأعمال إيسوب (١٨٧٢) ، ألف ليلة وليلة (١٨٧٥) .. ثم بدأت رياح الغرب تهب على اليابان ما بين عامى (١٨٧٧ — ١٨٨٦) ، وظهر تأثير الحضارة الغربية بشكل حاد ، وقد تسبب هذا فى نقل أعمال سيئة ،ومتوسطة القيمة ، لم تكن تناسب الذوق اليابانى ، لكن هذه الأعمال نجحت ماديا ، وجلبت الثراء للناشرين .. ولم يكن الأثر سيئا بالكامل ، لكن هناك أشياء أفادت ، فقد تنبهت اليابان مثلا إلى أغنيات الأطفال

لسن ما قبل المدرسة ، فحفزها ذلك على جمع تراثهم من هذه الأغنيات .. وعلى أثر هذه الفترة بدأت مرحلة الإصلاح .. استمرت الترجمات لكن كُتّاباً من اليابانيين بدءوا محاولاتهم لإبداع أعمال للأطفال بأسلوب جديد ، وكان التعليم مازال يدور حول « الملكية » و « الأفكار التوسعية » فى حين بدأ أدب الكبار يتجه إلى الواقعية ، واستغرقت هذه المرحلة عشر سنوات عكست فيها كتب الأطفال اهتمامات الطبقات الفنية والمتوسطة ، وذوق البرجوازية من سكان المدن .. لكن « **سازانامى ايوايا** Sazanami Iwaya » كسر هذا الاتجاه التقليدى ، وقدم ٣٢ مجلدا ضمت مجموعات من أدب الأطفال (١٨٩١ ــ١٨٩٤) وكان الجزء الأول منها فقط من أعماله أما الباقى فكان ترجمات أو حوارا نقلها من الآداب الأخرى ، وقد ركزت أغلبها على « الوطنية » والولاء لعرش الإمبراطور وما إلى ذلك . وفى عام ١٨٩٦ نشر ٢٤ جزءا من القصص الخرافى اليابانى ، وكان له روحه الخاص ومذاقه المتميز .. ومنذ ذلك الحين بدأ يصدر عشرات من الأعمال الشعبية والفلكولورية للأطفال ، ونسبة كبيرة منها حكايات ، وروايات ، ظهر فيها « المغزى » و « الهدف » جليًّا واضحاً .. ونشرت كل هذه الأعمال دار نشر تخصصت فى كتب الأطفال اسمها (**هاكوبنكان** Hakobunkan) وقد وصلت مطبوعاتها إلى كل الشباب فى اليابان ، فى حين ظهر من خلال هذه الأعمال أسماء كتّاب صغار ، على أنه تبقى الملاحظة بأن كتب الأطفال قد غمرت الأسواق مع بداية القرن العشرين .. وظهرت دوائر المعارف ، والمجلات والصحف اليومية والأسبوعية التى توزع بأرقام خيالية ، بينما ظلت تظهر كتب تعتمد على الترجمة من الغرب حتى عام ١٩٠٧ عندما بدأت وزارة التربية نظاماً يحفز على إنتاج أعمال محلية للأطفال ، وخصصت لذلك جوائز كبيرة .. وبلغ الاهتمام بأدب الأطفال ذروة عالية ما بين أعوام ١٩١٤ و ١٩٢٦ .. وكان المعلمون يطالبون بمادة جديدة مقروءة للأطفال ، وهكذا ظهرت كتب على ستةمستويات من المراحل السنية للأطفال ، وبدأ الاهتمام بالأغنيات الشعبية ونقيت ، لكى يحفظها الأطفال ، وتقدمت دراما الطفل .. وبدأت دور نشر جديدة تقتحم المجال

وبالذات **أكاى تورى** Akai Tori التى ظهرت عام ١٩١٨ (**اسم هذه الدار : الطائر الأحمر**) ، وقد أصدرت مجلة بهذا الاسم استمرت تصدر حتى عام ١٩٣٦ وكثير مما نشر فيها مازال يقرأ فى اليابان ، بل من الممكن أن يكون فى طريقه لأن يصبح من الكلاسيكيات .

وقد اعتمدت الدار على كاتبين : **سوزوكى – أوجاوا** .. الأول كان ينقل ويترجم فى حين مضى الثانى على طريق الإبداع حتى ألف ما يزيد على مائة قصة ، ليس بينها ماله أصل يابانى أو أجنبى .. وكان أدب الأطفال اليابانى خلال الحرب مع الصين (١٨٩٤ ــ ١٨٩٥) ، ومع روسيا (١٩٠٤ ــ ١٩٠٥) قد اتجه إلى الوطنيات وقصص البطولات ، ولم تظهر فيه الأفكار السياسية إلا ما بين أعوام ١٩٢٧ ــ ١٩٣٧ ، وزحفت إليه الروح العسكرية ، والمادية الجديدة ، وليس ذلك فى محتواه فقط بل فى شكله وأسلوب إنتاجه ، إذ صدر بأعداد رهيبة دون أدنى اهتمام بقيمته الفنية أو الأدبية ، وتدنت أسعاره لإغراء المشترين ، وحاول البعض مواجهة هذا التيار ، فظهرت كتب مرسومة بشكل جيد ، وكان أكثر المناضلين من أجل هذا الاتجاه كاتبة الأطفال (**موموكوإشى**) **Momoko Ishi**

وخلال سنوات الحرب كان لابد من عرض الكتب على وزارة الداخلية ، كما تقلص عدد الدوريات إلى ٢٦ ، إذ دفعوا بعدد كبير من الأطفال للعمل فى المصانع ، فلم يعد لديهم ، وقت للقراءة ، والكتب الصادرة فى هذه الفترة لا يمكن اعتبارها أدباً وإن كان المرء لا يعدم قصة هنا أو هناك لا تلح على الأهداف التى فرضوها على الكتّاب .. وقد استولت القوات الأمريكية على جمع كبير من هذه الكتب أودعتها مكتبة الكونجرس وقد سمح أخيراً بعمل دراسات عنها .

على أنه فيما قبل الحرب ظهر اتجاه إنسانى فى الكتابة عن الأطفال ولهم ، إذ ثبت للكثيرين أن أفكار التوسع والاستعمار قد باتت بالية ، وأنه لابد من نقل الأعمال العظيمة من الآداب الأخرى ، لذلك جلبوها وقدموها للأطفال فى جرعات ثقيلة ، وما زالوا يضيفون إليها الكثير .. وبعض هذه الأعمال ترجم

على عجل إلى درجة أنك لا تستطيع أن تتعرف عليه من الترجمة ، إذ اختلفت كثيراً عن الأصل .. ومع الأسف اجتمع مع هذا الاتجاه ظهور الكوميكس ، أو الشرائط المصورة ، والمجلات الرخيصة .. وهكذا اختفت الكتب الجديدة تحت ثقل هذه الهجمة الشرسة « للكوميكس » ، وكانت الولايات المتحدة هى الملومة إزاء هذا الاتجاه ، وإزاء التأثير السيئ لهذه الأعمال ، اعترفنا به أو لم نعترف ، وسواء كان هذا التأثير حقيقة واقعة ، أو مجرد تصور .. ويكفى أنه طرد العملة الجيدة ، وإن كانت القضية لم تحسم لا فى أمريكا ولا فى غيرها حول قضية الكوميكس ، إذ ما زال الجدل حولها مثاراً .. **والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : لماذا سمح للكوميكس بأن تنتشر على هذه الصورة فى الوقت الذى لم يكن يسمح للكلاسيكيات اليابانية بالظهور** ؟ !.. أيًّا كانت الإجابة ، وسواء كان المسئول عن ذلك الأمريكيين الذين سيؤدون العمل فى وزارة التربية ، أو الناشرين اليابانيين أنفسهم ، فالصحيح أن أدب الأطفال اليابانى كاد يختفى تحت وطاة هذه الأعمال الرديئة ، خاصة فى غيبة النقد الموضوعى . (ولعلنا ننظر إلى ما يحدث على الساحة العربية الآن بنفس الطريقة والأسلوب) .

وقد استغرقت اليابان عدة سنوات لكى تخرج من هذا المستنقع الذى أسقطتها فيه الظروف ، وبدأت تضع أقدامها على الطريق الصحيح .. وفى معرض ميونيخ الدولى التقيت بفريق عمل يابانى يقوم بدراسة و « تمشيط » كل ما فى المعرض من كتب للأطفال فى جميع لغات العالم ، ويعود فريق العمل إلى بلاده ليجلس معاً لمناقشة أيها يترجم ، وقبل أن يمر العام تكون أفضل كتب الأطفال فى الدنيا قد نقلت إلى اللغة اليابانية وتنشرها دور النشر ..

* **كودانشا**	* **كايذيشا**	* **فيوكينكان شوتن**
Codansha	**Kaiseishe**	**Fukuinkan Shoten**

وقد بدأت تنشرها فى سطور أفقية – مثلما تكتب أغلب لغات الدنيا – بدلا من السطور الرأسية ، وواضح أن الأطفال بدءوا يفضلون الطريقة الجديدة ..

وإذا رجعنا إلى الإحصائيات نجد عدد الكتب الجديدة فى اليابان فى أواخر السبعينات وبداية الثمانينات وصل إلى ٢٤ ألف كتاب ، بلغت مبيعاتها قرابة ٦٠٠ بليون نسخة ،وصل ثمنها إلى ما يقارب ثلاثة الآف مليون دولار أمريكى ، وهو يرتفع بنسبة سنوية تصل إلى نحو ١٠٪ .. وعدد الناشرين فى اليابان يصل إلى نحو ثلاثة آلاف ناشر ، ومع ذلك فإن ٩٠٪ من الكتب المنشورة فى اليابان يصدرها « اتحاد ناشرى الكتب » ، وهو يضم ما لا يزيد على عشرة بالمائة من دور النشر القائمة .. وقد سجلت كتب الأطفال ارتفاعاً كبيراً فى السنوات الأخيرة . حتى لقد وصل عددها فى نفس الفترة إلى نحو ألفى عنوان جديد ، فى حين انخفضت الكتب المدرسية إلى قرابة النصف ، بعد أن كانت ٨٣٦ عنواناً يطبع منها بليون نسخة ، والمعدل الجديد هو الطبيعى .. وزادت كتب الأطفال التى تصدر بدون غلاف مقوى بنسبة ٣٠٪ ، واتحاد بائعى الكتب يجرون بالجملة تخفيضات كبيرة فى أسعارها ، الأمر الذى ييسر توزيع عدد كبير منها تصل نسبته إلى ٧٠٪ من الكتب المطبوعة ، والباقى يتم توزيعه عن طريق الباعة ..

والمرء يرى على رفوف مكتبات كتب الأطفال فى اليابان مئات الكتب المترجمة ، وكلها من بلاد لها تاريخ عريق فى مجال أدب الأطفال ، مثل : إنجلترا ، والولايات المتحدة ، وألمانيا ، وفرنسا ، والدانمرك ، وروسيا ، وايطاليا وأسبانيا ، والدول الإسكندنافية . ومن دول شرق أوربا أيضاً مثل : بولندا ، وتشيكوسلوفاكيا . وهذا يعطى الأطفال فرصة للتعرف على العالم الخارجى ، والمترجمون يحصلون على نسبة مئوية من سعر الغلاف ، الأمر الذى يجعل عدداً كبيراً من الناس يقبلون على الترجمة . ومبيعات المترجمات تزيد على مبيعات الكتب الوطنية ..

وقد انتشرت الكتب المصورة اليابانية فى السنوات الأخيرة فى جميع أنحاء العالم فنراها فى المكتبات العامة ، والمكتبات المدرسية ،وحوانيت بيع الكتب ،وكان هذا حافزا للناشرين على تجويد هذا النوع من الكتب واستخدام

أحدث أساليب التكنولوجيا فى طباعتها وإخراجها ، ولليابان تراث عريق فى مجال الكتب المصورة .. والفنان الرسام يتعامل مع هذه الكتب من منطلق التراث والمعاصرة ، لذلك سجلت الكتب اليابانية المصورة نجاحات كبيرة ، وشهرة عريضة ، عالميا . ولفتت الأنظار إلى الفنانين الذين يرسمونها ، وأبدى النقاد اهتماماً كبيرا بها ، وحاز أصحابها جوائز عالمية ، واستخدم كثيرون منهم لرسم كتب بلغات أخرى ..

واليابان ـــ مثل بقية دول العالم ـــ تأثرت كتبها للأطفال بالنظريات التربوية السائدة ، وبالمشكلات العالمية ، ومشكلات المجتمع المحلى ، لذلك نجد المؤلفين مقيدين بالكثير ، وبالذات بالعوامل التجارية التى تحكم أسواق الكتب عامة ، وكتب الأطفال خاصة ، وبرغم ذلك فهناك عدد من الكتاب اليابانيين فى استطاعتهم أن يمتعوا الأطفال بكتاباتهم .

وهناك كتب أطفال تجاوزت حدود الجزر اليابانية ولقيت صدى عالميا طيبا ، مما جعل أسماء مؤلفيها تتردد هنا وهناك .. **من بين هذه الأسماء ميتسوماسا آنوه** Mitsumasa Anno وكتابة الشهير : « **كتاب آنو للعد** » ألفه ورسمه بدون كلمة واحدة مكتوبة ، اعتمادا على الرسوم ، ونشر عام ١٩٧٥ وفاز بجائزة أكاديمية العلوم فى نيويورك وبجائزة هورن بوك فى بوسطن .. وله قصة تحمل عنوان « **من دق الجرس** » عن بيت صغير أبيض يقف وحيدا وسط الغابة وقد غطاه الثلج ، ويدق الأرنب الباب ويأتى من ورائه صوت رقيق يسأل : من دق الجرس ؟! .. وله كتاب « **فى أرض الظلال** » صدر عام ١٩٧٦ ، و « **الرحلة** » صدر عام ١٩٧٧ ..

وهناك قصة كتبها **سيكييوكى اينانيشى** Sukuyuki Inanishi عنوانها « **جزيرة الأزهار البيضاء** » ، صدرت عام ١٩٧٧ برسوم مؤلفها ، وتحكى عن شاب اشترى حلما من صديق له ، وعاش سعيدا لأنه يعتقد أن هذا « الحلم » حقيقة وهو يسعى فى دأب شديد لكى يجعل منه واقعا ..

وكتب **كيوكوايوزاكـــى** Kyoko Ewasaki قصة « العصفـــور مكسورالرجل » ، وقد أنقذته سيدة عجوز من الخطر فمنحها بذورا سحرية منحتها سعادة متجددة .. وقد نشرت عام ١٩٧٨ ، وهى تذكرنا بقصة **شجيرة الريحان** ، وفيها ينقذ السلطان الأموى حمامة عششت فى بهو قصره من ثعبان تهددها فأهدته بذور الريحان الذى عطر دمشق الفيحاء ، والقصة واحدة من القصص الفائزة بجائزة الدولة عام ١٩٧٥ فى مصر .

وتحكى قصة « **راينتارو** » **Raintaro** حكاية ولد صغير غريب فى قرية وجده أطفالها بين الأحجار فى حوض نهر جف ماؤه .. وكان الولد يبكى ، فضايقه الأطفال وسخروا منه ، لكن امرأة بلا أطفال احتضنته وعطفت عليه ، وتبنته .. ولما كان هذا الولد يبكى لأقل الأشياء أطلقوا عليه هذا الاسم المشتق من كلمة مطر أو « رين » باللغة الإنجليزية .. وحاول الولد يوما وقد حل الجفاف أن يصعد إلى السماء ليأتى بالماء للسيدة التى تبنته ، وإذا بالمطر يتساقط بشدة ، إذ كان الولد فى حقيقته ينتمى إلى عالم آخر ، وقد عاد بذلك إلى بيته الأصلى .. وفاز هذا الكتاب بجائزة من النمسا ، وهو مكتوب لأطفال ما قبل السادسة ومؤلفه اسمه : **توشيكوكانزاوا** Toshiko Kanzawa وهناك حكاية « **القرية التى لا يصيبها الرعد أبدا** » وهى تبين كيف أن الرعد كان يتسبب فى إفزاع أهلها وأطفالها وحيواناتها إلى أن قرر طفل صغير أن يصعد إلى حيث الرعد ، ليحول بينه وبين النزول إلى القرية .. وقد صدرت القصة عام ١٩٧٧ للكاتب **سيتسكوميهاشى** . Setsuko Mihashi

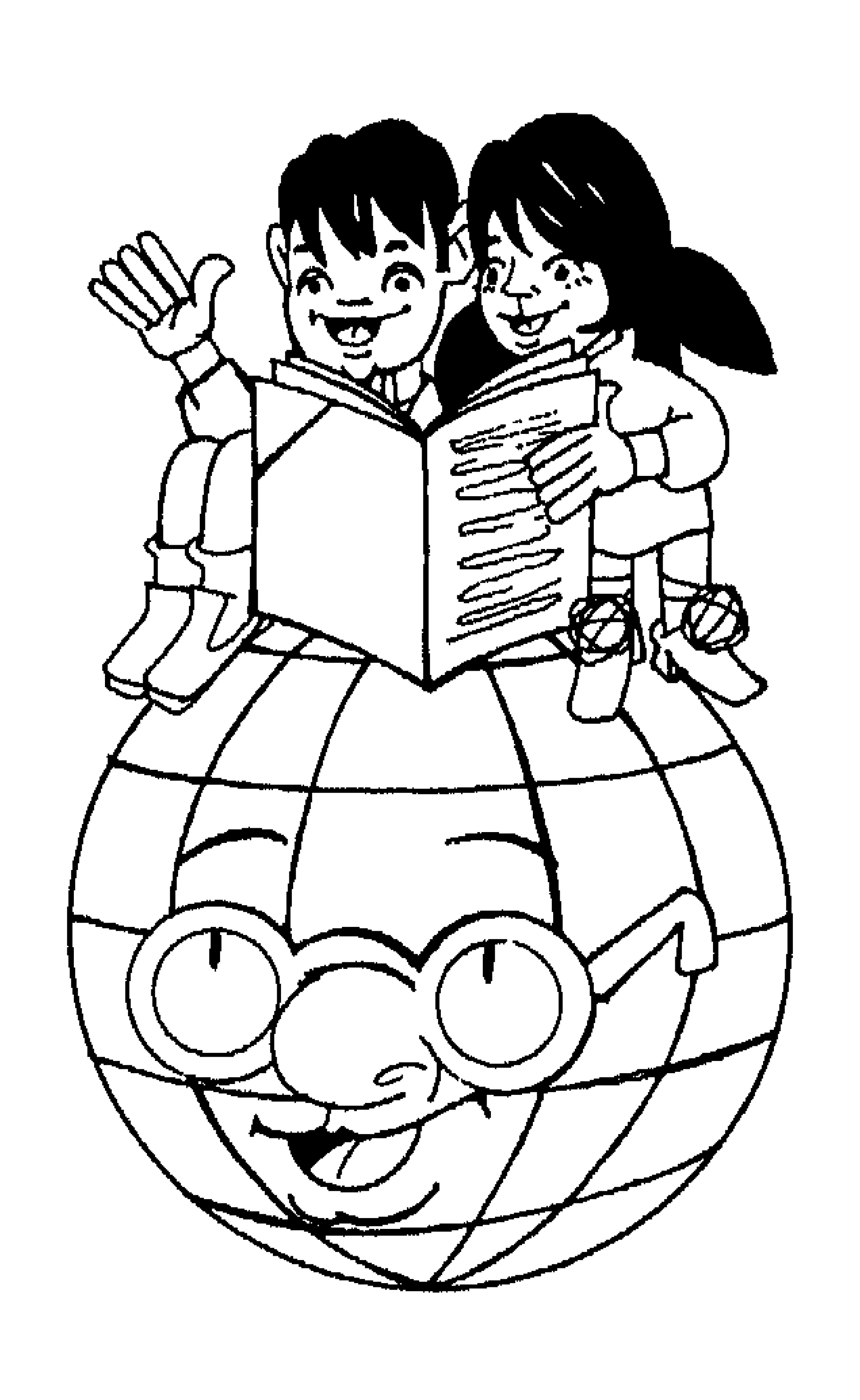
وقصة « **الثوب السحرى** » تتحدث عن أرنبة صغيرة صنعت لنفسها ثوبا جميلا أبيض ، لبسته ومضت به إلى حوض زهور ، فأخذ منها بعض أشكالها وألوانها ، ثم نزل المطر فأخذ منه منظر قطراته ، وهكذا ظل الثوب يتشكل ويتلون بصورة رائعة وساحرة .

وهناك سلسلة من ثلاثة كتب عن السعادة عنوانها : **الكتاب السعيد**،الأول منها « **مرحبا بك فى الحفلة السعيدة** » والثانى « **الأرض السعيدة** » التى هى

فى قلبك ، والثالث : « **تعال إلى المدرسة السعيدة** » .. والسلسلة للأطفال مابين ٧ ، ١٨ سنة ! ، وصدر عام ١٩٧٩ برسوم **مؤلفه سيزوتاشيما** Sezo Tashima ونامت « فوكثان » الفتاه الريفية ـــ ذات ليلة صيف .. بجوار نباتات برية على جانب من التل ورأت فى حلمها الرائع أنها مجرد بذرة مدفونة فى الأرض ، وشهدت هذا العالم الخفى العميق ، ومنه أدركت الكثير من حقائق الحياة ، ولم تنس عمرها كله مدى دفء أمنا الأرض .. وصدرت هذه القصة عام ١٩٧٣ لسن ما فوق الخامسة للكاتب سيزو تاشيما Seizo Tashima .

وصدر عام ١٩٧٨ كتاب (**الكون**) وهو كتاب علمى لمن هم فوق السابعة كتبه ورسمه **ساتوشى كاكو** Satoshi Kako والكتاب فى قسمين ، الأول يحكى عن إنجازات الإنسان فى اكتساب السرعة ، وقطع المسافات الطويلة فى أقصر وقت ، وفى التغلب على الجاذبية .. والقسم الثانى عبارة عن اكتشاف الكون بكواكبه ونجومه ..

وهذه النماذج من الأدب اليابانى أوردناها لكى يتعرف القارئ على اتجاهات الكتاب وأفكارهم والموضوعات التى يعالجونها ، وأسلوب تناولهم لها ، إذ أننا فى الواقع لم نترجم الكثير أو القليل ـــ من الأدب اليابانى ، وإن كانت دار المعارف قد قدمت « **أساطير يابانية** » منذ سنوات بعيدة ، لكننا لم نتذوق أدبهم المعاصر ، ونتطلع يوما أن نجد بعضا من كتبهم فى أيدى الأطفال فى مصر والوطن العربى .



كتب الأطفال
فى
الصين

أشرنا فى دراسة سابقة إلى تجربة الصين فى مجال « مكتبات الأطفال العامة » ورأينا أنها تجربة فريدة ومثيرة وتستحق الاهتمام .. إذ أننا أمام بلد ليس ثريا ـــ ليس فى ثراء أمريكا مثلا .. لكنه يفكر فى أطفاله بشكل دائم ، ومستمر ، وبناء .. إنهم يدركون أن القراءة واحدة من الأسس الضرورية لبناء حياة الإنسان وعقله ، لذلك فإن التدريب عليها يجب أن يبدأ فى سن مبكرة . وهم لا يريدون أن يثقلوا كاهل الأسرة والطفل بنفقات القراءة وشراء الكتب ، ويحسون أن الدولة يجب أن تتحمل عنهم هذا العبء فما كان من الدولة فى الصين إلا أن خصصت ناصية الطابق الأرضى فى كل بناء يُقام فى شارع رئيسى لكى تنشئ فيه مكتبة بسيطة للأطفال (لتبسيط الصورة أصبحت مكتبات الأطفال العامة هناك مثل المجمعات الاستهلاكية للسلع التموينية والغذائية فى بلادنا) والمكتبة لا تتجاوز عدة رفوف فى طابقين ، ارتفاعهما لا يتجاوز كثيرا طابقا واحدا من البيت ، كل طابق لمرحلة عمرية : الأعلى للسن الأكبر ، والأسفل للسن الصغيرة ، حتى يعفوهم من صعود السلم .. وتمتلئ الرفوف بالكتب الجميلة الملونة ، وما على الطفل إلا أن يدخل ليسحب الكتاب من فوق الرف ليجلس أينما يشاء ، بل قد يرقد على الأرض ليقرأ .. وبعد أن ينتهى من القراءة له

أن يعيد الكتاب وينصرف .. فى حين تجلس أو تقف أمينة المكتبة لتعين الرواد الصغار على اختيار ما يرغبون فيه من كتب .. وفى بكين وحدها من هذا اللون من المكتبات ما يزيد على خمسمائة مكتبة عامة تكتظ بالرواد فى غير أوقات الدراسة بالطبع .. والمدن الكبرى تحاول منافسة بكين فى عدد مكتباتها التى تعد السبيل الأمثل لرواج كتب الأطفال وزيادة نسبة توزيعها والإفادة منها بأكبر قدر .. وما من شرط لارتياد الأطفال لمكتبتهم اللهم إلا نظافة الأيدى واحترام حقوق الآخرين فى الاستمتاع بالقراءة .. ودور المكتبة هنا لا يقل مطلقا عن دور المدرسة .. بل ربما تجاوزتها ، فالطفل هنا يتم تدريبه على تعليم نفسه وتثقيفها ، وتصبح هذه عادة تلازمه العمر كله .. وهذه المكتبات تحل مشكلة أخرى بالغة التعقيد ، هى مشكلة توزيع الكتاب وتسويقه ، إنها المشترى والمستهلك الحقيقى للكتاب ، والدولة كناشر ـــ ليست فى حاجة ماسة إلى مشترين للكتاب ، لأن هذه المكتبات تعوض بالكامل ما أنفق على الكتب تأليفا ورسما ونشرا .. وعائد الكتاب ـــ كسلعة ـــ يهمنا معنويا وأدبيا « أما ماديا فهو هنا يختلف عن بقية السلع ، ولاضير فى أن ـــ تتحمل الدولة كل نفقاته ـــ كالتعليم ـــ لأنه يرجع عليها بفائدة كبيرة حين يشارك فى تنوير العقول » ..

وليتنا ـــ كالصين ـــ نعتبر كتاب الطفل خارج المدرسة جزءًا لا يتجزأ من التعليم يكمل دورها داخل حجرات الدراسة ، فما عاد المنج الدراسى كافيا لأبنائنا ، ولابد من ربط التعليم المنهجى ، بالثقافة اللامنهجية التى يحصلها الطفل بعد يومه الدراسى القصير ..

ولقد عانت الصين كما عانينا من مشكلات التعليم ، حتى أنها فى عام ١٩١١ لم تكن لديها مدارس عامة للأطفال ، وكانت قراءات الأطفال مقصورةعلى أبناء الطبقات الغنية أو أولئك الذين يجدون فرصة للذهاب إلى مدارس البعثات التبشيرية .. وربما تشارك بعض العائلات فيما يمكن أن يسمى مدرسة ، وترسل كل أسرة طفلها النابه إلى هذه المدرسة التى تختلف كثيرا عن مفهومنا الحاضر للمدرسة ، فالنجاح فيها يعتمد على جهد الطفل وحده فى « الحفظ » اعتمادا على

الذاكرة إلى أن يصبح الصغير قادرا على الكتابة وبذلك يلتحق بوظيفة مدنية .. وبعد الثورة ، كانت ندرة المعلمين هي السبب في قلة عدد المدارس ، وكانت مشكلة المشاكل للثورة عندما قامت بتدبير مدارس لما يزيد على ٧٠ مليون طفل لم يتلقوا تعليما على الإطلاق ، أو تلقوا ذلك التعليم البالغ التواضع ..

لكن ذلك لا يعني أن الأطفال في الصين خلت حياتهم من « الأدب » فقد استعاضوا عن المدرسة بالحكايات الشعبية الشفاهية ، وأغلب أبطالها من الشخصيات الشعبية التي لقيت شهرة كبيرة في طول البلاد وعرضها ، ومن بينها شخصية هسيوون شانج ، وهو يشبه جحا في كثير من ملامحه، بجانب شخصيات عاد بها رحالة زاروا الهند ، وامتزجت حكاياتهم بالفولكلور الصيني ،خاصة مغامرات الخارجين على الفائدة التي سجلت في القرن الثاني عشر تحت عنوان (**مغامرات الفرسان الثمانية**) .. وقد أعيدت صياغة الكثير من هذه الأعمال بأسلوب جديد وفي شكل عصري فيما بعد .. كما استفادوا منها بتقديمها بواسطة الرواة المحترفين في مسرح خيال الظل .. ثم أضيفت إلى هذه الأعمال بعض القصص الخيالي حول البوذية .. وهي في جزأين ، كل منهما يحتوي على ٢٤ قصة .. بجانب شيء قريب من رحلات جاليفر عنوانه (**رحلات لي يوشن**) Liyuchin .

على أن النهضة الأدبية في الصين لم تبدأ إلا في عام ١٩١٧ حين استخدمت اللغة الصينية الجديدة أساسا للتعليم والكتابة والقراءة .. لذلك لم يظهر أدب حقيقي في الصين إلا في القرن العشرين ، وقد ظهرت شخصية ليوهوسن Luhsun (١٨٨١ — ١٩٣٦) ، وهو يشبه جوركي فيما يتعلق بأدب الأطفال في الاتحاد السوفيتي .. وقد بدأ يترجم جول فيرن أثناء دراسته في اليابان ، وعندما عاد إلى بلاده ارتبط بحركه **صن يات صن** Sun yat - sen وانضم للحزب الشيوعي عام ١٩١١ ، وفي السنة التالية مباشرة عين عضوا في لجنة التعليم وبدأ يكتب مقالات عن فشل الأساليب القديمة في التربية مبشرا

بنظريات حديثة لتحل محلها ، كما راح يواصل ترجماته ، وكتابة قصصه الأولى للأطفال .. وفى سنواته الأخيرة أبدى اهتماما غير عادى بالقصص الخيالى ، الصينى والأجنبى ، وجمع عددا كبيرا من القصص الشعبى من مصادر قديمة (من سنة ٦٠٠ إلى ١٠٠٤ م) وترجم بعض القصص عن الروسية ، وعن لغات أجنبية أخرى .. ولم تشتهر أفكاره عن أدب الأطفال فى حياته ، لكنه بعد وفاته اعتبر عام ١٩٥٠ المنظِّر الأول بالنسبة لأدب الأطفال والتعليم اللغوى .. وكانت نظرياته تدين الكتاب المدرسى وترى أن تأثيره بالغ السوءعلى التلاميذ ، لأنه فقير فى مادته ورسومه وإخراجه وطباعته .. ورأى ضرورة أن تكون على أعلى مستوى ، وراح يقارن مالدى أطفال الصين بما بين أيدى أطفال الدول المتقدمة من كتب ولعب ، وكان يراها تعلمهم كل شيء حتى الأسلحة والحرب .. وهو يؤمن بالقصص الشعبى التراثى ، إلا أنه يعتقد أنه شديد الشبه بطعام العلب المحفوظة التى لا يمكن الاعتماد عليها دائما ، وبالكامل .. لابد من شيء طازج ، حديث ، جديد .. لكى نشبع احتياجات الأطفال من الغذاء للمعدة والعقل .. لذلك رأى ضرورة نقل الكلاسيكيات العالمية إلى اللغة الصينية ، شريطة ألا تكون هذه الأعمال لونا من الغزو الفكرى .. وكانت اللغة الشاعرية جنبا إلى جنب القصص الفولكلورى الذى يعكس حكمة الصين ، وصراع الإنسان من أجل نمو أفضل ، خير ما يمكن أن يعطى لطفل فى تلك المرحلة من عمره ..

وقد ظهر « **ين يانج شو** » الذى عرف فى الغرب باسم « **جيمس ين** » ، كمربٍ .. وقد أرسل فى بعثة إلى أوربا فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، وبدأ بعد عودته حملة ضد الأمية ، كما ابتكر وسيلة أيسر وأسهل للكتابة الصينية البالغة التعقيد .. ومع أن عمله كان فى تعليم الكبار .. غير أن برنامجه امتدَّ لمساعدة الأطفال .. لكن جهوده توقفت مع الأسف مع الغزو اليابانى للصين عام ١٩٣٧ .. وكانت قد ظهرت مع العشرينات حركة لتنظم المكتبات العامة للأطفال تقليدا لما يجرى فى الغرب ، وتم تدريب بعض العاملين على التعامل مع

القراء الصغار .. كما ظهر اتجاه للاهتمام بأغانى أطفال ما قبل المدرسة ، وجمع المهتمون من جامعة بكين بعضا من هذه الأغنيات ونشروها وهى تضم أغنيات مرحة ، شبيهة بما نشر فى أوربا (**مازر جوس**) .. أو (**الأم أوزة**) ..

وهذا العرض التاريخى يستهدف إثبات أن ما حدث فى الصين بعد عام ١٩٤٩ من قفزة كبيرة فى مجال كتب الأطفال لم ينشأ من فراغ ، ولقد قلدت الصين تجربة الاتحاد السوفيتى ، فأصدرت كمًّا رهيبا من الأعمال للأطفال .. وهذا التراكم الكمى أثمر نجاحا كيفيا ، خاصة أن الأهداف معلنة ، والطريق واضح .. وإن كان الكثير قد شاب هذا الأدب فى البداية ، إذ تحول إلى هتاف سياسى ، إلا أنهم رويدا رويداً تخلصوا من هذا الأسلوب ، واختطوا طريقا جديدا ، استطاعوا من خلاله أن يقدموا أدبا حقيقيًّا للأطفال ، وحكمنا عليه ليس عشوائيا ، أومن خلال كلامهم ، بل من منطلق قراءة ما قدمته « دار النشر باللغات الأجنبية فى بكين » ، وقد صدر عنها الكثير من كتب الأطفال بالإنجليزية .. وبعضها متواضع المظهر ، لكنه جيد الجوهر ، بل وقد ظهرت أعمال بالعربية مثل حكايات (**يه ننغ تاو**) المختارة وتضم تسع قصص غاية فى الجمال ..

وكتب الأطفال ــ شأنها شأن محو الأمية فى الصين ــ دليل قاطع على ما قطعته الصين على طريق التقدم .. ولسنا بحاجة إلى إيراد أرقام الكتب الصادرة للأطفال لأننا أمام أرقام فلكية يصعب إدراكها ، وعلينا بين الحين والآخر أن نذكر بأننا أمام شعب يكون نحو ثلث سكان الكرة الأرضية ، وأنه بدأ انطلاقته فى النصف الثانى من القرن العشرين ، ومن هنا يجب أن ننظر إلى تجربته ــ التى لم يتجاوز عمرها ثلث القرن وفق ظرفه الخاص ، ومقارنته بالاتحاد السوفيتى ، أو أمريكا ، أو اليابان ، فيها الكثير من الظلم له ، كما أننا لا نستطيع فى مجال كتب الأطفال أن نضعه مع الدول النامية ، حيث نمت قدراته ، وازدهرت ، وأصبح لدى الأطفال مادة قرائية جيدة ، وغزيرة .. كما أنهم بدءوا بالانفتاح على العالم يأخذون عنه ويعطونه ..

والترجمة تسير بشكل سريع من لغتهم وإليها ، الأمر الذى يؤكد أنهم خلال فترة قصيرة سوف يصلون إلى المعدل الكمى لكتب الأطفال فى الدول المتقدمة ، ومحاولاتهم الدءوبة لتضفير التراث مع المعاصرة ، وفى إطار الفكر الذى يعتنقونه ، يجعل من هذه الكتب شيئا يستحق الاهتمام به ، والالتفات إليه ، وهم مشكورون يعينونا على ذلك بما يترجمونه ويضعونه بين أيدينا من أدب جاد للطفل ، يبنيه ويمتعه ويعينه على تكوين نفسه ، ويربطه ببلده وبعالمه .



كتب الأطفال فى المجر

استجابت جمهورية المجر الشعبية لدعوتنا بالمشاركة فى الحلقة الدراسية التى تعقدها الهيئة المصرية العامة للكتاب (ممثلة فى مركز تنمية الكتاب) حول كتب الأطفال فى الدول المتقدمة .. وتقديرا منا لهذه الاستجابة المشكورة رأينا أن نلحق هذه الورقة بالدراسة الاستطلاعية حول كتب الأطفال

فى الدول المتقدمة ، إذ كنا قد اكتفينا بعرض الموقف فى الاتحاد السوفيتى كرائد ، ونموذج لما يجرى فى بلدان الكتلة الشرقية ، ونود أن نشير هنا إلى أن الكثير مما يرد فى هذه الورقة مصدره ذلك التقرير الذى قدمته المجر إلى معرض فرانكفورت الدولى ، بمناسبة العام الدولى للطفل سنه ١٩٧٩ ــ بجانب قوائم كتب الأطفال التى صدرت حديثا ، وعلى وجة التحديد خلال العامين الماضيين (١٩٨٢ ــ ١٩٨٣) ، من أجل أن نواكب ما يجرى على الساحة فى هذا المجال .

منذ عام ١٩٤٥ ــ أى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ــ وإلى أن احتفل العالم بالعام الدولى للطفل سنه ١٩٧٩ ، أصدرت المجر ٦٠٠٠ (ستة آلاف) عمل للأطفال من بينها (٤٠٠٠) أربعة آلاف عمل لكتاب مجريين ، والباقى وهو (٢٠٠٠) عمل من المترجمات عن اللغات الأجنبية (عدد سكان المجر نحو ١١ مليوناً ربعهم أطفال) والشىء المميز لهذا اللون من الأدب تضاعف عدد النسخ المطبوعة عدة مرات عن سنوات ما قبل الحرب ، وتصل عدد النسخ المطبوعة للكتّاب المجريين إلى (١٠٠) مائة مليون نسخة من بين (٢٠٠) مائتى مليون نسخة مطبوعة للأطفال . وفى السنوات التى تلت الحرب مباشرة كان يصدر فى العام (١٠٠) مائة كتاب فقط أما فى العشرين عاما الماضية فقد ارتفع عددها من (٢٠٠ ــ ٢٦٠) عملا ، سنويا .. وكانت النسخ المطبوعة فى البداية (٥٠٠٫٠٠٠) خمسمائة ألف وصلت إلى (٧٫٣٠٠٫٠٠٠) سبعة ملايين وثلاثمائة ألف نسخة فى خمس سنوات .. ويزيد هذا الرقم على عشرة ملايين سنويا .. وقد كان عدد المطبوع من كل عنوان جديد يبلغ (٢١) واحداً وعشرين ألف نسخة ، ولكنة لم يزد على (٣٠) ثلاثين ألف نسخة فى السنوات الأخيرة .. وقد بلغ عدد الكتب

المطبوعة للأطفال عام ١٩٧٧ من مؤلفات الكتاب المجريين مليوناً ونصف المليون من النسخ تمثل (٤٠٠) أربعمائة عمل .. وهناك نصف مليون نسخة للأطفال تصدر باللغات الأجنبية ..

وأغلب هذه الأعمال تتجة إلى الأعمار من ٤ ـــ ١٦ سنة ، بمعدل يتراوح بين مائة وخمسين ، ومائة وستين كتابا سنويًّا ، ولذلك ظهرت فى الثلاثين عاما الماضية نحو (٣٥٠٠) ثلاثة آلاف وخمسمائه من الكتب الخاصة بالمرحلة الابتدائية ، وهى تمثل نحو ٥٥٪ من الكتب الصادرة للأطفال والشباب الصغير فى المجر ، وهى تمثل نحو ثلثى عدد النسخ الصادرة لكل الأطفال .

وتصدر لدور الحضانة ورياض الأطفال كتب يتراوح عددها سنويا مابين (٧٠ ـــ ٩٠) سبعين إلى تسعين كتابا ، أغلبها كتب مصورة وحكايات خيالية .. وهكذا نرى أن أغلب ما يصدر يقدم للعمر الأكبر كمادة قرائية تجتذب من يسمونهم الشباب الصغير الذى يزيد عمره على (١٤) أربعة عشر عاماً ، والكثير من له سمته العلمية ويقبل عليه الكبار أيضا .

وإذا تحدثنا عن السنوات الماضية منذ الحرب ، وجعلنا من كل خمس سنوات مرحلة مستقلة ، فإننا سوف نجد أن هناك مابين (٦٠ ـــ ٧٠) ستين إلى سبعين كتابا مترجما ، عن اللغات الأجنبية ، ويرتفع هذا الرقم إلى مائة كتاب فى الأعوام الأخيرة ، فى حين تجاوز هذا الرقم المائة والخمسين كتابا فى الثمانينات .. وسنويا يمكن القول أن هناك « ٢ مليون » مليونَىْ نسخة ، لمؤلفين أجانب ، وضعت بين أيدى الأطفال بلغتهم ، ويستطيع قراءتها أطفال مابين السادسة والرابعة عشرة ، والطريف أن من بينها قرابة (٣٠٠ر٠٠٠) ثلاثمائة ألف لكتاب أمريكيين و (٢٥٦ر٠٠٠) مائتين وستة وخمسين ألفاً

لكتاب ألمان ، و (١٨٤٫٠٠٠) مائة وأربعة وثمانين ألفاً لكتاب سوفيت ، والباقى لكتاب من شتى أنحاء العالم . وقد زاد عدد الكتب المترجمة إلى اللغة المجرية أكثر من مرة ونصف ، وبالذات الكتب الأمريكية التى تمثل أعلى نسبة وتأتى بعدها الترجمات من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

وهذا التقدم المذهل ، الذى لابد أن يثير عدة تساؤلات ولابد أن يدفعنا إلى التنقيب عن تاريخ أدب الأطفال وبداياتة فى المجر ، وسوف يزيدنا ذلك دهشة ..

فإن كتب الأطفال قد ظهرت فى المجر عام ١٩٢٨ على يد « **استيفان سزماك** » . **Jstvan Szemak**

وفى عام ١٩٣٤ على يد **P aidreschev** (ظهرت كتب كامل كيلانى قبل هذا التاريخ) وقد بذل **Gyuia Ortuay** مجهودا كبيرا فى مجال الحكايات الشعبية .. ومن الأعمال الأدبية الخاصة بالأطفال التى استطاعت أن تعبر الحدود لتصبح أدبا عالميا قصة : **The pavt street Boys by Fevenc Moinav**

.. أما الأعمال الحديثة فالكثير منها لقى الاهتمام والرواج بعد ترجمته إلى العديد من اللغات العالمية . وهناك ١٩ داراً لنشر الكتب فى المجر ، وأربع مؤسسات للبيع والتوزيع ، وأغلب كتب الأطفال تصدرها دار Mora Ferenc وهى تصدرها لكل الأعمار من الرياض إلى الشباب .. وهناك كتب تدور حول البرامج التى تقدمها الإذاعة والتليفزيون ، وتأخذ عنها وتصدرها دار Minevva Konyvkiad وهناك دار نشر ثالثة تصدر كتب الأطفال المدرسية المقررة . وتصدر دار Corvina press الكتب الخاصة بالأطفال فى اللغات الأجنبية ، وكتب النشر المشترك .. وهناك وكالة متخصصة فى شئون حقوق النشر ، والمعلومات ، والمؤلفين ، وهى دار .Artisjus

وهذه طائفة من عناوين الكتب ، لعل لها دلالات ، من اليسير على القارئ



لها أن يتبين منها بعض الاتجاهات السائدة بين المؤلفين والكتاب .. ونبدأ بمجموعات قصصية للسن الصغيرة ..

« **إنى أقول أسرارى لأصابعى** » ، « **فراشة فوق الآلة الكاتبة** » ، « **المقص الذهبى الذى يقول الصدق** » ، « **إنى مستعد للمدرسة الآن** » (دور الحضانة) ، « **الحورية ذات الأنف الذهبى** » ، أما كتب المعرفة والمعلومات فهى ظريفة ، محببة .. ومن بينها ..

« **منذ متى بدأت المدرسة ؟** » وفيه يحكون قصة التعليم منذ مصر القديمة إلى مشارف القرن ٢١ .. « **كيف يعيشون ، كيف يرحلون** » .. وهى سلسلة عن عالمنا وشعوبه والرحلات العالمية حولة .. « **السفن القديمة الطابع** » « **العربات القديمة الطابع** » كتب عن وسائل المواصلات .. « **صغير أم كبير** » « **يمين أم شمال** » « **ساخن أو بارد** » هى كتب بدون كلام للحضانة والرياض .

وفى يقيننا أن بات من الضرورى ترجمة بعض الأعمال المجرية إلى اللغة العربية ، خاصة الكلاسيكيات التى قرأها الأطفال جيلا بعد جيل ، بجانب بعض الأعمال المعاصرة ..

ومن الضرورى أيضا ترجمة بعض أعمالنا العربية وقصصنا للأطفال إلى اللغة المجرية من أجل التعرف على أدبنا وحياة أطفالنا .. وتحية لكتاب الأطفال فى المجر ، وناشرى كتبهم ، وإلى الأطفال أنفسهم .

القسم الثالث

المكتبة الدولية للأطفال والشباب

فى ميونيخ ومعرضها السنوى

كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر

كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر
كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر
كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر
لأطفال فى عالمنا المعاصر
كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر
كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر

أتيحت لى ـــ فرصة زيارة المكتبة الدولية للأطفال I Y L فى ميونيخ ، وحضور معرضها السنوى ، الذى يعقد فى أواخر نوفمبر إلى أواخر ديسمبر ، وقد رأيت أن أنقل إلى الهيئات المعنية فى وطننا العربى عامة ، وفى مصر خاصة ، وإلى العاملين فى مجال كتب الأطفال من مؤلفين ، ومترجمين ، وناشرين .. ما يجرى على المستوى العالمى من أجل الأخذ بيد كتبنا للأطفال ، وضرورة التعاون والتآزر لكى تخرج فى إطار يليق بنا .. ومن الضرورى مواكبة التيارات العالمية ، ومسايرتها ، لأن التخلف عن العصرية يضيرنا كثيرا .. وقد تأكد لى أن مسافة شاسعة تفصل بيننا وبين الدول المتقدمه فى هذا المجال ، وعلينا أن نبذل جهودا مضاعفة للحاق بها ..

المكتبة الدولية للشباب والأطفال

I . Y . L .

أُنشئت عام ١٩٤٨ ، بواسطة جيلا **ليمان** ـــ بالاشتراك مع هيئة اليونسكو وهى المكتبة العالمية الوحيدة التى تخصصت فى كتب الأطفال والشباب ، وقد وصل عدد كتبها عام ١٩٧٩ إلى نحو ٣٤٣٠٠٠ كتاب فى ١١٠ لغات ، وهناك زيادة سنوية فى عدد الكتب تصل إلى ١٢ ألف كتاب .. ولديها ١٦٠ ألف كتاب مخصصة من أجل الاستعارة العالمية و ٥٠ ألف مرجع عن أدب الأطفال والشباب و ١٠ آلاف كتاب أطفال مسموح باستعارتها ، وقد أهداها اليونسكو ٢٨ ألف كتاب من مكتبه الدولى للتربية فى جنيف ، كما اقتنت المكتبة الكثير ، وأصبح لديها ٥٠ ألف كتاب نشرت قبل عام ٤٥ .

ولدى المكتبة قوائم كثيرة تضم : المؤلفين . والرسامين . و عناوين الكتب . و قوائم الكتب الصادرة عن البلدان المختلفة ، حتى لقد صدرت قائمة فى ١٨ جزءا (**دار هال فى بوسطن**) .. كما أنها تصدر قائمة (**كتب الأطفال الفائزة بالجوائز**) و (**أفضل الأفضل**) باللغتين الإنجليزية والألمانية وتصدر قائمة سنوية ، وتقريرا كل عام ، وبرنامجا فصليا (كل ثلاثة شهور) .. كل هذا إلى جوار اقتناء المكتبة لمجموعة ضخمة من المخطوطات والصور وشرائط التسجيل وبعض الأشياء التى تخلد ذكرى رواد أدب الأطفال ـــ والمؤلفين والرسامين .

والمكتبة الدولية تخدم فى العادة ثلاثة اتجاهات .. أو مجموعات .. هى ..

● الأساتذة والطلاب الذين يدرسون الأدب والتعليم وعلم النفس ، وعلم الاجتماع والفن الشعبى واللغة وتاريخ الفن ، والعلوم .. الخ .

● أمناء مكتبات الأطفال والشباب من جميع أنحاء العالم الذين يبحثون عن قوائم الكتب العالمية ، ويريدون معلومات عن الكتب الأجنبية والمترجمين ، إلى جوار المواد التى يمكن أن تثرى مكتباتهم ونشاطاتهم (ندوات عن الكتب ومناقشات ، رواية الحكايات للأطفال ، القراءة ..) الخ .

● الناشرون والمحررون والمؤلفون والخبراء فى ميدان النشر ، ولدى المكتبة ما تعاونهم به فى مجال الاقتباس والإعداد ، والترجمة ، وفى استطاعتها أن تقدم معونتها بشأن الطبعات الكلاسيكية من كتب الأطفال ، وتاريخ حياة الكتاب ، كما تنهض بعبء عمل دراسات مقارنة فى موضوع بذاته فى الأدب العالمى ..

ولدى المكتبة أقسام للغات كثيرة . منها : قسم اللغة الإنجليزية ، وقسم اللغة الأمريكية ، واللغة الاسكندنافيه ، الفرنسية ، السلافية ، الألمانية ، الإيطالية ، الأسبانية ، الهولندية ، اليونانية ، اليابانية .. وقسم للغات الآسيوية .. وقسم للغه العربية .

وفى المكتبة أقسام أخرى منها : المراجع المركزية ، قوائم الكتب ، جمع المخطوطات والأشياء التاريخية ، قسم الإعارة والندوات ، قسم اللغات والنشرات ، الشئون الإدارية والسكرتارية .

وتتصل إدارة جمع عناوين الكتب ، والخدمات الإعلامية بنحو ثمانين دولة ، كما تعمل المكتبة الدولية بالتعاون مع كافة المكتبات الوطنية والناشرين والمحررين والخبراء فى جميع أنحاء العالم .

وجميع أقسام المكتبة تعطى معلومات مجانية ، وتقدم خدماتها بلا مقابل .. كما تعين المكتبة على تقديم التحليلات والتقارير الخاصة بالكتب لقاء أجور

رمزية ، وتقدم توصياتها بشأن ترجمة الكتب ، وتبعث بالاتجاهات العالمية فى مجال النشر وترسل الكتب لمن يطلبها بأسعار التكلفة الأساسية ..

وتقدم المكتبات خدماتها إلى الحلقات الدراسية ، وورش العمل ، والمؤتمرات الخاصة وهيئات التحكيم ، وطلّاب الجامعات ، ورجال التربية ، وكل من يعمل فى مجال أدب الأطفال والشباب ..

والمعرض الذى تقيمه المكتبة سنويا ، يتم فى مكتبة بافاريا ، وهو معرض لايضم سوى الكتب الحديثة الصادرة فى نفس السنة ، من الشرق والغرب .. ويعد هذا المعرض من أهم الأحداث التى تقع سنويا فى مجال أدب الأطفال والشباب .. إذ يفد إليه الناشرون وخبراء كتب الأطفال ليشهدوا حفل افتتاحه وتقوم تليفزيونات العالم وصحافته بتغطية أحداث هذا المعرض ، وبالذات الجانب الخاص بالاتجاهات والتجارب ، وهو جانب يعنى بأحدث التطورات الجارية فى حفل كتب الأطفال والشباب .

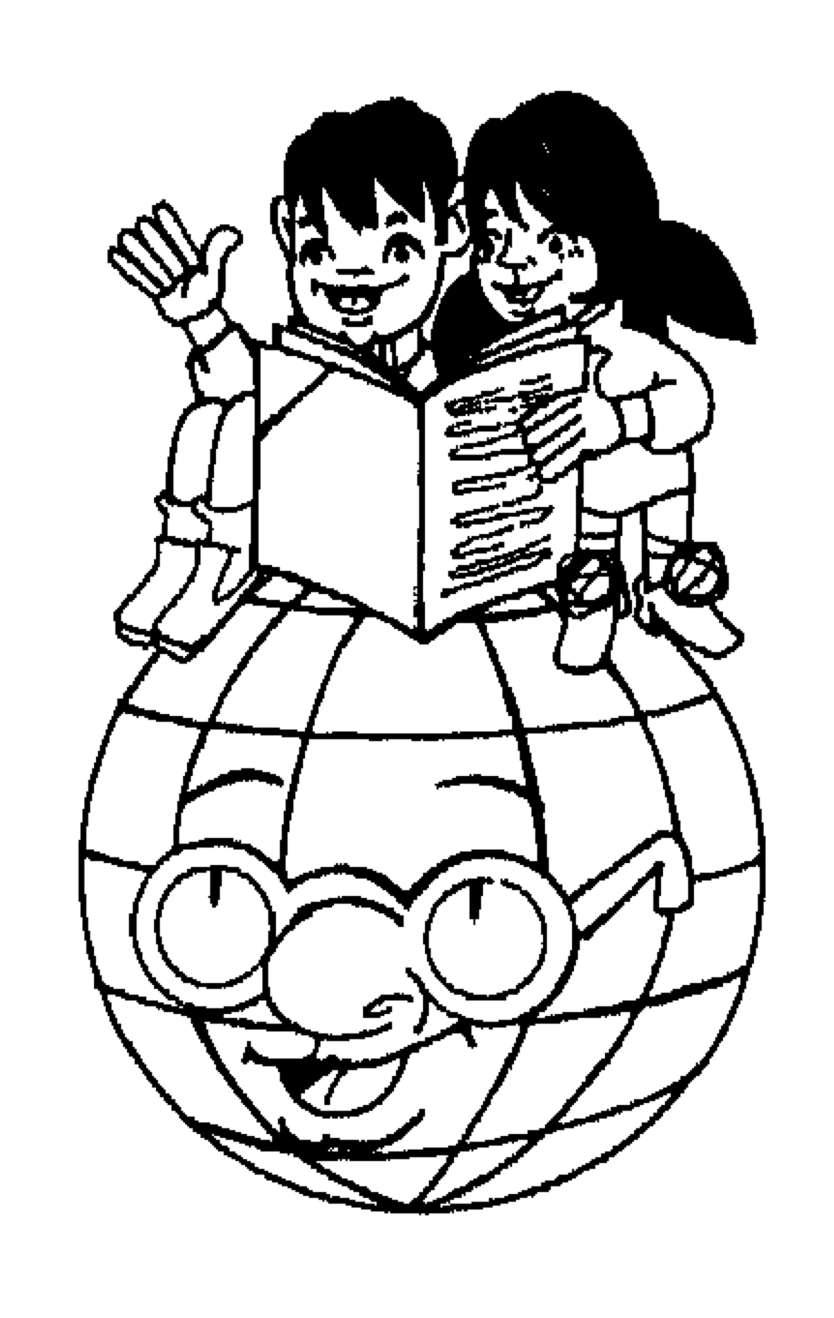
وفى كل عام تقدم المكتبة الدولية منحا لـ ١١ دارسا ، لمدة ثلاثة شهور ، يحصل خلالها الدراس على ٩٠٠ مارك ألمانى ، على أن يتحمل الدارس نفقات السفر إلى ميونيخ ذهابا وإيابا ، ويمكن للدارس أن يختار إما أن يدرس برنامجا خاصا يختاره بنفسه وإما يشترك فى عمل أقسام المكتبة المختلفة .

ويقوم قسم المراجع المركزية ـــ وهو أكبر أقسام المكتبة وأكثرها روادا ـــ بتجميع الدوريات والمراجع والقوائم والمعلومات والبيانات الخاصة بالكتاب والمؤلفين والرسامين ، وكافة المواد التى تخدم مجال كتب الأطفال والشباب .. ولدى القسم مشروع لطبع قائمة بأسماء هؤلاء الذين سجلوا اتجاهات محلية وعالمية فى هذا الميدان ، بجانب ما عنده من بيانات ومعلومات لمن يطلبها ..

هذا ، وتقوم المكتبة بعمل ٨ معارض سنويا فى مجال عملها التخصصى .. فهى قد تقيم معرضا لرسام ، أو كاتب ، أو معرضا لكتب دولة ما .. أو لغة

ما .. كما أنها تنظم معارض متنقلة ، وتعير كتبها لكثير من المكتبات والمتاحف لكى تشارك بها فى معارضها ، ولاتتقاضى عن ذلك شيئا غير أجور النقل .. ومن بين المعارض المتنقلة :

- **أجمل الكتب المرسومة للأطفال من جميع أنحاء العالم .**
- **كتب نرشحها للترجمة .**
- **كتب فائزة بجوائز .**
- **أفضل الأفضل ..**
- **أدب الأطفال فى جنوب أوربا .**
- **الكلاسيكيات ــ اليونانية والرومانية ــ فى مجال كتب الأطفال والشباب .**
- **محاربة (السلطوية) و (التسلط) فى كتب الأطفال والشباب .. بمعنى الوقوف ضد الأوامر والنواهى التى تمتلىء بها هذه الكتب .**



معرض ميونيخ الدولى لكتب الأطفال و الشباب

يقام هذا المعرض سنويا ، وتشترك فيه الدول ودور النشر فيها ، وتشرف على إقامته المكتبة الدولية للأطفال والشباب I Y L فى ميونيخ ، ولم تشهد الدول العربية ــ ومصر بالتالى ــ هذا المعرض على مدى سنوات إقامته

الثلاثين .. وكانت فرصه طيبة لى أن أشهد هذا المعرض .. وفى صباح يوم الافتتاح بدار كتب مقاطعة بافاريا فى ميونيخ عقد السيد مدير المكتبة مؤتمرا صحفيا شهده عدد كبير من مندوبى الصحف والإذاعة والتليفزيون ، واستغرق المؤتمر نحو ساعتين ، قدم خلاله بعض معاونيه ومن بينهم السيد « سيد مرهادى » مسئول قسم الكتب العربية ، وقد نوه كلاهما بمشاركة البلدان العربية لأول مرة فى المعرض .. وشهد هذا المؤتمر عدد كبير من أعضاء الوفود والناشرين والكتاب ، والمؤلفين .. ثم جرت مراسم الافتتاح الرسمى فى المساء حيث حضر عدد من المهتمين والمسئولين .. وقد وزعت بعض شهادات التقدير على عدد من الكتاب والفنانين بهذه المناسبة ، كما يحدث فى كل عام ..

الدول المشتركة

وقد شاركت فى المعرض كل البلدان الأعضاء فى « اللجنة الدولية لكتب الشباب والأطفال » I. B . B . y بجانب عدد كبير من دور النشر العالمية .. ونسقت الكتب بحيث وضعت الكتب المكتوبة باللغة الإنجليزية فى جانب واحد تشترك فيه كل من إنجلترا وأستراليا ، والولايات المتحدة ، وبجانبها الهند وأفغانستان ، وإلى جوارها الكتب العربية من (مصر ، العراق ، تونس ، الكويت ، لبنان ، السعودية) .. وكانت هناك كتب من فنلندا ورومانيا وهولندا وبلجيكا ، واليونان والبرتغال وسويسرا وبولندا ، والسويد ، وإيطاليا ، ويوغسلافيا ، وفرنسا ، وتشيكوسلوفاكيا واليونان وأسبانيا .. وشاركت كذلك كل من نيجيريا وجنوب أفريقيا ، ثم الأرجنتين ، وتركيا .. وكان لفرنسا مجموعة طيبة من الكتب .. وكذلك الاتحاد السوفيتى ، ولفتت كتب اليابان الأنظار ، ومعها كتب كوريا وجنوب شرق آسيا .. وفى ركن صغير كانت هناك كتب أطفال باللغة العبرية ، لم تحظ بالاهتمام بسبب اللغة ، برغم جودة الأغلفة والورق والرسوم .. وكانت كتب كل من ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية تحتل أبرز أماكن المعرض .

والمعرض لا يقدم إلا الكتب الصادرة فى نفس العام ، وقد يقبل بعض الكتب الصادرة فى الأيام الأخيرة من العام السابق .. وقد يتصور كثيرون أن ذلك يجعل عدد الكتب متواضعا ، لكن الحقيقة أنه برغم ضيق حيز المكان فإن الروّاد ـــ وخاصة المقيمين منهم ـــ تستقبلهم مفاجأة :

إنهم قد لا يرون الكثير من الكتب التى سبق لهم أن شاهدوها ، لأنها تخلى مكانها للجديد ، وبذلك تتجدد المعروضات بشكل مستمر ..

أنواع الكتب

والكتب كثيرة .. وإذا كانت الولايات المتحدة تنتج وحدها سنويا قرابة ثلاثة آلاف كتاب ، وتقترب إنجلترا من هذا الرقم .. وكذلك ألمانيا ، والاتحاد السوفيتى ، فلابد أن نتوقع الكثير .. ونجد أن الكتب بلغاتها الأصلية ، والترجمات قليلة .. لظهور الكتب فى نفس العام ، لكن من المسموح به عرض الكتب المترجمة الصادرة فى نفس العام ، لأنه يمكن ترجمة كتاب فنلندى أو برتغالى سبقت ترجمتة للإنجليزية مثلا ، إذ أن المترجمين من الفنلندية والبرتغالية قلائل فى الدول الآسيوية والأفريقية .. وفى تقديرى أنه لابد أن أقدم عرضا سريعا لكتب كل دولة ـــ فى فرصة أخرى ـــ لأن ذلك يكشف عن التيارات العالمية السائدة فى هذا المجال ، **لكن السمة الغالبة على جميع الكتب هى ..**

أولا ـــ العناية الكاملة بالأغلفة ، وتزيد نسبة الأغلفة المقواة على الأغلفة العادية زيادة كبيرة .. والألوان جذابة ، بل شديدة الجاذبية ..

ثانيا ـــ أن أنواع الورق فاخرة وكثير منها مصقول ناعم الملمس ، وهناك بالطبع كتب من الورق المقوى لسن ما قبل المدرسة ، بل شاهدنا تجربة ألمانية تجمع بين الكتاب واللعبة المصنوعة من الخشب !

ثالثا ــ أن العناية بالرسم والكتب المصورة ــ كما يسمونها ــ بلغت حد الكمال ، والتسابق فى هذا المجال لايقل عنه فى مجال اختيار الموضوعات التى تتناولها الكتب لمرحلة أكبر من العمر .

رابعا ــ لاتهتم البلدان بتقديم الكثير من كتب المعرفة ، إذ يغلب طابع كتب الأدب على المعروض ، لكن ذلك لايجعلنا ننسى ذلك التركيز الهائل على الكتب ذات الطابع العلمى ..

خامسا ــ هناك ظاهرة هامة فى تقديم قوائم الكتب بشكل رائع ، وتوزع منها كميات ضخمة ، لأن الناشرين يرونها السبيل لعرض كتبهم على البلدان الأخرى التى تود نقل وترجمة الإنتاج العالمى فور صدوره ..

وأوضح مثال لذلك اليابان التى تتابع بشكل غير عادى ما يصدر عالميا ،وتنتقى سنويا عددا من الكتب تتم ترجمتها فورا ..

سادسا ــ كان المعرض خاليا من القوائم العربية باللغات الأخرى ، لكن كانت هناك قائمتان : قائمة دار المعارف وقائمة دار الشعب ــ وقائمة دار الكتاب المصرى .. وكانت إحدى المؤسسات قد أعلنت عن قيامها بإعداد قائمة لكتبنا لكنها لم تصل للمعرض ..

سابعا ــ أهم مافى المعارض عامة وهذا المعرض خاصة هو (اللولبى) أى تلك المناقشات الجانبية الذى يتفق الناشرون خلالها على تبادل الكتب والترجمات ..

ثامنا ــ تحتاج دراسة مطبوعات المعرض وقوائمه بعض الوقت ، لذلك فإن الاتجاهات الأدبية والفنية والعلمية للكتب المعروضة لايمكن إيضاحها فى الفترة القصيرة التى عدت فيها من ميونيخ ، والنظرة التى ألقيت على الكتب لا تكفى لرصد هذه الاتجاهات .. لذلك أعتذر عن تقديمها وأرجو أن أتم ذلك فى وقت قريب .

معرض خاص

وكانت هناك بعض النوافذ الزجاجية المغلقة فى ردهتين توصلان إلى قاعة العرض ، وقد خصصت هذه النوافذ لمعرض كتب خاصة عن الأطفال المعوقين ولهم .. والمبادرة مذهله ، إذ تم إصدار هذه الكتب قبل أن يبدأ العام الدولى للمعوقين .. وقد وضع كتاب عن (د . طه حسين) ـــ طبعة ٨٠ ـــ بين هذه الكتب .. وقد استرعت هذه الكتب الأنظار ، لأنها تقول للأطفال الأسوياء انظروا ماذا استطاع المعوقون ؟.. وصور هذه الكتب تقطر إنسانية ، ومن الواضح أن موضوعاتها بالغة التأثير ، ونكتشف ذلك من الأغلفة وحدها ، لأن هذه الكتب بعيدة عن متناول اليد ، ولا يمكن تقليبها مثل الكتب الأخرى الموضوعة بالمعرض ..

وقد كلف السيد « سيد مرهادى » من قبل هيئة اليونسكو بإعداد قائمة الكتب الصادرة عن المعوقين ولهم ، وكتابة نبذة عن كل كتاب .. وقد تضمنت القائمة بعض كتب الهيئة المصرية العامه للكتاب ، وكذلك كتب الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية (فرانكلين سابقا) وكتب دار المعارف وبينها كتاب « الأيام » ..

الكتب العربية

كانت كتب دار المعارف والهيئة المصرية العامه للكتاب ودار الكتاب المصرى ودار الهلال ودار الشعب ودار روز اليوسف ودار الشروق تمثل كتب الأطفال فى مصر .. كان أبرز الكتب : أعمال النشر المشترك ، وكانت الكتب المؤلفه قليلة ، ولم يتوفر لها الإخراج الجذاب والألوان التى تشد الطفل .. لكن أطلس المعارف كان يلقى جانبا من الاهتمام ..

وقد لفتت الأنظار كتب الأستاذ **توفيق الحكيم** .. وكانت موضع حديثى إليهم بجانب **كتاب البذور** ، وهو الجزء الأول من تاريخ أدب الأطفال فى العالم للأطفال .. وأبدت **د . كارلابوزييه** ــ خبيرة كتب الأطفال الإيطالية ومسئولة معرض بولونيا إعجابها بالفكرة ، لأنها غير مسبوقة .. كذلك كان كتاب (**اللقاء الفريد**) وهو عبارة عن لقاء بين العرب وأوربا فى شخصيات المخترعين والمكتشفين والمبتكرين .. كان هذا الكتاب مثار اهتمام لفكرته الحضارية .. وكانت رسوم هذا الكتاب للسيدة **فريدة عويس** موضع إعجاب كبير ..

وكان كتاب (**مذكرات حصان**) من أهم كتب دار الهلال ــ وعرض بصفه استثنائية لقدمه .. وعرضت روز اليوسف بعض كتبها .. لفت الأنظار كتابان حديثان مخرجان بطريقة جميلة ، ومرسومان بشكل رائع .. لكن الورق كان رديئاً وكان الغلاف ضعيفا .. الكتابان هما : **مدينة العجائب** لخالد أبو السعود **والأصدقاء الثلاثة** لغنيم عبده .. لفتت الأنظار رسوم حجازى لكتاب (**قصص للأطفال من أحاديث الرسول**) بجانب جودة الإخراج . كذلك كتاب (**يوميات عائلة ياسر**) .

أما دار الشعب فإن تواضع إخراج كتبها وكذلك الرسوم جعل الرواد لا يهتمون بها كثيرا .. وكانت كتب ألف ليلة لدار الشروق مثار اهتمام بالغ لروعة رسومها وإخراجها وقطعها الغريب الذى انفرد بين كتب الأطفال فى كل العالم .. لكن كتابين أمريكيين كانا على هيئة مربع ، طول ضلعه نصف متر وكانا من أغرب ما قدم فى المعرض !

وكان هناك كتاب واحد من مصر باللغة الإنجليزية للأطفال سبق أن قدمته هيئة الاستعلامات .. ولقى من الرواد الكثير من الاهتمام ، بسبب لغته ، ورسومه .. وحاول البعض الاحتفاظ به للصور الداخلية .



أما كتب **العراق** فكانت كثيرة لدرجة أثارت الدهشة .. ومن الواضح أن دار ثقافة الأطفال فى بغداد قد نشطت فى الفترة الأخيرة بشكل غير عادى .. إن الرفوف لم تتسع لكتبها .. والرسوم كثيرة والألوان براقة ، والورق جيد .. واهتم الرواد بكتاب صغير أصدرته الطلائع عنوانه (**صرخة على المحيط**) لفاروق سلوم يحكى قصة فتح العرب للمغرب .. كانت رسومه أكثر من ممتازة لطابعها العربى الواضح ، وكذلك رسوم كتاب (**ابن البيطار**) لمؤيد نعمه .. واستوقفت البعض الكتب العلمية التى صدرت أخيرا .. وكذلك كتاب عن (**الأختام**) وآخر عن (**الرايات**) ..

وكانت كتب لبنان قليلة ، لظروفها الخاصة ، ولأن المعرض ليس سوقاً للبيع ، ولاعتماد لبنان على الترجمة .. أما تونس فكان فيها كتاب رائع عبارة عن مجموعة قصائد للشاعر ناظم حكمت كتبت بالعربية والفرنسية ، وبخط غاية فى الجمال ، أحسن الفنان استخدامه ليبدو كلوحات بالغة الجاذبية .

ومن الكتب الكويتية التى كان لها حظ من العناية كتاب (الكلمات السحرية) الصادر عن دار الفلاح ، وهو كتاب لأطفال الحضانة والرياض قدمته السيدة منيرة المشعان .. أما السعودية فكانت كتب « **يعقوب بن إسحاق** » « ورسوم » « **عادل البطراوى** » هى الوحيدة المعروضة ، ولقيت استحسانا كبيرا ..

التوصيات

ورأيت أن أضع تحت الأبصار بعضا من التوصيات التى أراها ضرورية بعد مشاهدتى للمعرض والمكتبة ..

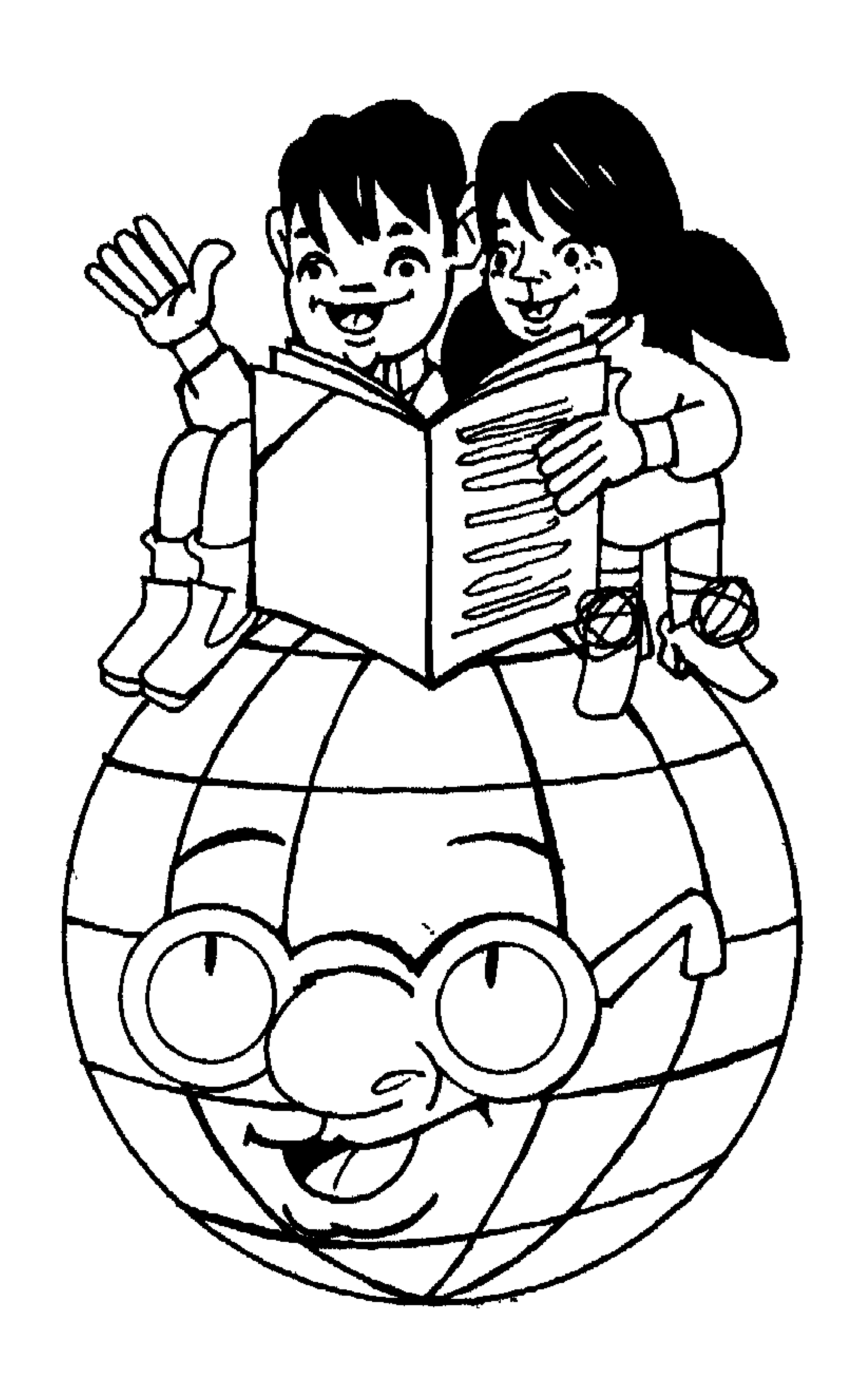
أولا ـــ ضرورة مواصلة مد (المكتبة الدولية للشباب والأطفال) بالكتب العربية باستمرار ، و الرد على خطاباتها واستفساراتها ، واللجوء إليها فى كل ما يتعلق بنشر كتب الأطفال .. وهم مستعدون للتعاون والرد على كل خطاب .

ثانيا ـــ لابد من الاشتراكِ فى I . B . B . Y . (المجلس الدولى لكتب الصغار) وهو الهيئة الدولية التى تمنح جائزة هانزاندرسون للكتاب والفنانين .. ويعقد حلقه كل عامين حول أدب الأطفال .. (حلقة أثينا ٧٦ ، حول شعر الأطفال حلقة ٧٨ حول القصص الواقعى للطفل ، حلقة ٨٠ فى براغ) .

ثالثا ـــ من الضرورى عقد صلة بين كافة دور النشر العربية وبين هذه الهيئات الدولية التى لها دور بارز فى تنشيط كتب الأطفال ..

• ولابد من جهاز ما فى جهة ما من أجل ذلك .

رابعا ـــ من الواضح أن لدينا إمكانات كبيرة يمكن استثمارها محليا ودولياً ،والأخذ بيدها يعود علينا بالكثير أدبيا وماديا .



... وبعد

فإن هذا التقرير العاجل السريع عن المكتبة الدولية للأطفال والشباب ومعرضها السنوى فى ميونيخ ما هو إلا سهم يشير إلى بعض الهيئات الدولية التى فاتنا أن نشترك فيها ونستفيد منها على مدى السنوات الطويلة الماضية ، وبات من الضرورى أن نبدى الاهتمام بها ، لنحظى برعايتها واهتمامها ، إذ أنهم قد أبدوا دهشتهم لسلبيتنا ، كما أننا وبحق تركنا ـــ نحن العرب ـــ الساحة خالية للأعداء والخصوم والمنافسين .. ويجدر بنا أن نلحق مافاتنا .

المراجع المترجمة :

١ ــ تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية تأليف د . ر . مانكيكار . ــ ترجمة فائق فهيم (الناشر دار العلوم . الرياض بالمملكة العربية السعودية) .

٢ ــ رسالة اليونسكو (الأعداد الخاصة بالأطفال) رئيس التحرير : عبد المنعم الصاوى .

المراجع الأجنبية :

1 . The World of Children,s Literature byAnne pellowski .

2 . Printed for Children . World Children,s Book Exhibition - Compiled by Rosmarie - Unesco, 1978

3 . Bibliography children,s Books from Asia 1980 - Asian Cultural Centre for Unesco - Tokyo .

4 . The Children, s Book Field .
By Jean Poindexter Colby .

5 . Children and Books .
By Mary Hill Arbuthnot.

6 . Sharing literature With children .
Butler , Francelia .

المراجع العربية :

١ ـــ فى أدب الأطفال د . على الحديدى
مكتبة الأنجلو المصرية

٢ ـــ بحوث ودراسات مركز تنمية الكتاب العربى
(١٩٧٦ ـــ ١٩٨١) الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣ ـــ أدب الأطفال د . هادى نعمان الهيتى
(العراق) .

٤ ـــ البذور (الجزء الأول من تاريخ أدب الأطفال للأطفال)
عبد التواب يوسف . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥ ـــ من الأدب الأفريقى (سلسلة اقرأ ـــ دار المعارف)
على شلش .

٦ ـــ ألوان من الأدب الأفريقى (المكتبة الثقافية ـــ الهيئة
المصرية العامة للكتاب) على شلش .

٧ ـــ جمهور الأطفال .اليونسكو .

٨ ـــ ماذا فوق رفوف مكتبات الأطفال ـــ عبد التواب
يوسف .

٩ ـــ مجموعة بحوث ودراسات لجنة ثقافة الأطفال ـــ المجلس
الأعلى للثقافة .

الصفحة

الصفحة

رقم الايداع ٦٧٩٩ / ٨٥


كتب
الأطفال
فى
عالمنا المعاصر